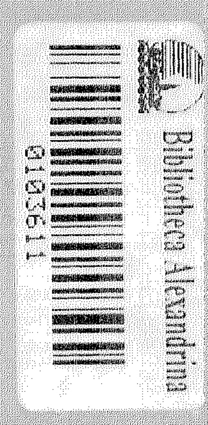
علي المحافظة

الاتجاهات الفكرية عند العرب

في عصر النهضة

١٧٩٨ - ١٩١٤

الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية



الأهلية للنشر والتوزيع

الاتجاهات الفكرية عند العرب

في عصر النهضة

١٧٩٨ - ١٩١٤

الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية

علي المحافظة

الاتجاهات الفكرية عند العرب

في عصر النهضة

١٧٩٨ - ١٩١٤

الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية

الأهلية للنشر والتوزيع

الله أكبر هذا عصر تجديـــد عصر المعارف لا بل عصر تمجيد
عصر جديد له الأكوان باسمة تثني على أهله الغـــر الصناديد

نقولا نقاش
(١٨٢٥ — ١٨٩٤)

تواريخ الطبع: ١٩٧٥، ١٩٧٨، ١٩٨١، ١٩٨٣

الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت ١٩٨٧
بيروت، الحمراء، بناية الدورادو، هاتف ٣٥٤١٥٦، ص ب ١١٣٥٤٣٣

المحتويات

مقدمة

لم يكن اتصال العرب بالفكر الغربي في القرن التاسع عشر أول اتصال لهم بهذا الفكر . فقد سبق ان تعرّفوا على منابع الفكر الغربي في القرون الأربعة الاولى للهجرة ، من خلال ترجمة الآثار اليونانية في العلم والأدب والفلسفة . وأحرزوا تقدّماً عظيماً في ميادين الفكر المختلفة منحهم قصب السبق والتفوّق على العالم بأسره . وانقطعت هذه الصلة ، تسعة قرون او يزيد ، لاسباب سياسية واقتصادية ودينية . ثم عادت من جديد تحت ظل الابتزاز الدولي والتدخّل السياسي والاحتلال العسكري في عصر التوسّع الاستعماري الاوروبي .

وكان الغرب ، هذه المرة ، قد تجاوز العرب في مختلف مناحي الفكر واتجاهاته ، بينما انغلق العرب على أنفسهم ، واقتصر نشاطهم الفكري على اجترار التراث التليد والتقيّد بالحرف والكلمة . فلما اطلعوا ، لاول مرة ، على منجزات الغرب وقفوا منها موقف المذهول العاجز ، ثم أقبلوا عليها يحاولون فهمها واستيعابها . ولم يتردد فريق منهم في تبني كل ما في الفكر الغربي من منجزات علمية ونظريات فلسفية ومذاهب أدبية وفنية ، بينما وقف فريق آخر موقف الحذر المتردد محاولاً التوفيق بين تلك العلوم والنظريات والمذاهب وبين تراث العرب الفكري وخاصة ما اتصل منه بالعقائد الدينية . وأنكر فريق ثالث تلك المنجزات ، ولم ير فيها شيئاً جديداً يستحق العناية والاهتمام فوقف منها موقف الرافض المستنكر .

لقد تناولت في هذه الدراسة الموجزة الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية التي تكوّنت عند العرب نتيجة اتصالهم بالفكر الغربي في الفترة الواقعة بين حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ وقيام

الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . وقد اغفلت الاتجاهات اللغوية والأدبية لاعتقادي بأنها تدخل في مجال الدراسات اللغوية والأدبية التي سبق ان تناولها الأدباء والباحثون بشكل موسّع فأشبعوها بحثاً وتنقيباً وتحليلاً . واقتصرت في دراستي للاتجاهات العلمية على العلوم التطبيقية التي لم تحظ بما تستحق من اهتمام لدى الباحثين . لقد بدأ العرب بالعناية بها بداية سليمة ، قامت على ترجمة المؤلفات والمنجزات العلمية الى اللغة العربية . كما درّسوها في كلياتهم ومعاهدهم العليا بلغتهم القومية أول الأمر . ثم توقفوا عن ذلك قبيل انتهاء القرن التاسع عشر ، فاصيبت لغتهم بنكسة ما تزال تعاني منها حتى اليوم ، وما زالت معظم العلوم التطبيقية في الجامعات والمعاهد العليا العربية تدرس باللغات الأجنبية .

ولا يغيب عن الأذهان ان الاتجاهات الفكرية العربية التي تكوّنت في عصر النهضة تشكّل القاعدة المتينة التي بنيت عليها الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة . وما دعوات الاصلاح الديني والحركات والأحزاب السياسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى سوى استمرار وامتداد لتلك التي نمت وترعرعت في عصر النهضة .

لقد حاولت الايجاز وابتعدت عن الغوص في التفاصيل طالما ان الهدف الذي وضعته نصب عيني هو تقديم دراسة شاملة للاتجاهات الفكرية العامة . وأرجو أن أكون قد وفّقت في تحقيق هذا الهدف .

ولا يفوتني هنا أن أقدّم جزيل شكري للذين ساهموا بجهودهم او بمشورتهم في اخراج هذه الدراسة وأخصّ منهم موظفي مكتبة الجامعة الأردنية والآنسة سونيا عيسى الفقس التي قامت بنسخ المخطوطة على الآلة الكاتبة .

كما لا يفوتني أن أقدّم شكري للجامعة الأردنية التي ساهمت بدعم نشر هذه المخطوطة .

د. علي محافظة

مدخل

منذ نهاية القرن الرابع الهجري ، بدأت عوامل الضعف والانحلال تدب في كيان العرب ، وتوالت عليهم المحن والنكبات . فتعرّضوا للموجات التركية المتوالية التي لم تعر للفكر والعلم اي اهتمام يُذكر . ثم جاءتهم الحروب الصليبية من الغرب ، وبقيت بلاد الشام حوالي قرنين من الزمان تحت حكم الاوروبيين . وفي القرن السابع للهجرة اكتسحت موجات المغول بقيادة هولاكو ، العالم العربي ، واحتلت بغداد عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م . وعاثت فساداً في البلاد وأحرقت ما في دور العلم والأدب من كتب ومخطوطات ثمينة . وبعد ذلك بقرنين تقريباً ، زحف تيمورلنك على دمشق فمثّل الدور الذي قام به هولاكو في بغداد .

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي فتح الأتراك العثمانيون البلاد العربية . وظلّت طوال القرون الثلاثة الاولى من حكمهم في عزلة تامة عن العالم الخارجي . وبينما شهدت اوروبا نهضة علمية وأدبية ، رافقتها اكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد وعلى العديد من أقطار العالم القديم في افريقيا وآسيا ، واجتاحتها في القرن الثامن عشر ثورة صناعية وأخرى سياسية واجتماعية قلبت اوضاعها رأساً على عقب ، وأعطتها مركز القيادة للعالم بأسره . بينما كانت هذه التطورات تجري في اوروبا كان العرب منغلقين على أنفسهم في ظل الحكم العثماني ، فلا اختراع ولا تقدّم في العلوم والصناعة ، بل جمود فكري وترديد لما ورد في الكتب الفقهية والنحوية والصرفية .

واقتصرت العلوم عند العرب في هذه الحقبة الزمنية على المعلومات القديمة في اصول الدين والفقه والنحو والصرف وبعض الحساب البسيط

والفلك القديم لمعرفة اوقات الصلاة . واكتفى العلماء العرب باجترار المعلومات القديمة دون الاقدام على أي تجديد .

ورافق ذلك كله تفكّك في الدولة العثمانية وانحلال في الولايات العربية منها ، وتمرّد على السلطة المركزية ، وانتشار للظلم والاستبداد . فقد احتلت النمسا وروسيا بعض الممتلكات العثمانية في اوروبا وتقدّمت روسيا القيصرية في آسيا ، واحتلّت أراض شاسعة من ممتلكات العثمانيين . وأصبحت بلاد الشام ومصر شبه مستقلتين تحت حكم الأمراء المحليين والمماليك . وأصبح الجيش العثماني عاجزاً عن حماية حدود الدولة من هجمات الأعداء . واستشرى نظام الامتيازات حتى غدا تدخلاً سافراً في شؤون الدولة الداخلية ، وتنافساً دولياً على مناطق النفوذ فيها .

في هذا الوضع كان الدين هو المسيطر على حياة الناس الفكرية . وكان علماء الدين يشكّلون الطبقة الفكريّة الوحيدة في الأمّة ، يشاركهم في ذلك مشايخ الطرق الصوفية التي عمّ انتشارها في مختلف أنحاء البلاد العربية .

علماء الدين

كان علماء الدين في الدولة العثمانية يعتبرون أنفسهم حماة الشريعة والحريصين على التمسّك بمذهب أهل السنة . اذ كان دين الدولة الاسلام ومذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي . وكان على رأس هؤلاء العلماء شيخ الاسلام ، ووظيفته شبيهة بوظيفة الخليفة العباسي ، الذي كان يقيم في القاهرة في ظل حكم المماليك ، وكان مركزه معادلاً لمركز الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) . ويتمتّع شيخ الاسلام بصلاحية اصدار االفتاوي في القضايا الكبرى . فقد يصدر فتوى بعزل السلطان . وكان له حق اعلان الجهاد . ولكنه من الناحية العملية يعين من قبل السلطان . وأصبح شيخ الاسلام يتمتع بصلاحية واسعة في القرنين السابع

عشر والثامن عشر ، بسبب ضعف السلاطين .

ويلي شيخ الاسلام في منصبه « قاضيا العسكر » في الروملي والأناضول وقاضي استانبول . ويليهم عدد من القضاة يكونون جميعاً مع شيخ الاسلام « المجلس الأعلى للعلماء » (١) .

ويندرج في طبقة العلماء المفتون والأئمة والخطباء والوعّاظ والمؤذنون والقائمون بشؤون المساجد . وكان الخطباء يعينون من قبــل السلطان بصفتهم ممثليه في صلاة الجمعة بفرمان « خطي شريف » (٢) .

وفي مصر ، كان شيخ الأزهر ومجلس العلمـــاء الذي يرأسه ، يتمتعون باستقلال ذاتي . فهم الذين يشرفون على الشيوخ ويتصرفون بأمر تعيينهم ونقلهم وعزلهم (٣) .

وكان للعلماء ، بوجه عام ، دور هام في ادارة شؤون الدولـــة العثمانية ، وفي المشاركة في السلطة . وظلّوا يتمتعون بهذا الدور وباحترام السلطة والشعب لهم ، حتّى القرن الثامن عشر ، عندما أخذ شيوخ الطرق الصوفية (الدراويش) ينازعونهم ذلك الاحترام (٤) .

وأصبح العلم ، مع الزمن ، احتكاراً لأسر معيّنة ، وغدت طبقة العلماء طبقة اجتماعية ذات امتيازات خاصة . واتخذت موقفاً صلباً ضد كل تجديد في عالم الفكر . فقد قاوموا ادخال المطابع الى الدولة ، وطباعة الكتب الدينية الاسلامية . ولما منح ابراهيم المتفرقة ، المجري الأصل ، رخصة لتأسيس اول مطبعة في استانبول في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، نصت « الفتوى » على حقه في طباعة المعاجم والكتب العلمية والتاريخية فقط (٥) .

---

(١) Inalcik, Halil: The Ottoman Empire, pp. 183-185.
Gibb and Bowen: *The Islamic Society and the West*, vol. 1 part 11, pp. 85-86.

(٢) Gibb and Bowen: *The Islamic Society and the West*, vol. 1 part 2, p. 98.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٩.

(٤) المصدر السابق ، ص ١١١.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٣.

وكان العلماء هم المشرفون على التربية والتعليم في الدولة . وفي البلاد العربية كان الأزهر أضخم المؤسسات العلمية . اذ كان يحتوي على سبعين استاذاً في القرن الثامن عشر . وكان يتبع له عدد من المدارس والمعاهد في القاهرة والمدن المصرية الأخرى . وكان معظم أساتذتها من خريجيه . وفي بلاد الشام كانت دمشق وحلب أهم مركزين للثقافة . وقد وجدت عدة مدارس محلية في القدس ونابلس وغيرهما من المدن الشامية . ويذكر محمد خليل المرادي في كتابه « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » ، ان دمشق كانت تضم حوالي خمسة وأربعين مدرسة في القرن الثامن عشر الميلادي (٦) . أما العراق فكان نصيبها من الثقافة والعلم في هذه الفترة أقل من غيرها من البلاد العربية . الا انها حافظت على بعض التقاليد التعليمية في عصور البلبلة والفوضى التي تلت احتلال المغول لها عام ١٢٥٨م . وكانت بغداد والبصرة والموصل والنجف وكربلاء من أهم مراكزه الثقافية . وكانت مكة والمدينة من المراكز الثقافية الهامة في هذه الفترة ، وغالباً ما استقبلتا العلماء من البلاد العربية وغيرها من أقطار العالم الاسلامي .

وكانت معظم المدارس والمعاهد تعيش من الأوقاف والتبرعات . ويعتبر الأزهر أغناها لما كان يملكه من عقارات وقفية وما يصله من معونة حكومية . وكان يشارك مسجدي مكة والمدينة بهذه المعونة الرسمية التي كانت امتيازاً لهذه المساجد الثلاثة فقط .

ولم يكن للتعليم في هذه المدارس والمعاهد برنامج محدد . فقد كانت السنوات الثلاث الاولى مخصصة للدراسة الابتدائية ، كما هي الحال في المدارس القرآنية ثم يتابع التلميذ دراسة الدين والفقه والمنطق والحساب البسيط على يد أحد الشيوخ المشهورين. وغالباً ما يتخصص الطلبة بعد ذلك للالتحاق بوظيفة كاتب او قاضي او مفتي أو إمام . وقليلون منهم كانوا يستمرون في دراساتهم حتى يصبحوا معلمين أو أساتذة في المعاهد

---

(٦) المصدر نفسه ص ١٥٥.

العليا . ويحدّثنا محمد خليل المرادي في كتابه السابق الذكر عن عيوب التعليم في الأزهر فيحصرها بما يلي :

١ ــ قبول أبناء الذوات في الأزهر ممن لا يتمتّعون بمستوى تعليمي جيّد .

٢ ــ تدني مستوى الأساتذة .

٣ ــ استئثار بعض الأساتذة بتعليم كثير من المواد بحيث يعينون بدلاء عنهم لقاء راتب زهيد .

٤ ــ تحديد الموضوعات وضيق النظر في التدريس . فقد كان الهدف في التعليم تلقّي بعض المعلومات المحدودة . أما تجاوز هذه المعلومات أو مجرّد التساؤل عن صحتها فقد يثير شكوك ومقاومة العلماء ، أو قد يصل الى حدّ العقاب والطرد من المعهد أو فقدان مصدر العيش ، ناهيك عن التشهير (٧) .

ولكن بالرغم من هذه العيوب التي كانت عامة في جميع المعاهد في العالم العربي ، فقد كان « العالم المسلم » طالباً للعلم يسعى وراءه اينما وجد ، ويجدّ في طلبه مهما بَعُد . فساعد ذلك على الاتصال الدائم بين العلماء وتبادل الآراء والأفكار فيما بينهم .

هذا ما كان في المشرق العربي ، أما في المغرب العربي فلم تكن الحال أحسن . ففي ليبيا ، كانت طرابلس ، على عهد أسرة القرامنلي ، عاصمة للثقافة . واشتهرت بجامعها الكبير . كما وجدت مراكز ثقافية أخرى في مصراته واجدابية . واقتصر التعليم العالي الاسلامي على جامع أحمد باشا القرامنلي في طرابلس ، حيث تُدرّس مواد اللغة والأدب والتفسير والحديث والفقه والحساب والمواقيت الفلكية والمسالك الجغرافية (٨) . أما في تونس فكان جامع الزيتونه المركز الثقافي الأوّل . وقد بُني في عهد الوالي عبد الله بن الحجاب سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م .

---

(٧) المرادي ، محمد خليل . سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٨) الكماك ، عثمان ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص ١١٨ ، ١٢٦ .

تخليداً لذكرى انتصاراته في غزوات فرنسا . وأتمّ بناءه على شكله الحالي أبو العبّاس محمد بن الأغلب ، في عهد المعتصم العباسي . وكانت تُدرّس فيه ، في القرن الثامن عشر ، الموضوعات التالية : العلوم الدينية من تفسير وحديث ، والعلوم شبه الدينية مثل الشريعة والتوثيق والفرائض والميقات ، والآداب من نحو وبلاغة وعروض ونقد أدبي ومنطق (٩) . واشتهرت الجزائر بمسجدها الأعظم ، واهتم الأتراك ببنائه وبناء الكثير من الجوامع . ويذكر ان الجامع الأعظم في الجزائر كان يحتوي على أربعين الف مخطوطة في العهد العثماني . وانتشر في الجزائر «المسيد» كمركز تعليمي وثقافي في كل مدينة وقرية . وهو في الأصل مسجد خاص يبنيه أحد الأثرياء للتعليم . ويقتصر التعليم فيه على الدين واللغة العربية . ولذلك كان للمسيد دور هام في نشر الاسلام واللغة العربية بين البربر . وظل هذا النوع من المدارس في الجزائر حتّى مطلع القرن التاسع عشر (١٠) . ونشأت في الجزائر ايضاً المدارس الحكومية ، في عهد الحفصيين ، مثل مدرسة ابي مدين ومدرسة الإمام ، وكانت لها نزعة سياسية (١١) .

واشتهر المغرب الأقصى بجامعة القرويين في فاس التي انفردت عن المعاهد في العالم العربي بتدريس الطبّ حتّى أوائل القرن التاسع عشر. ويعود بناء جامع القرويين الى فاطمة ام البنين التي أسّسته عام ٢٥٥هـ . وازدهر في عهد بني مرين . وأصبح موئلاً للعلماء العرب المهاجرين من الأندلس منذ القرن الخامس عشر الميلادي (١٢) .

الطرق الصوفية

التصوّف قديم في الاسلام يرجع الى عهوده الاولى . وكان المتصوّفون

---

(٩) المصدر السابق ، ص ١٠١ – ١٠٧.
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٧٠-٧٢.
(١١) المصدر نفسه ، ص ٧٥-٧٨.
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨-٦٢.

الاوائل يميلون الى الانقطاع للعبادة والانعزال والهدوء . ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي ، اعتنقت طرق الدراويش الأفكار الصوفية وانتشرت مع الزمن حتى أصبحت على نطاق شعبي واسع ، فاعتنقها العوام والأميّون في المدن ، وغدت هذه الطرق مؤسسات اجتماعية ومراكز ثقافية وحركات سياسية يحسب حسابها .

وقد أثار نمو الطرق الصوفية الجديدة الشكوك في نفوس علماء الدين ، أول الأمر ، فناصبوها العداء واتّهموا أتباعها بالشعوذة والهرطقة. ولذا سعى مؤسسو هذه الطرق الى حماية أنفسهم من العلماء والسلطات الرسمية بان أعلنوا ولاءهم وتبعيتهم لأحد الائمة الكبار من أهل السنة . كما أثار انتشار هذه الطرق عداوة الاشراف من أهل البيت الذين رأوا عامة الناس يركضون وراء شيخ الطريقة يتمسحون به ويرجون التبرّك به ، بعد ان كانت مثل هذه الأمور مقصورة عليهم ، بصفتهم أهل بيت الرسول (ص). ولم تنج هذه الطرق الصوفية من عداء الحكّام المحليين الذين كانوا يرهبون كل حركة شعبية مهما كان مصدرها ونوعها .

الا ان خصومة العلماء والأشراف والحكّام للطرق الصوفية لم تضعفها بل زادت من شعبيتها بين الجماهير التي كانت تنظر بعين الكراهية الى السلطة ووسطائها (١٣) . وانتشرت الطرق الصوفية في الدولة العثمانية وأصبح لكل حرفة ولكل مجموعة من الناس حلقة صوفية او حلقات ذات صلة باحدى الطرق الصوفية الكبرى (١٤) .

ولكن مهما اختلفت طرق الدراويش او المتصوفة ، فقد تشابهت في كثير من خصائصها العامة . اذ كان لكل طريقة « تكية » او « رباط » او « زاوية » يقيم فيها الدراويش او يزورونها في حلهم وترحالهم . وانتشرت هذه الزوايا بشكل واسع في شمال افريقيا . وكانت على

---

(١٣) Inalcik, H., *The Ottoman Empire*, pp. 197-202.
Evans-Pritchard, E.E: *The Sanusi of Cryrenaica*, pp. 2-3.

(١٤) Gibb & Bowen: *Islamic Society and the West*, vol, I part II, p. 78.

أنواع . ففي تونس وجدت الزاوية العسكرية والزاوية الطرقية وزاوية الولي . اما الاولى فكانت لتعليم الشباب روح القبيلة والامتثال العسكري والفنون الحربية من رماية وفروسية ومدفعية وأعمال هندسية . أما الزاوية الطرقية مثل القادرية والشاذلية والعروسية والرحمانية والتيجانية والعيساوية والعزوزية والسلامية فكانت تشتمل على قسم للتعليم العام وقسم لتعليم اصول الطريقة . والتعليم الأخير يتألف من « العادة » اي الأناشيد المشتركة بين الطرق الصوفية ثم « العمل » وهو الذكر والانجذاب والتخمّر على نغمات الأناشيد من قصائد وأزجال وموشحات الفاظها تصوفية « المألوف » . واشتهرت الزوايا العزوزية بتعليم الموسيقى والأناشيد . واما زوايا الأولياء فكانت تقام حول أضرحتهم وتوقف عليها الأموال والعقارات . وكان الطلبة يقيمون فيها ويعيشون على مواردها ويلتحقون بعد تخرّجهم بجامع الزيتونة (١٥) .

وفي الجزائر وجد نوعان من الزوايا : الزوايا الحرّة اي التي لا تنتسب الى ولي او طريقة صوفية، والزوايا الطرقية كالطيبية والتيجانية والقادرية والرحمانية والدرقاوية والعيساوية وغيرها . وتدرّس الزاوية حفظ القرآن الكريم وبعض التفسير البسيط والحديث الشريف والفقه والحساب وبعض المحفوظات الأدبية (١٦) .

اما في ليبيا فقد نشأت الأربطة (جمع رباط) الصحراوية لحماية الثغور البرية من هجمات السودانيين . وكان الرباط حصناً دفاعياً ومركزاً ثقافياً للعلوم الاسلامية واللغة العربية . وامتدت هذه الأربطة من خليج غانه الى البحر الأحمر ، على طول طريق الحج . وأخذ الطلبة الافريقيون يرتادونها طلباً للعلم ، حتى يبلغوا مكة ويرجعون « مرابطين » اي أساتذة مزودين بالعلم والبركة القدسية . والرباط معهد ديني قبل كل شيء . كان تلامذته يقومون « بالعادة » و« العمل » اي الموسيقى والأناشيد

(١٥) الكماك ، عثمان، المراكز الثقافية في المغرب ، ص ٩٨-٩٩.
(١٦) المصدر السابق ، ص ٧٢-٧٥.

الدينية الحماسية والدروشة التي تقام يومي الخميس والسبت من كل أسبوع . ويقال في حلقات « العمل » الشعر الصوفي . ولكن هذه الأربطة زالت بزوال دولة المرابطين . ونشأت مكانها الزوايا في عهد دولة الموحدين . وأصبح الهدف منها بث الدعوة الاسلامية بين البربر والزنوج فقامت الطريقة الشاذلية وزواياها في القرن السادس الهجري ، والطريقة السلامية الطرابلسية في القرن التاسع الهجري (١٧) .

اما في المشرق العربي ، فقد انتشرت « تكايا » الدراويش التي كانت تقام حول قبور مؤسسي او شيوخ الطرق الصوفية . فكانت محجاً لأتباع الطريقة ومريديها . وأشهر الطرق الصوفية في المشرق العربي ، الطريقة النقشبندية ، التي كان من أشهر اتباعها في القرن الثامن عشر الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المولد ، والشيخ خالد النقشبندي في العراق ، في القرن التاسع عشر . ولم يتقيّد أتباع هذه الطريقة بأصول الشريعة الاسلامية بل مارسوا التأمّل الصامت وحبس النفس ، المأخوذ عن بعض مظاهر « اليوغا » الهندية (١٨) .

وانتشرت الطريقة « الخلوتية » ايضاً في سوريا ومصر . وكان أشهر أتباعها في القرن الثامن عشر ، الشيخ مصطفى البكري من دمشق (ت ١٧٤٩م) ، وقام بالدعوة لها في مصر ، وفي مطلع القرن التاسع عشر أصبح شيخ الخلوتية . وظهرت الطريقة الشيخية في العراق في القرن التاسع عشر على يد أحمد الاحسائي المتوفي حوالي عام ١٨٢٦م ، وانتشرت انتشاراً واسعاً (١٩) . كما كان للطريقة القادرية (المنتسبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني) أنصار كثيرون في العراق وفي مختلف أنحاء العالم العربي .

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١١٩–١٢٢ .

(١٨) Evans-Pritchard, E. *The Sanusi of Cyrenaica*, p,3.
Gibb and Bowen: *Islamic Society and the West*, p. 186.
عبد الحميد محسن ، الالوسي مفسراً ، ص ٥٨.

(١٩) نوار ، عبد العزيز ، داود باشا والي بغداد ، ص ٣٠٨.

أما التمارين الغيبية التي يمارسها الدرويش او الصوفي فكانت ترمي الى الوصول الى حالة الاشراق والحصول على « الكرامات » التي تمنحه قوى خارقة . ولبلوغ ذلك يقوم الدرويش بقراءة « الذكر » مع هزات في الجسد ، يرافقها بعض المعزوفات الموسيقية . ويستمر ترديد الذكر حتى لا يعود للكلمات اي تأثير على الحواس ، فلا يدرك الدرويش الا اسم « الله » منها فقط . فاذا ما بلغ الغيبوبة التامة وصل الى حالة الاشراق .

وكان الدرويش او الصوفي انساناً محظوظاً يبحث الناس عن التبرّك به في حياته ويحجّون الى قبره بعد الوفاة . ويدعى هؤلاء الدراويش « بأهل الغيب » اما رئيس الطريقة فيسمى (قطبا) (٢٠) .

بلغت الصوفية في البلاد العربية ، في القرن الثامن عشر شأواً بعيداً ، فانضم اليها أعداد كبيرة من « العلماء » الذين أصبحوا شيوخاً متصوفين ، لم يترددوا في اعلان الفناء في الله ، ووحدة الوجود للمؤمنين . وأصبح في هذا القرن من الصعب التمييز بين المسجد والتكية ، ولم يجرؤ العلماء على إظهار الشك في قدرات الأولياء الخارقة . ومن جهة أخرى كان شيوخ المتصوفة أمثلة صارخة في الفساد ، تنكّروا لتعاليم الاسلام بشرب الخمرة وتعاطي الحشيش والأفيون . فكان من آثار ذلك ان عمّت روح اللامبالاة واللامسؤولية . وانتشر الفساد في الدولة ، وفي مختلف الأوساط الاجتماعية . وأصيبت البلاد بانهيار اقتصادي وانحطاط ثقافي عام (٢١) .

لمحة عن الحالة السياسية في العالم العربي في القرن التاسع عشر

أطل القرن التاسع عشر على العرب باحداث خطيرة كان لها أثر كبير على جميع مناحي حياتهم . فقد احتل الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨

---

(٢٠) Gibb and Bowen, *Islamic Society and the West*, p. 186.

(٢١) المصدر نفسه ، ٢٠١-٢٠٦.

وظلّوا فيها حتى عام ١٨٠١ . وانفرد محمد علي باشا بحكمها ، بعد خروج الفرنسيين (١٨٠٥ — ١٨٤٨) . وأصبح حكم مصر وراثياً في نسله ، بموجب معاهدة لندن المعقودة بين الدولة العثمانية والدول الغربية الكبرى عام ١٨٤١ . وفتح محمد علي وخلفاؤه أبواب مصر للحضارة الاوروبية طوال هذا القرن .

وفي عام ١٨٣٠ ، احتلت فرنسا الجزائر وضمّتها الى ممتلكاتها الاستعمارية . وجابهت مقاومة وطنية شديدة قادها الأمير عبد القادر بين ١٨٣٢ و١٨٤٧ ، وعدد من الزعماء المحليين بقية القرن التاسع عشر .

واحتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩ ، لتأمين طرق مواصلاتها الى الهند والشرق الأقصى . وأخذت تعقد الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية مع شيوخ وامراء الجنوب العربي ومنطقة الخليج .

اما في الدولة العثمانية فقد بلغت حركة التنظيمات أوجها في هذا القرن . فصدر عام ١٨٣٩ «خطي شريف غولخانه» الذي الغى نظام الضرائب القديم وأدخل بدلاً منه نظاماً جديداً يقوم على شيء من العدل والانصاف وأعلن المساواة بين جميع رعايا الدولة . وفي عام ١٨٥٦ صدر «خطي شريف همايون» بناء على تدخّل من الدول الغربية ، لدى السلطان العثماني . فأكد ما جاء في الخط السابق من مبادىء . وجاء باصلاحات جديدة مثل الالتزام بميزانية سنوية للدولة ، وتأسيس المصارف ، واستخدام الرأسمال الاوروبي ، وتنظيم قانون العقوبات واصلاح السجون ، وإنشاء المحاكم المختلطة والغاء الحكم بالاعدام ، واصلاح مجالس البلدية ومجالس الولايات عن طريق اتخاذ مبدأ التمثيل (٢٢) .

وفي عام ١٨٦٤ صدر قانون الولايات العثمانية ، الذي قسم الدولة العثمانية الى سبع وعشرين وحدة ادارية كبيرة (ولاية) على رأس

---

(٢٢) Vucinich, W. *The Ottoman Empire; Ist Record and Legacy*, pp, 161-163.

كل منها وال له صلاحيات واسعة ، تساعده حكومة محلية ترعى الشؤون المدنية والمالية والشرطة والقضاء ، بينما تقدم المجالس الادارية نصائحها ومشورتها على مختلف المستويات (الولاية واللواء والقضاء والناحية) . وقد وضع هذا القانون على شاكلة النظام الاداري الفرنسي ، ذلك ان فرنسا كانت مصدر الالهام للمصلحين العثمانيين (٢٣) .

وصدر أول دستور للدولة العثمانية عام ١٨٧٦م . تضمن المساواة بين الرعايا العثمانيين وحماية حرياتهم وممتلكاتهم الشخصية . ونص على انشاء مجلسين تشريعيين من الأعيان والنواب ، وعلى انشاء مجالس للولايات والأقضية والنواحي . وجرت انتخابات نيابية وأخرى ادارية . واجتمع أول برلمان عثماني « مجلس المبعوثان » في آذار عام ١٨٧٧ . ولكن السلطان عبد الحميد الثاني تآمر على الدستور فعطله ، وحل البرلمان في ١٤ شباط ١٨٧٨ ، وظل الدستور معطلاً حتى عام ١٩٠٨ . وعاشت الولايات العربية في الدولة العثمانية هذه التجربة ، بكل ملابساتها.

اما مصر التي سلكت سبيلاً آخر ، فقد عاشت بدورها تجربة مماثلة . اذ انشيء عام ١٨٦٦ « مجلس شورى القوانين » في عهد الخديوي اسماعيل ، وانتهت الحياة النيابية بالفشل عام ١٨٧٩ ، وأعقب ذلك اشتداد التدخل والتسلط الأجنبي في مصر الذي انتهى بثورة أحمد عرابي باشا واحتلال بريطانيا للبلاد عام ١٨٨٢ .

وظلت تونس تتمتع باستقلال ذاتي ، تحت حكم البايات ، حتى وقعت تحت الحماية الفرنسية عام ١٨٨١ ، وانفصلت بذلك نهائياً عن الدولة العثمانية . وبقيت ليبيا في حظيرة الدولة العثمانية حتى عام ١٩١١ حينما سقطت في أيدي الايطاليين . أما المغرب الأقصى أو « سلطنة مراكش » فقد كان مستقلاً لم يخضع للعثمانيين طوال العصور الحديثة . واستطاعت الاسرة العلوية الحاكمة ان تحافظ على هذا الاستقلال بمختلف السبل والوسائل .

---

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٩٥-٩٦ .

عوامل النهضة الفكرية عند العرب في القرن التاسع عشر

اتسم القرن التاسع عشر ، كما رأينا ، بغزو عسكري للبلاد العربية ، وحركة اصلاحية واسعة لم تشهدها من قبل ، تمثلت في انفتاح مصر ، في عهد اسرة محمد علي ، على الحضارة الغربية ، وفي ظهور حركة التنظيمات العثمانية ، وما رافق ذلك من غزو ثقافي غربي ونهضة فكرية اتخذت اتجاهات عديدة في الدين والسياسة والاجتماع والعلم والأدب والفن . ويمكن اجمال العوامل التي ساعدت على تلك النهضة الفكرية في هذا القرن بما يلي :

١ ـ الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١)

فتحت الحملة الفرنسية على مصر أبواب العالم العربي على الحضارة الغربية الحديثة بما اشتملت عليه من مبادىء سياسية وأنظمة ادارية وعلوم وآداب وفنون وطباعة وصحافة وغيرها . ورافق نابليون بونابرت في حملته هذه فريق من العلماء الفرنسيين في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا ، وجلب معه مطبعتين احداهما فرنسية والأخرى عربية . ولما استقر به المقام في مصر أنشأ الدواوين وغرضه منها « تعويد أعيان مصر على نظم المجالس الشورية وأساليب الحكم » .

كما أسس مجمعاً علمياً على غرار المجمع الفرنسي ، من أجل البحث والدراسة في موضوعات الطبيعة والصناعة والتاريخ . وكان المجلس مؤلفاً من ثمانية وأربعين عضواً موزعين على أربعة أقسام هي : الرياضيات ، العلوم الطبيعية ، الآداب والفنون ، الاقتصاد السياسي . وأنشأ مرصداً ومتحفاً ومختبراً ، وأقام مسرحاً للتمثيل وأصدر جريدتين باللغة الفرنسية هما Le Decade Egyptien ، وهي جريدة اقتصادية خصّصت لنشر أبحاث المجمع العلمي المصري ، وتصدر كل عشرة أيام مرة ، و Le Courrier d'Egypte الناطقة بلسان السلطات الفرنسية ، وكانت تصدر مرة كل أربعة أيام . كما أصدر جريدة عربية ،

«التنبيه» لنشر بياناته على الناس (٢٤) .

غير ان السنوات القليلة التي قضتها الحملة في مصر ، وانصرافها الى توطيد الحكم الفرنسي في البلاد ، لم تتح للمصريين امكانية التفاعل معها . واقتصر رد الفعل في مصر على الاعجاب بالنماذج الحضارية التي جاءت بها الحملة ، ومحاولة الاستفادة منها في عهـــد محمد علي (١٨٠٥ — ١٨٤٨) .

٢ ــ البعثات العلمية الى اوروبا

أسهم محمد علي باشا في النهضة العلمية التي القى الفرنسيون بذورها في مصر واتجه بأنظاره اولاً الى تركيا ثم الى اوروبا ، وآثر الاستعانة بالايطاليين ، في بداية الأمر ، دون الانكليز والفرنسيين الذين كان يخشى تغلغل نفوذهم السياسي من خلال تعاونه الثقافي معهم . ولم يبدأ محمد علي باستقدام الخبراء والفنيين الفرنسيين الا بعد عام ١٨٢٠ . وتتالت بعد ذلك البعثات المصرية الى فرنسا وغيرها من الأقطار الاوروبية لدراسة مختلف العلوم التطبيقية والنظرية . وسار خلفاء محمد علي على النهج نفسه ، فاستعان عباس بالانكليز وأخذ النفوذ الثقافي الفرنسي يضعف تدريجياً ، حتى اذا ما اعتلى عرش الخديوية اسماعيل استأنف البعثات العلمية الى فرنسا فتجاوزت مئة وعشرين (٢٥) .

وكانت هذه البعثات العلمية من العوامل الهامة في الانفتاح على حضارة الغرب وترجمة العديد من المؤلفات العلمية والأدبية والفنية الغربية الى اللغة العربية وتدريس العلوم الحديثة في المعاهد والمدارس التي أنشأها محمد علي وخلفاؤه على النمط الاوروبي .

---

(٢٤) المشرق . السنة ٣ ، عدد ٥ ، ١٩٠٠/٣/١ ، ص ١٩٣-٢٠١ .
شريف ، محمد بديع ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢٥) الرافعي ، عبد الرحمن ، تاريخ الحركة القومية في مصر ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ .
نجم ، محمد يوسف ، العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث ، مقالة في «الفكر العربي في مئة سنة» ، ص ٣٠-٤٧ .

ومن رواد هذه الحركة رفاعه رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) الذي ترجم الى العربية تاريخ اليونان والميثولوجيا اليونانية وأخبار الأمم القديمة كالبابليين والمصريين (٢٦) . ومنهم الشيخ علي مبارك (١٨١٦ ـ ١٨٨٦) الذي كان له فضل انشاء دار العلوم في مصر ، ومؤلف كتاب « الخطط التوفيقية » فيعشرين مجلداً . وساهم في انشاء دار الكتب المصرية . ومن أعلام هذه الحركة صالح مجدي وعبد الله أبو السعود وعبد الله فكري وغيرهم (٢٧) .

٣ ـ الارساليات التبشيرية في البلاد العربية

بدأت الارساليات التبشيرية تفد الى بلاد الشام في القرن السابع عشر ، وكان معظم المبشرين من أتباع المذهب الكاثوليكي .
وشهد القرن التاسع عشر حركة تبشيرية واسعة في البلاد العربية ونشطت في بناء المدارس وتأسيس الجمعيات العلمية والأدبية . وتعتبر مدرسة عينطورة أقدم مدارس الارساليات في لبنان اذ انشئت عام ١٨٣٤ من قبل المبشرين العازاريين . وبعد ذلك بعام انشأ القس وليم طومسون الامريكي مدرسة في بيروت . وأقام الدكتور كرنيليوس فانديك مدرسة عالية في عبيه ـ لبنان . وفي عام ١٨٤٧ أنشأ المبشرون البروتستانت « الكلية السورية » التي كانت تدرس العلوم باللغة العربية في بداية عهدها (٢٨) .
وفي العام نفسه أنشأ هؤلاء المبشرون « الجمعية السورية » في بيروت لغرض نشر العلوم وترقية الفنون بين العرب . وكان من أعضائها البارزين ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والدكتور ميخائيل مشاقة وميخائيل مدوّر ونعمه ثابت وانطونيوس الاميوني، ومن الأجانب

---

(٢٦) الجندي ، انور ، الفكر العربي المعاصر ص ٣٧-٣٨ .
(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .
(٢٨) الشهابي ، مصطفى ، القومية العربية ، ص ٤٤ .

القس عالي سميث والدكتور فانديك والقس طومسون والمستشرق منصور كرلتي والدكتور يوحنا ورثبات وتشرشل . وفي عام ١٨٥٢ أصدرت هذه الجمعية مجلة تحمل اسمها وعهد الى المعلم بطرس البستاني بتحريرها (٢٩) .

وفي عام ١٨٥٧ انشئت الجمعية العلمية السورية على غرار الجمعية السورية ، واختلفت عنها بانها كانت خليطاً من المسلمين والمسيحيين وظلت عاملة حتّى عام ١٨٦٨ ، وحصلت على اعتّراف الدولة العثمانية الرسمي بها (٣٠) .

وبعد حوادث الفتنة الأهلية السورية عام ١٨٦٠ ، أخذ المبشرون ينشئون المدارس والكليات الكبرى . ففي عام ١٨٦٠ ، انشأت السيدة بوين طومسون «الكلية الانجيلية الامريكانية للبنات». وفي عام ١٨٦١ انشئت « الكلية الانكليزية للبنات » . وفي عام ١٨٦٥ تأسست المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ثم مدرسة الثلاثة أقمار للروم الارثوذكس في سوق الغرب ونقلت هذه عام ١٨٦٦ الى بيروت . وانشأ المطران السيد يوسف الدبس مدرسة « الحكمة » للطائفة المارونية عام ١٨٦٥ (٣١). كما انشأ المرسلون الامريكان « الكلية الامريكية » في بيروت عام ١٨٦٦ بفضل مساعي دانيال بلس ، اول رئيس للكلية . واسس الآباء اليسوعيون « الكلية اليسوعية » في غزير ثم نقلت الى بيروت عام ١٨٧٤م ، وكانت تنفق عليها الحكومة الفرنسية (٣٢) .

ونشطت الارساليات في ميدان الترجمة وتحديث اللغة العربية . فقد ترجم بطرس البستاني التوراة الى العربية بالاشتراك مع المستشرق الدكتور عالي سميث ، وألّف معجم « محيط المحيط » ومعجم « قطر المحيط » ودائرة المعارف في سبعة أجزاء . وقــام سليمان البستاني

---

(٢٩) طرازي ، فيليب دي ، تاريخ الصحافة ، ج ١ ، ص ٥٤-٥٥ .
(٣٠) شريف ، محمد ، دراسات تاريخية ، ص ٨٠ .
(٣١) زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٤٨-٤٩.
(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠-٥١ .

(١٨٥٦ – ١٩٢٥) بترجمة الياذة هوميروس الى العربية شعراً . والف ناصيف اليازجي « مجمع البحرين »، وعمل ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ – ١٩٠٦) تسع سنوات في تعريب التوراة لليسوعيين (٣٣) . وهكذا ساهمت الارساليات التبشيرية المسيحية في النهضة الأدبية والثقافية العربية وكان لها دور في اليقظة القومية عند العرب .

ورافق نشاط هذه الارساليات نشاط مماثل في الأوساط المسلمة . ففي عام ١٨٧٣ تأسست جمعية « زهرة الآداب » في بيروت ، برخصة من الحكومة العثمانية على يد أسعد باشا متصرف بيروت آنذاك . كما انشأ نخبة من الأدباء المسلمين عام ١٨٨٠ « جمعية المقاصد الخيرية » التي ساهمت في انشاء مدرستين للبنين ومدرستين للبنات . وفي عام ١٨٧٨ ، انشئت « الجمعية الخيرية » في دمشق بأمر من واليها مدحت باشا ، المصلح العثماني المشهور . كما انشيء «المجمع العلمي الشرقي» في بيروت للبحث في العلم والصناعة . وانشئت « الجمعية التاريخية» عام ١٨٧٥ للبحث في العلم والتاريخ . وتأسست « جمعية الفنون الطبية » في دمشق عام ١٨٨٧م (٣٤) .

٤ – الطباعة

انشئت المطبعة الاولى بلبنان في دير قزحيا سنة ١٦٠١ وتلتها مطبعة دير مار يوحنا بالشوير سنة ١٧٣٣ .

وفي عام ١٧٥١ تأسّست مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس . وانشئت المطبعة الامريكية للمرسلين الامريكان عام ١٨٢٢ في مالطة ، ثم نقلت الى بيروت عام ١٨٣٤ . وتأسست المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين عام ١٨٤٨ . وكانت تطبع على الحجر ، ثم صارت تطبع على الحروف عام ١٨٥٤ . وانشئت المطبعة السورية

---

(٣٣) الجندي ، انور ، الفكر العربي المعاصر ص ٤٠–٤١ .

(٣٤) زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، ص ٤ ، ص ٨٢–٨٥ .

لصاحبها خليل الخوري عام ١٨٥٧ . وبعد ذلك بعشر سنوات تأسست مطبعة المعارف للبستاني . وفي عام ١٨٧٤ انشئت المطبعة الأدبية لخليل سركيس (٣٥) .

اما في مصر ، فكانت اول مطبعة عربية دخلت البلاد مع الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ ، وكانت تسمى المطبعة الأهلية . وظلت مصر مدة عشرين عاماً ، بعد خروج الفرنسيين بدون مطبعة ، حتّى انشأ محمد علي باشا « المطبعة الأهلية » عام ١٨٢١ في بولاق (٣٦) . وأنشأ الانبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط « المطبعة الأهلية القبطية » عام ١٨٦٠ . وبعد ذلك بستة أعوام أنشأ عبدالله أبو السعود « مطبعة وادي النيل » (٣٧).

وساهمت المطابع في نشر العديد من المؤلفات والكتب العربية القديمة ، واحياء التراث العربي وايصال المؤلفات الحديثة والكتب المترجمة الى أيدي الناشئة والمثقفين العرب . فكان لها دور كبير في النهضة الفكرية العربية الحديثة .

٥ ــ الصحافة

ظهرت اول الصحف في مصر أثناء الاحتلال الفرنسي لها ، اذ صدرت صحيفتان فرنسيتان سبقت الاشارة اليهما ، وصحيفة « التنبيه » العربية التي كان يحررها اسماعيل الخشّاب .

وفي عهد محمد علي صدرت « الوقائع المصرية » عام ١٨٢٨ باللغة التركية اول الأمر ثم أصبحت تصدر بالعربية والتركية ، واقتصرت بعد ذلك على العربية . وكان من اوائل المحررين فيها الشيخ رفاعه الطهطاوي والشيخ حسن العطّار والشيخ أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين والشيخ محمد عبده (٣٨) .

---

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٥٥-٥٦ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ .
(٣٨) طرازي ، فيليب دي ، تاريخ الصحافة ، ج ١ ، ص ٤٩-٥٠ .

أما أقدم الصحف السياسية غير الرسمية في مصر فهي صحيفة « وادي النيل » لصاحبها عبد الله ابو السعود ، وبدأ صدورها في عام ١٨٦٦ ، مرتين كل اسبوع (٣٩) . وتليها في القدم جريدة « نزهة الأفكار » لصاحبها ابراهيم المويلحي ، صدرت عام ١٨٦٩ . اما جريدة « الوطن » القبطية فقد صدرت في القاهرة عام ١٨٧٧ ، وصاحبها ميخائيل عبد المسيح . وفي عام ١٨٩٥ صدرت جريدة « مصر » القبطية لصاحبها تادرس شنوده (٤٠) .

وكان رزق الله حسون اول عربي أنشأ صحيفة عربية في دار الخلافة (استانبول) هي «مرآة الاحوال» وذلك عام ١٨٥٥م . وبعد ذلك بعامين اصدر اسكندر شلهوب جريدة « السلطنة » ثم اصدر خليل الخوري « حديقة الأخبار » عام ١٨٥٨ في بيروت . وأصدر أحمد فارس الشدياق عام ١٨٦٠ جريدة « الجوائب » في الاستانة . وفي العام نفسه اصدر المعلم بطرس البستاني « نفير سوريا » (٤١) . وصدرت جريدة « لبنان » عام ١٨٦٧ في بيت الدين . كما صدرت « الفرات » في حلب عام ١٨٦٧ .

وفي العراق انشأ مدحت باشا والي بغداد صحيفة « الزوراء » فكانت لسان حال الولاية واول صحيفة ظهرت في العراق (٤٢) . وتولى السيد محمود شكري الالوسي تحرير القسم العربي من هذه الجريدة التي ظلت تصدر بين ١٢٨٦ — ١٣٣٥هـ . واشترك في التحرير عبد الحميد بك الشاوي الذي يعتبر من أبرع أدباء العرب في الكتابة العربية والتركية في عصره (٤٣) .

وصدرت جريدة « الرائد التونسي » في تونس كصحيفة رسمية

---

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(٤٠) زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٦٦ .
(٤١) طرازي ، فيليب دى ، تاريخ الصحافة ، ج ١ ، ص ٤٥-٤٨ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .
(٤٣) الاثرى ، محمد بهجت ، محمود شكري الالوسي ، ص ٧٤-٧٥ .

اسبوعية في ٩ـ٧ـ١٨٦١ على يد محمد الصادق الباي الثالث عشر لتونس. وكانت على مثال «الوقائع المصرية» . وبعد ذلك بعامين أصدر حسين المقدم صحيفة «نتائج الأخبار» فكانت باكورة الصحف السياسية في المغرب العربي (٤٤) .

وأصدر الفرنسيون في الجزائر اول صحيفة عربية هناك هي «المبشر» عام ١٨٤٧ (٤٥) .

ايقظت الصحافة الأذهان ، وحملت الى قرائها لواء الدعوات السياسية والفكرية المختلفة : التجزئة والوحدة الوطنية والاقليمية ، الرابطة العثمانية والجامعة الاسلامية والقومية العربية فساهمت في نشوء رأي عام عربي .

وقد حدّد أديب اسحق في العدد الاول من صحيفة «مصر» القاهرية الصادرة في ٢٤ كانون الاول عام ١٨٧٩ أهداف صحيفته بما يلي :

«مسلكي ان اكشف حقائق الأمور ملتزماً جانب التصريح متجافياً عن التعريض والتلميح . وان أجلو مبادىء الحرية وآراء ذوي النقد ، وأن أبيّن ما يظهره البحث من عواقب الحوادث ومقاصد أهل الحلّ والعقد . وأن أوضح معايب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً (اولي الأمر) ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهماً (امناء الأمة) ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلا (ولاة النظام) .

«ومقصدي أن أثير بقية الحمية الشرقية، واهيّج فضالة الدم العربي، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين ، واحيي الغيرة في قلوب العارفين ، ليعلم قومي ان لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه وليخرجوا من خطة الخسف وينبذوا عنهم كل مدلس يشتري بحقوقهم ثمناً قليلاً . ويذيقوا الخائن عذاباً وبيلا . ويستميتوا في مجاهدة الذين يبيعون أبدانهم وأموالهم وأوطانهم ولهم من الأجانب بما يطمعون فيه رفعة المقام . فمن

---

(٤٤) طرازي ، فيليب دى ، تاريخ الصحافة ، ج ١ـص ٦٤ـ٦٦ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (٤٦) .

٦ ـ الترجمة

بدأت حركة الترجمة في بلاد الشام في مطلع القرن التاسع عشر(٤٧) ، ولكنها اقتصرت ، في بادىء الأمر ، على الكتب الدينية ، واتخذت طابعاً فردياً غير منظم . اما في مصر فقد اعتمد عليها محمد علي باشا كوسيلة من وسائل تحديث الدولة المصرية الناشئة . فأسس مدرسة للالسن سنة ١٨٣٥ ، وتولى رفاعه الطهطاوي الاشراف عليها . ثم أنشأ قلماً للترجمة سنة ١٨٤١ . واهتم محمد علي بترجمة الكتب العلمية والأدبية الهامة من اللغات التركية والفرنسية والايطالية والفارسية . غير ان حركة الترجمة ضعفت في عهدي عباس وسعيد ، فاغلقت مدرسة الالسن ، والغي قلم الترجمة . ثم استؤنفت حركة الترجمة بشكل واسع في عهد الخديوي اسماعيل . فأعاد فتح مدرسة الالسن سنة ١٨٦٧ . واستعان بعدد من الكتّاب والأدباء الذين وفدوا الى مصر من بلاد الشام ، فساهم هؤلاء بصورة فعالة في حركة الترجمة والنهضة العلمية والأدبية التي عاشتها مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وتولت الصحف والمجلات أمثال « المقتطف » و« الهلال » وغيرهما ترجمة البحوث والمقالات ونشرها على صفحاتها . ولا يخفى ان حركة الترجمة هذه قد مكّنت العرب من الاطلاع على ثقافة الغرب وعلومه وما توصل اليه من آراء ومبادىء سياسية واقتصادية واجتماعية .

---

(٤٦) الجندي ، انور ، الفكر العربي المعاصر ، ص ٥٧ .

(٤٧) ترجمت بعض المؤلفات الغربية الى العربية في القرن الثامن عشر مثل كتاب « تاريخ روسيا » الذي ترجمه القس انطوان صباغ والياس نقولا فخر عام ١٧٧٢ . نجم ، محمد ، العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث . مقالة في كتاب « الفكر العربي في مئة سنة » ، ص ٥٤ .

٧ ـ الجمعيات العلمية

تميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر بظهور عدد من الجمعيات العلمية والأدبية في بلاد الشام ، لعبت دوراً كبيراً في النهضة الفكرية العربية . وكانت اولى هذه الجمعيات الجمعية السورية و« جمعية الآداب والعلوم » التي انشئت في بيروت سنة ١٨٤٧ بمساعي المبشرين الامريكان ، وذلك بقصد «نشر العلوم وترقية الفنون بين الناطقين بالعربية » . وتلاها « الجمعية العلمية السورية » سنة ١٨٥٢ و« جمعية شمس البر » سنة ١٨٦٩ التي كانت فرعاً لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين في انكلترا . وانشأ أسعد باشا متصرف بيروت العثماني « جمعية زهرة الآداب » سنة ١٨٧٣ . كما انشأت الفتيات المتعلمات « جمعية باكورة سورية » سنة ١٨٨١ . وتولت نخبة من الادباء المسلمين ، قبل ذلك بعام واحد ، تأسيس « جمعية المقاصد الخيرية » . وحذا الروم الارثوذكس حذوهم فانشأوا في ذلك العام « جمعية زهرة الاحسان » لتعليم الفتيات وترقية نفوسهن (٤٨) .

اما الجمعيات العلمية والأدبية في مصر فقد انشأها الفرنسيون المقيمون فيها . وأشهرها المعهد المصري **L'Institut Egyptien** الذيتأسس عام ١٨٥٩ والجمعية الجغرافية الخديوية عام ١٨٧٥ (٤٩) .

٨ ـ الاستشراق

يعود اهتمام الاوروبيين بالانتاج الفكري العربي والاسلامي الى العهود الاسلامية الاولى . وأخذ هذا الاهتمام يزداد مع الزمن فكان من العوامل الرئيسية في نهضة اوروبا العلمية والأدبية في مطلع العصور الحديثة . وتولت الكنيسة الكاثوليكية العناية بالمؤلفات العربية تنشرها

---

(٤٨) زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة اللعربية ، ج ٤ ، ص ٧٩-٨٤ .
(٤٩) زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٩٠ .
شيخو ، لويس ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ٢، ص ٧٣ .

وترجمها الى اللاتينية . وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر ، انشأ الرهبان اليسوعيون مدرسة لتعليم اللغة والآداب العربية في روما . وأخذت الارساليات التبشيرية في البلاد تنقل المؤلفات العربية الى اوروبا ، فامتلأت بها مكتبات باريس ولايدن واكسفورد ولندن وبرلين وفيينا وروما (٥٠) .

وانتقل الاهتمام بالآثار الفكرية عند العرب من الكنيسة الى الدول الاوروبية . وكانت فرنسا اولها في هذا المضمار . فقد انشئت مدرسة لتعليم اللغات الشرقية الحيّة في باريس عام ١٧٩٥ . وسارت بقية الدول على النهج الفرنسي ، فظهر عدد من المستشرقين الذين تعلموا العربية في المعاهد والمدارس الغربية وتمكن بعضهم من زيارة البلاد العربية وجمع العديد من المخطوطات التي عادوا بها الى اوروبا فحقّقوها ونشروها . وتشكلت الجمعيات التي تعنى بالتراث العربي والشرقي ، فكانت الجمعية الآسيوية الباريسية عام ١٨٢١ وجمعية بريطانيا العظمى وايرلندا الاسيوية الملكية عام ١٨٢٣ والجمعية الاسيوية الالمانية عام ١٨٤٥ . وأصدرت هذه الجمعيات المجلات العلمية التي تناولت تراثنا العربي بالدراسة والتحليل (٥١) .

أما أشهر المستشرقين في القرن التاسع عشر فهم : من الفرنسيين البارون دوساسي Baron de Sacy صاحب الفضل في انشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية والجمعية الاسيوية الباريسية ، وايتيان كاترمير E. Quatremire وديلا غرانج de la Grange وجوزيف رينو J. Reinaúd والعلاّمة كاسان دو برسفال Caussin de perceval ودوتاسي G.de Tassy والبارون دوسلان de Slane وغويار Guyard . ومن المستشرقين الالمان الذين ظهروا في هذا القرن ايفالد H.Ewald وروديجر H.Rodiger وفون كريمر Von Kremer ويوحنا جلد مايستر Joh. Gildmeister

---

(٥٠) شيخو ، لويس ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ١ ، ص ٧-١٠ .
(٥١) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

والدكتور شبرنجر Sprenger .

أما أشهر الهولنديين فبول دي يونغ P. de Jong وراينهارت دوزي R. Dozy . واشتهر عدد آخر من المستشرقين الانكليز أمثال ادوارد بالمر E. Palmer ووليم رايت W. Wright (٥٢) ، وغيرهما من المستشرقين الطليان والأسبان والسويديين والدنماركيين الذين عنوا بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها ، وتأليف الكتب العديدة في تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم . فساهموا مساهمة جلى في نهضة العرب الحديثة .

---

(٥٢) شيخو ، ج ، ص ٦١-٦٤ .

الفصل الأول

الاتجاهات الدينية

وما كل قول بالقبول مقابل ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله فذلك قول جل ذاعن الـرد
واما اقاويل الرجـال فانها تدور على حسب الأدلة والنقد

من شعر الشيخ محمد بن اسماعيل
(١٠٩٥ – ١١٨٣هـ)

كانت ردود الفعل الاولى ، عند المفكرين العرب ، على مظاهر الضعف والفساد والانحلال التي أصابت مجتمعهم ، ردوداً دينية . وكانت أقوى الحركات الفكرية عندهم وأكثرها اصالة هي الحركات الدينية . فقد أثار الجمود الفكري والتقليد الأعمى لدى الأجيال المتعاقبة من علماء المسلمين ، وما علق بالاسلام ، منذ أن اغلق باب الاجتهاد في القرن الهجري الرابع ، من ضلالات وبدع ، وما نشأ في ظلاله من طرق صوفية اعتمدت المبالغة والتطرّف ، وابتعدت بما ابتدعته من احتفالات وحلقات للذكر وممارسات شاذة ، عن جوهر العقيدة ، كما أثار الجهل بأصول الدين والعبادات ، عدداً من العلماء المتنورين أدركوا الحاجة الى الاصلاح وايقاف التدهور الديني والاجتماعي الذي يعيشه المسلمون . ففي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ظهر تقي الدين أحمد بن تيمية (١) (٦٦١ – ٧٢٨هـ ، ١٢٦٢ – ١٣٢٧م) ، فدعا الى تحرير الاسلام من بدع الصوفية وهاجم كبار المتصوفة أمثال ابن سبعين وابن الفارض وابي الحسن الحرلي وابن عربي والعفيف التلمساني . وقال في هذا الصدد :

« هكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون ان يفعلوا بالمؤمنين . يريدون ان يدعوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، وهي المخلوقات والأوثان والأصنام وكل ما عبد من دون الله . ويريدون ان يردوا المؤمنين على أعقابهم ، يردونهم عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

---

(١) ولد تقي الدين احمد بن تيمية في حران ، وانتقل مع والديه الى دمشق وهو في السادسة من عمره ، اثر غارة شنهـا التتار على حران . ودرس في المدرسة الحنلية في دمشق ، علوم الدين والادب والفلسفة ، وبرع في علوم التفسير والاصول والف كتابين هامين هما : « السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية » « ومجموعة رسائل » في اربعة اجزاء .

والبعث بعد الموت ، ويصبيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى .... » (٢) .

وانتقد جمود الاشعرية وفقهائها في عصره . واستنكر زيارة القبور والاستغاثة بالانبياء والأولياء . ونادى بفتح باب الاجتهاد في الفقه . وافتى بخلاف المذاهب الدينية الأربعة (المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي) التي وقع عليها اجماع الفقهاء المسلمين فأثار بدعوته هذه حنق المتصوفة وغضب الفقهاء والأشعرية منهم بشكل خاص (٣) .

وأكّد ابن تيمية على صلاح أولي الأمر كضرورة لصلاح الأمّة والمجتمع فقال : « وأولو الأمر صنفان : الامراء والعلماء وهم الذين اذا صلحوا صلح الناس . فعلى كل منهما ان يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة الله ورسوله وأتباع كتاب الله » (٤) .

ونادى بالشورى كوسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي والسياسي فقال : « لا غنى لولي الامر عن المشاورة فان الله تعالى قال « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ... » (٥) .

وسار على نهجه تلميذه شمس الدين محمد بن قيم بن جوزية (٦٩١ — ٧٥١هـ / ١٢٩١ — ١٣٥٠م) ، وتولى نشر أفكاره في مصر وبلاد الشام ، والف كتاباً في اصول القضاء الشرعي هو « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » فكان من خيرة الكتب في هذا الموضوع . وكان لآراء هذين الفقيهين الجليلين اثرها في الأجيال التالية ، وخاصة فقهاء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد . واستمدّت الحركات الاصلاحية السلفية معظم مبادئها وتعاليمها من ارائهما وتعاليمهما .

---

(٢) تيمية ، تقي الدين احمد بن ، حقيقة مذهب الاتحاديين ، الجزء الرابع ص ٤٥.
(٣) الصعيدي ، عبد المتعال ، المجددون في الاسلام ، ص ٢٦ — ٢٦٦ .
(٤) تيمية ، تقي الدين ، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، ص ١٧٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

الحركات والدعوات الاصلاحية السلفية

١ ـ الدعوة الوهابية (٦)

كانت الدعوة الوهابية أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة . وتنسب الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بني تميم . ولد في قرية العيينة في نجد عام ١١١٥هـ / ١٧٠٣م . وتعلّم دروسه الأولى بها . ثم انتقل الى المدينة المنورة فتتلمذ على شيوخها . وأقام مدة في البصرة وبغداد ، ولم يتمكن من زيارة بلاد الشام ، فعاد الى بلده العيينة . وخرج منها يدعو الناس الى افكاره الجديدة (٧) . وقد درس ابن عبد الوهاب كتب ابن تيمية وابن جوزية في الاصلاح الديني ، فتأثر بهما كثيراً واستشهد بهما وبالامام أحمد بن حنبل في معظم رسائله وفتاويه . وقد الف محمد بن عبد الوهاب عدة كتب ورسائل ضمنها آراءه في الاصلاح الديني . وأهم كتبه هي :

١ ـ كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد .
٢ ـ كتاب الكبائر .
٣ ـ كتاب كشف الشبهات .
٤ ـ كتاب السيرة المختصرة .
٥ ـ كتاب السيرة المطولة .
٦ ـ كتاب مختصر الهدى النبوية .
٧ ـ كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .
٨ ـ كتاب مختصر الشرح الكبير .

---

(٦) الوهابية كلمة اطلقها الخصوم على هذه الدعوة ، اما انصار الدعوة فيسمون انفسهم « الموحدين او المسلمين » (العقاد ، صلاح ، دعوة حركات الاصلاح السلفي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ١٩٥٨ ص ٨٦). رضا ، رشيد المنار والازهر ، ص ٢٩ .

(٧) غنام، حسين بن: تاريخ نجد ص ٧٥ـ٨٠، الاحسائي، محمد بن عبد الله : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ص ١٢٥ . بشر ، عثمان بن : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ص ١٦-٢٢ .

٩ ـ كتاب مختصر الانصاف (٨) .

تقوم الدعوة الوهابية على المبادىء التالية :

١ ـ العودة بالاسلام الى صفائه الاول : ذلك ان العقيدة الاسلامية في عهد الرسول وخلفائه الراشدين كانت صافية نقية . فكانت مصدراً لعظمتهم ومبعثاً لانتصاراتهم وفتوحاتهم الواسعة ، فلما تدنت هذه العقيدة الى مستوى الشرك اصابهم الذل ونهشهم الانحلال والفساد . ومن هنا رد محمد بن عبد الوهاب سبب ضعف المسلمين وتأخرهم الى ضعف عقيدتهم . ورأى الحل في العودة الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، واعتبر ما عداهما او ما خالفهما مصدراً للبدع الداخلة على الاسلام .

٢ ـ التوحيد : ويتمثل في شهادة « أن لا اله الا الله » فالله هو الخالق الواجب عبادته والاستغاثة به . ويقول محمد بن عبد الوهاب في رسالته الى عبد الله بن سحيم المطوع (المعلم والمرشد في الدعوة الوهابية) من أهل « المجمعة » في تعريف التوحيد :

« التوحيد نوعان : توحيد الربوبية ، وهو ان الله سبحانه متفرّد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم . وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام ، لان اكثر الناس مقرون به ، قال تعالى « قل من يرزقكم من السماء والأرض ام من يملك السمع والابصار » الى قوله تعالى « افلا تتقون » . وان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الالوهية وهو : ان لا يعبد الا الله ، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلّم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم ان الله أرسله ليوحّد ويدعي احد من دونه لا الملائكة ولا الأنبياء ، فمن تبعه ووحّد الله

(٨) غنام، حسين بن، تاريخ نجد، ص ٨٤-٨٥. الاحسائي ، محمد ، تحفة المستفيد ، ص ١٢٧ . سعيد، امين ، تاريخ الدولة السعودية ج ١ ص ٤٧-٤٨ .

فهو شهد ان « لا اله الا الله » ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذي جحد « لا الله الا الله » مع اقراره انه لا يخلق ولا يرزق الا الله » (٩) .

ويؤكد على التوحيد بقوله في رسالة « كشف الشبهات » :

« لا خلاف ان التوحيد لا بد ان يكون بالقلب واللسان والعمل فان اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً . فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس » (١٠) .

ومن هذا المبدأ هاجم العادات التي كانت منتشرة في العالم العربي مثل التبرك بالاولياء والتمسح بالمشايخ والتقرّب الى الله بزيارة قبور الصالحين ، واعتبر هذه العادات شركاً . فهو يقول في رسالة موجّهة الى عبد الرحمن بن ربيعة مطوع اهل ثادق :

« فاعلم ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم أفراد الله بالعبادة كلها ، ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل أو فضلاً عن غيرهم. فمن ذلك لا يدعي الا اياه كما قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ثم دعا نبياً او ولياً عند قبره ، فقد اتخذ الهين اثنين ، ولم يشهد ان لا اله الا الله ، لان الاله هو : المدعو . كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير او عبد القادر او غيرهم ، وكما يفعل هذا عند قبر زيد وغيره ، ومن ذبح لله الف ضحية ثم ذبح للنبي ولغيره ، فقد جعل الهين اثنين ، كما قال تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومماتي ومحياي لله رب العالمين) والنسك هو الذبح وعلى هذا فقس » (١١) .

وأنكر الشفاعة من غير الله والنذر لغيره ، اذ قال في رسالته الى عبد الله بن سحيم السالفة الذكر :

---

(٩) غنام ، حسين بن ، تاريخ نجد ، ص ٢٩٩ . ال الشيخ، عبد الرحمن ، فتح المجيد ، ص ١١.

(١٠) المصدر نفسه ص ٢٥٠ . آل الشيخ ، عبد الرحمن ، فتح المجيد ، ص ٩٣ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٣٩٥ . آل الشيخ ، عبد الرحمن، فتح المجيد ، ص ١٣٨-١٤٧

« فكل من غلا في نبي او صحابي او رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الالهية ، مثل ان يقول يا سيدي فلان اغثني او أنا في حسبك ونحو هذا ، فهذا كافر يستتاب . فان تاب والا قتل ، فان الله سبحانه انما ارسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه اله آخر ... »، ويتابع في رسالته هذه :

« واعلم ان المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي (صلعم) بأنهم يدعون الاولياء الصالحين في الرخاء والشدة ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات » (١٢) .

ويقول في رسالته الى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم :

« والنهي عن الشرك وهو ان لا يدعى أحد من دونه (الله) من الملائكة والنبيين فضلاً عن غيرهم . فمن ذلك انه لا يسجد الا لله ، ولا يركع الا له ، ولا يدعى لكشف الضر الا هو ، ولا لجلب الخير الا هو ، ولا ينذر الا له ، ولا يحلف الا به ، ولا يذبح الا له ، وجميع العبادات لا تصلح الا له وحده لا شريك له .... » (١٣) .

واعتبر زيارة القبور بدعة ، بما فيها زيارة قبر الرسول في المدينة المنورة . وانكر بناء المآذن في المساجد والقباب على القبور واعتبرهما بدعة (١٤) .

٣ ـ أنكر تأويل القرآن وكفّر كل من يقول بذلك ، واعتمد على قوله عز وجل « ولا يعلم تأويله الا الله » (١٥) .

٤ ـ فتح باب الاجتهاد بعد ان ظل مغلقاً منذ القرن الرابع الهجري فكان له فضل كبير في تحرير الفكر الديني عند المسلمين ، بعد ان ظل مكبلاً طوال ثمانية قرون .

٥ ـ دعا الى التقشف في العيش والى إجبار المسلمين على الصلاة

---

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ آل الشيخ ، عبد الرحمن ، فتح المجيد ، ص ١٥٣-١٧٥

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ . آل الشيخ ، عبد الرحمن، فتح المجيد ، ص ٢٢٤-٢٣٨

(١٤) لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٨٧ .

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٨٨-١٩٠ .

والزكاة والقيام بأركان الاسلام بحذافيرها ، وهدفه من ذلك اعادة بناء المجتمع الاسلامي .

صادفت دعوة محمد بن عبد الوهاب النجاح بعد ان قبل بها امير الدرعية في نجد ، محمد بن سعود ، وتعاهد مع ابن عبد الوهاب على العودة الى صفاء الاسلام الاول ، ونشر الدعوة بالحجة والسيف ، ومحاربة البدع وما علق بالاسلام من الشوائب والضلالات . ولما انتشرت الدعوة في شبه جزيرة العرب ، ومدّ الوهابيون نشاطهم الى أطراف بلاد الشام والعراق كلف السلطان العثماني ولاة العراق وبلاد الشـام بمهمة القضاء عليهم . الا انهم باؤا بالفشل . ولما اشتد الخطر الوهابي في مطلع القرن التاسع عشر عهد السلطان العثماني الى محمد علي باشا والي مصر بقتالهم فتولى محمد علي الأمر ، وبعث بحملات عدة الى شبه جزيرة العرب تمكنت مـن هزيمة الوهابيين وتقليص نفوذهم وحصره في نجد . ومنذ ان انسحبت الجيوش المصرية من شبه جزيرة العرب عام ١٨٤١ ، عاد الوهابيون ، بقيادة ال سعود الى نشاطهم وتمكنوا من بعث الدولة السعودية .

ومهما قيل في الحركة الوهابية ، فقد صدمت نفوس المسلمين بعنفها وشدة تصلبها وعدم تسامحها تجاه الطقوس والعادات السائدة عند مجموعة المسلمين ، ورفضها للطرق الصوفية والمدارس السنيّة المعترف بها . ولذلك فقدت عطف وتأييد السنّة واعتبروها هرطقة .

وبالمقابل انتشرت أفكار محمد بن عبد الوهاب في جميع أنحاء العالم الاسلامي . فقد أعجب بهذه الدعوة سيدي محمد بن عبد الله ، سلطان مراكش (١٧٥٧ – ١٧٩٠) عن طريق الحجاج المغاربة . فقام باتلاف آلاف الكتب الأشعرية ، ودمّر بعض الزوايا ومنها زاوية بوجاد . واعتاد أن يقول في مجالسه : « انني مالكي المذهب وهابي المبدأ » (١٦) . وكانت الحركة الوهابية مثلاً يقتدى في الثورة على الحكم الفاسد والمجتمع

---

(١٦) Julien, Ch - A: *Histoire de l'Afrique du Nord*, p. 243

المنحل ولو كان حكماً مسلماً . وكانت هذه الحركة مصدر الهام للحركات والدعوات الاسلامية في القرن التاسع عشر والتي قادها شريعة الله وسيّد أحمد ضد سلطة المغول المنهارة في الهند ، وتلك التي تولى زعامتها محمد بن علي السنوسي احتجاجاً على الانحلال الاجتماعي ومساوىء الحكم الاسلامي المخالف للشريعة . كما كانت مثالاً لثورة المهدي في السودان ضد السيطرة الخديوية ـ البريطانية (١٧) .

٢ ـ مذهب الشوكاني

مؤسس هذا المذهب . محمد بن علي الشوكاني المولود عام ١١٧٣هـ / ١٧٦٠م في هجرة شوكان باليمن . تعلّم في صنعاء ، وتتلمذ على كبار علمائها . تولى التدريس ولما يبلغ العشرين من عمره . وقام بالافتاء في الوقت نفسه مجاناً على غير عادة المفتين والقضاء في عصره ، اذ كان العلماء يتكالبون على القضاء بشتى أنواعه ولا يكتفون بمخصصاتهم المعلومة بل كانوا يطمعون بأموال المتخاصمين .

وفي عام ١٢٠٩ هـ تولى الشوكاني القضاء الأكبر في عهد الإمام المنصور علي (١١٨٩ ـ ١٢٢٤هـ) وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام ١٢٥٠هـ . وحظي في آخر أيامه بمنصب الوزارة الى جانب القضاء الأكبر (١٨) .

كان شعب اليمن في عهده ينقسم الى شافعية وزيدية وباطنية اسماعيلية . ويعم البلاد فساد الحكم ، وانحطاط المجتمع ، وتسلّط الأسرة الحاكمة ، والفتن الداخلية التي لا تنتهي . اما المستوى الفكري الثقافي فقد انحدر . وانتشرت البدع والضلالات في الدين من عبادة للأولياء ، وتشفع بالصالحين ، وزيارة للقبور ، وتقليد أعمى للأئمة

(١٧) جيب ، أ.ر : الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، ص ٥٤-٥٥ .
(١٨) الشوكاني ، محمد علي : البدر الطالع ، ص ١-٢٥ .

السابقين (١٩) . في هذه الأوضاع برز الشوكاني بآرائه الجريئة فكانت صدى لآراء محمد بن عبد الوهاب .

الف كتباً عديدة بلغت حوالي مئة كتاب ، أهم المطبوع منها ما يلي :

١ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير .
٢ ـ نيل الاطار وشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (اربعة أجزاء)
٣ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (ويحتوي على تراجم أعيان العلماء في شتى البلاد الاسلامية ، الذين لم يتقيدوا بالتقليد ، جزءان) .
٤ ـ ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول .
٥ ـ الدرر البهية وشرحها الدراري المضيئة .
٦ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .
٧ ـ تحفة الذاكرين وشرح عدة الحصن الحصين للامام الجزري .
٨ ـ قطر الولي على حديث الولي (وعنوانه بعد التحقيق والطبع « ولاية الله والطريق اليها ») .
٩ ـ اتحاف الأكابر باسناد الدفاتر .
١٠ ـ تنبيه الاعلان على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام (وعنوانه بعد التحقيق والطبع « كشف الشبهات عن المشتبهات ») .
١١ ـ الدر النضيد في اخلاص التوحيد .
١٢ ـ القول المفيد في حكم التقليد .
١٣ ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٢٠) .

ويمكن تلخيص المبادىء التي اعتمدها الشوكاني في مذهبه بما يلي :

---

(١٩) الشوكاني ، محمد علي : السيل الجرار ، ص ١٤-٢٤، ٥ - ٢٦ .
(٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٠-٤١ .

١ ـ الاعتماد على كتاب الله وسنة نبيه في الأحكام الدينية ، واعتبار ما عدا ذلك من اجماع وقياس عرضة للنقد وقابلاً للصحة والخطأ .

٢ ـ تنقية الدين الاسلامي مما لحق به من بدع وضلالات معتمداً في ذلك على مبدأ التوحيد الذي سبقه اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد لخّص البدع والضلالات الدينية في كتابه « الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد » (٢١) ، مثل الاستغاثة والتشفّع والتوسل والحلف بغير الله وزخرفة القبور والعيافة (التشاؤم والتفاؤل بالطير وحركاته واسمه) ونداء الأموات والذبح والنذر لهم .

٣ ـ رفض التقليد : وقد أثبت بطلانه بكتابه « القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد » (٢٢) وقال في هذا الصدد :

« أمّا التقليد فهو قبول أقوال الغير من غير حجة . فمن اين يحصل به علم وليس له مستند إلى قطع ، وهو ايضاً في نفسه بدعة محدثة . لانا نعلم بالقطع ان الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن في زمانهم وعصورهم مذهب رجل معين يدرك ويقلّد . وانما كانوا يرجعون الى الكتاب والسنة فان لم يجدوا نظروا الى ما أجمع عليه الصحابة فان لم يجدوا اجتهدوا واختار بعضهم قول صحابي فرآه الأقوى في دين الله تعالى . ثم كان القرن الثاني (للهجرة) وفيه كان ابو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل . فان مالكاً توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وتوفي ابو حنيفة سنة خمسين ومائة . وفي هذه السنة ولد الإمام الشافعي وولد ابن حنبل سنة أربع وستين ومائه . وكانوا على منهاج من مضى . لم يكن في عصرهم مذهب معين يتدارسونه .

---

(٢١) الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد ، تحقيق الشيخ محمد منير الدمشقي ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ١٣٥١ هـ .

(٢٢) القول المفيد في ادلة الاجتهاد والتقليد ، تحقيق الشيخ ابراهيم حسن الانبابي الشافعي ، ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ.

« وعلى قريب منهم كان ابتداعهم . فكم من قولة لمالك ونظرائه خالفه فيها أصحابه ... وان حدوث التمذهب بمذهب الأئمة الأربعة انما كان بعد انقراض الأئمة الأربعة وانهم كانوا على نمط من تقدمهم من السلف في هجر التقليد وفي عدم الاعتداد به وان هذه المذاهب انما أحدثها عوّام المقلدة لأنفسهم من دون أن يأذن بها إمام من الأئمة المجتهدين » (٢٣) .

٤ ـ الدعوة الى فتح باب الاجتهاد في وقت عزف عنه العلماء . وقد أوضح ذلك بقوله :

« ومما يدعو العلماء الى مهاجرة أكابر العلماء ومقاطعتهم انهم يجدونهم غير راغبين في علم التقليد الذي هو رأس مال فقهائهم وعلمائهم والمفتين منهم ، بل يجدونهم مشتغلين بعلوم الاجتهاد وهي عند هؤلاء المقلدة ليست من العلوم النافعة بل العلوم النافعة عندهم هي التي يتعجلون دفعها بقبض جرايات التدريس وأجرة الفتاوى ومقررات القضاء... » (٢٤).

وبيّن مقاومة علماء التقليد للمجتهدين بقوله :

« فاذا تكلم عالم من علماء الاجتهاد ـ والحال هذه ـ بشيء يخالف ما يعتقده المقلدة قاموا عليه قومة جاهلية . ووافقهم على ذلك أهل الدنيا وأرباب السلطان . فان قدروا على الاضرار به في بدنه وماله فعلوا ذلك . وهم بفعلهم مشكورون عند أبناء جنسهم من العامة والمقلدة ، لانهم قاموا بنصرة الدين بزعمهم وذبوا عن الأئمة المتبوعين وعن مذاهبهم التي اعتقدها أتباعهم . فيكون لهم بهذه الأفعال التي هي عين الجهل والضلال من الجاه والرفعة عن أبناء جنسهم ما لم يكن في حساب » (٢٥).

وهاجم القائلين باغلاق باب الاجتهاد قائلاً :

« ومعنى هذا الانسداد المفترى والكذب البحت انه لم يبق في أهل

---

(٢٣) الشوكاني ، محمد علي : القول المفيد ، ص ١٦-١٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٨ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

الملة الاسلامية من يفهم الكتاب والسنة . واذا لم يبق من هو كذلك لم يبق سبيل اليهما . واذا انقطع السبيل اليهما فكم حكم فيهما لا عمل عليه ولا التفات اليه سواء وافق المذهب او خالفه ، لم يبق من يفهمه ويعرف معناه الى آخر الدهر . فكذبوا على الله وادّعوا عليه سبحانه انه لا يتمكن من ان يخلق خلقاً يفهمون ما شرعه لهم وتعبدهم به ، حتّى كان ما شرعه لهم من كتاب وعلى لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليس بشرع مطلق بل شرع مقيّد مؤقت الى غاية قيام هذه المذاهب وبعد ظهورها لا كتاب ولا سنة . بل قد حدث من يشرع لهذه الأمّة شريعة جديدة ويحدث لها ديناً آخر ونسخ بما رآه من الرأي وما ظنه من الظن ما يقدمه من الكتاب والسنة» (٢٦) .

وهاجم علماء الزيدية (الشيعة) المعاصرين له اذ قال «وما ذكرنا فما سبق من انه كان في الزيدية والهدوية (نسبة الى الهادي) ، في الديار اليمنية انصاف في هذه المسألة بفتح باب الاجتهاد . فذلك انما هو في الأزمنة السابقة كما قررناه فيما سلف . واما في هذه الأزمنة فقد أدركنا منهم من هو أشد تعصباً من غيرهم . فانهم اذا سمعوا برجل يدّعي الاجتهاد ويأخذ دينه من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم قاموا عليه قياماً تبكي عليه عيون الاسلام .... » (٢٧) .

٥ ـ جمع الأحاديث الصحيحة في كتابه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار» . واعتمد على هذه الأحاديث في معظم آرائه وفتاويه . ويعتبر كتابه «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» آخر كتبه وأخطرها ، اذ ناقش فيه أموراً هامة مثل شروط الإمامة وشروط الاجتهاد ، وبيّن بطلان كثير من الآراء المتداولة حول هذين الموضوعين . وأثبت بطلان بعض العادات والبدع التي دخلت العبادة مثل ادخال عبارة «حي على خير العمل» في الآذان ،

---

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٧-٢٨

والجمع بين الصلاتين بغير عذر ، وعدم رفع اليدين عند تكبيرة الأحرام ، وتحريم قول « آمين » خلف الإمام بعد قراءة الفاتحة .

٦ ــ الاصلاح الاجتماعي : برزت أفكاره الاصلاحية في كتابه « السيل الجرار » وخاصة بالنسبة الى دعوته المرأة الى العمل ومساعدة أهلها وزوجها في كسب عيشهم (٢٨) .

والحقيقة ان الشيخ الشوكاني قد نادى بالأفكار نفسها التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الا انه امتاز عن الأخير بكثرة مؤلفاته التي ضمنها اجتهادات وآراء اصيلة وجريئة تدل على فهم عميق للعقيدة الاسلامية ونظرة علمية وموضوعية للاصول والأحكام الدينية .

٣ ــ الالوسيان في العراق

صاحب هذا الاتجاه ابو الثناء شهاب الدين محمود الالوسي ، المولود في بغداد عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م . تعلّم القراءة والكتابة على يد والده الشيخ محمود بن عبد الله الالوسي ، ودرس العلوم الدينية على يد كبار مشايخ زمانه . ولما بلغ الواحد والعشرين من عمره ، عمل في التدريس والإفتاء . وعُيّن أميناً للافتاء في زمن الوزير علي رضا باشا . وتعرّض للأذى والسجن سنة ونصف السنة . ثم عُيّن في منصب « مفتي الحنفية في بغداد ». ولما نقل علي رضا باشا عام ١٨٤٠ وجاء بعده الوزير محمد نجيب باشا عزل الالوسي من منصب الافتاء ، وحرم من جميع وقف جامع المرجان في بغداد وعاش حياة ضنك وفقر شديد . فاضطر الى السفر الى الآستانة ليعرض ظلامته على المسؤولين ، وذلك عام ١٨٥٠ . ولما بلغ دار الخلافة قابل شيخ الاسلام والصدر الأعظم . وقدّم للاول نسخة من كتابه « روح المعاني » في تفسير القرآن الكريم . فأجلّه الصدر الأعظم وأمر باعادة نصف أوقاف جامع المرجان اليه . ولقي ترحيباً حاراً في الآستانة وحيثما حل . ثم عاد الى بغداد عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م.

---

(٢٨) الشوكاني ، محمد علي : السيل الجرار ، ص ٣٠-٣٤ .

ولم يطل مكوثه فيها اذ توفي عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م (٢٩) .

أما أشهر كتبه التي توضح اتجاهه الفكري فهي :

١ - « البيان : شرح البرهان في اطاعة السلطان » . وهو شرح لكتاب الشيخ عبد الوهاب ياسين حجي زاده « البرهان في اطاعة السلطان ». كلفه الوزير علي رضا باشا به . والكتاب في مجمله بحث في شرعية وجود الدولة العثمانية ووجوب اطاعة سلطانها على جميع المسلمين . وفي الكتاب رد على ادعاءات الشيعة وتفنيد لفكرة المهدي المنتظر (٣٠) .

٢ - « سفرة الزاد لسفرة الجهاد » . والكتاب بحث في الجهاد وبيان فضائله وأهميته بالنسبة للمسلمين . وقد الفه الالوسي بمناسبة هجوم روسيا القيصرية على مناطق القوقاز التابعة للدولة العثمانية عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م .

٣ - « النفحات القدسية في الرد على الامامية » . وهو رد على عقائد الشيعة المخالفة لعقائد أهل السنة . عالج فيه موضوع الإمامة ، وأثبت بطلان دعوى الشيعة بتعيين الإمام ، كما برهن على عدم عصمته (٣١) .

٤ - « نهج السلامة الى مباحث الإمامة » . كان آخر مؤلفاته وتوفي قبل ان يكمله (٣٢) .

٥ - « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » وهو أهم كتبه جميعاً . اعتمد فيه على المبادىء التالية في تفسير الآيات القرآنية :

أ - تفسير القرآن بالقرآن أي تفسير الآيات القرآنية بقريناتها .

---

(٢٩) عبد الحميد ، محسن ، الالوسي مفسراً ، ص ٤١-٥٣ .
الالوسي ، شهاب الدين محمود : غرائب الاغتراب ، ص ٥-٢٤ .
(٣٠) عبد الحميد ، محسن : الالوسي مفسراً ، ص ١١٠-١١١ .
(٣١) المصدر السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ .
(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١١٧

ب ـ تفسير القرآن بالحديث النبوي الشريف .

جـ ـ التفسير باللغة وذلك بالدخول في فقه اللغة ومحاولة فهم الألفاظ القرآنية بمعزل عن التكلف في حملها أكثر مما تطيق في تفسيره .

د ـ التفسير بالنحو ، وذلك بالاهتمام بالاعراب ومناقشة المشاكل النحوية .

هـ ـ بيان المسائل البلاغية في التفسير .

و ـ بيان أسباب النزول . وذلك لوضع كل آية قرآنية في إطار الموضوع والحدث التاريخي الذي رافقها .

ز ـ التفسير بالاشارة . اي فهم أمور معينة تتجاوز ظاهر الآيات ، مع الاعتقاد ان الظاهر هو المقصود الاول ، وهو نوع من أنواع التفسير الباطني او التأويل .

ح ـ بيان اختلاف العلماء في تفسير الآيات .

ط ـ استعمال العقل في النفي والاثبات والترجيح .

وبلجأ في التفسير الى علم اللغة لشرح المفردات والى النحو والبيان والبديع وعلم الكلام والقراءات وأصول الفقه (٣٣) .

وقد ظهرت خصائصه الفكرية في كتاب « روح المعاني » السابق الذكر وهي :

١ ـ تنقية الدين مما علق به من شوائب . فقد أنكر التوسل لغير الله ، والقسم على الله بأحد من خلقه ، والدعوة لمن لا يضر ولا ينفع ، والتشفع بأهل القبور من شفاء المريض ، ورد الضالة وتيسير كل معسر .

٢ ـ اتباع السلف في مسائل العقيدة . فقد آمن بما آمن به الصحابة والتابعون (٣٤) .

---

(٣٣) الالوسي ، شهاب الدين ، روح المعاني ، ج ١ ، ، ص ٦. عبد الحميد ، محسن : الا لوسي مفسراً ، ص ٢٩٣

(٣٤) عبد الحميد ، محسن : الالوسي مفسراً ، ص ٢٨٧ .

٣ ـ التأثر بالتصوف . كان الألوسي متصلاً بالطريقة النقشبندية ، ودرس التصوف على شيخها خالد النقشبندي ، وكثيراً ما ذكر آراء المتصوفة في مختلف نواحي الحياة الروحية ، وخاصة آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ محي الدين بن العربي والشيخ عبد الكريم الجيلي والشيخ الغزالي وأيّد المتصوفة في تأويل القرآن فقال :

« فالانصاف كل الانصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز للدائرة المحمدية .. » . وقال ايضاً : « واما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الاشارات الى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الايمان ومحض العرفان» (٣٥) . ولكنه ما لبث أن هاجمهم اذ قال :

« واذكروا ان في الدنيا موازين ايضاً وأعظم موازينها الشريعة ، وكفتاه الكتاب والسنة . ولعمري لقد عطل هذا الميزان متصوفة هذا الزمان ، أعاذنا الله تعالى والمسلمين مما هم عليه من الضلال ، انه عز وجلّ المتفضل بأنواع الافضال » (٣٦) .

ويقول في مكان آخر : « واشفع من ذلك ما يفعله أبالسة المتصوفة ومردتهم انهم قبحهم الله تعالى اذا اعترض عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل ، ويقولون نعني بالخمرة المحبة الالهية وبالسكر غلبتها ، وبمية وليلى وسعدى مثلاً المحبوب الأعظم وهو الله عز وجلّ . وفي ذلك من سوء الأدب ما فيه ، (ولله الأسماء الحسنى فادعوا بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه) » (٣٧) .

وظهر في العراق ، مفكر مصلح من أسرة الالوسي هو السيد محمود شكري الالوسي (١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ / ١٨٥٦ ـ ١٩٢٤م) .

---

(٣٥) الالوسي ، شهاب الدين : روح المعاني ، ج ١ ، ص ٨٠٧

(٣٦) عبد الحميد ، محسن : الالوسي مفسراً ، ص ٣٠٧

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧.

فعاصر عهد التنظيمات في الدولة العثمانية وعاش ملابساتها السياسية والفكرية . وشهد حركة الجامعة الاسلامية التي نادى بها الشيخ جمال الدين الأفغاني ، وتبناها السلطان عبد الحميد الثاني ، وما تعرض له العلماء الأحرار من اضطهاد على يد السلطة العثمانية ، في وقت كان التصوف يحظى بعطف الدولة وتأييدها بينما تلقى الحركة السلفية السنية الاصلاحية مناهضة الدولة (٣٨) . حصل الالوسي بكتابه « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » على جائزة ملك السويد عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٧م (٣٩) . وعمل بجريدة « الزوراء » اولى الصحف العراقية . وتولى تحرير القسم العربي فيها . ونشر مقالات عديدة في مجلات عربية أخرى في فترة متأخرة مثل : سبيل الرشاد ، والمقتبس ، والمشرق ومجلة المجمع العلمي العربي والمنار (٤٠) .

ويمكن إجمال اتجاهاته الدينية بما يلي :

مهاجمة شيوخ الطرق الصوفية في عصره . بدأت علاقته بالصوفية عن طريق ابي الهدى الصيادي ، الذي كان من كبار شيوخ الطريقة الرفاعية ومستشار السلطان عبد الحميد الثاني للشؤون الدينية . وقد أراد ابو الهدى جر الالوسي الى الطريقة الرفاعية ، فرفض ذلك ودارت بينهما رسائل طريفة بهذا الخصوص (٤١) ، وانتهت باعتزال الالوسي . فما كان من ابي الهدى الصيادي الا ان دبّر له النفي الى بلاد الاناضول. ولكنه عاد بعد فترة قصيرة الى بغداد واختير لعضوية مجلس الادارة في الولاية . ثم اندلعت الحرب العالمية الاولى ، فكلفته الدولة العثمانية بالسفر الى نجد لاقناع اميرها عبد العزيز بن عبد الرحمن ال سعود بالوقوف على الحياد في النزاع بين الدولة العثمانية ودول الحلفاء .

---

(٣٨) الاثري ، محمد بهجه : محمود شكري الالوسي ، ص ١٨

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٦٤-٧٣ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٧٤-٧٥ .

(٤١) المصدر السابق ، ص ٧٨-٧٦ .

وقد نجح في مهمته تلك (٤٢) .

أما أشهر مؤلفاته فهي :

١ ــ كتاب « ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة » تتبع فيه الآيات المشيرة الى الاجرام السماوية ، وطابق بينها وبين الفلكيين.

٢ ــ « الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية » .

٣ ــ « كشف الحجاب عن الشهاب في الحكم والآداب » شرح فيه الف حديث اختارها القضاعي في الحكم والأخلاق .

٤ ــ « فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن عبد الوهاب » ويتضمن مئة مسألة خالف فيها رسول الله (ص) أهل الجاهلية .

٥ ــ « القول الأنفع في الرد على زيارة المدفع » . كان القصد من تأليف هذه الرسالة الرد على بعض مظاهر الوثنية التي راجت عند العوام في بغداد ومنها تقديس أحد المدافع التي استخدمها السلطان مراد العثماني في قتال الفرس لاخراجهم من بغداد .

٦ ــ « فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الاخوان » . وهو تتمة لكتاب الشيخ عبد اللطيف النجدي « منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس » الذي كان في الأصل رداً على كتاب « صلح الاخوان » لداود بن سليمان ، لما احتواه الكتاب من البدع والضلالات الصوفية .

٧ ــ « غاية الأماني في الرد على النبهاني » . وهو رد على كتاب الشيخ يوسف النبهاني (من بيروت) « شواهد الحق » . وقد بيّن الالوسي في كتابه هذا المسائل المختلف عليها بين دعاة الاصلاح السلفيين ومعارضيهم القبوريين (٤٣) .

وألّف عدة كتب تاريخية اهمها :

---

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢-٩٣.

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١١٦-١٢٢

١ ـ « بلوغ الارب في أحوال العرب » وهو في ثلاثة مجلدات .
٢ ـ « كتاب عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي ارتكبها بعضهم » .
٣ ـ كتاب « أخبار بغداد وما جاورها من البلاد » .
٤ ـ « تاريخ نجد » . وتناول فيه تاريخ نجد المعاصر وسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

والّف بالاضافة الى ذلك عدة كتب في الأدب والشعر والنحو والأمثال العامية . كان محمود شكري الالوسي مصلحاً دينياً سلفياً جمع بين مبادىء الدعوة الوهابية في الاعتماد على القرآن والسنة ومحاربة البدع الدينية والطرق الصوفية ، وبين مبادىء النهضة العلمية العربية الحديثة في الاهتمام بالعلوم غير الدينية مثل التاريخ والفلك .

٤ ـ الحركة السنوسية

مؤسس هذه الحركة محمد بن علي السنوسي المولود في احدى قرى الجزائر عام ١٧٨٧م . تعلّم في مستغانم ثم في مازونه . وانتقل الى جامع القرويين في فاس ، حيث أقام سبع سنوات (١٨٢٢ ـ ١٨٢٩) طالباً للعلم ومدرساً . وفي فاس وجّه اهتمامه للدراسة الصوفية وخاصة طرقها المنتشرة في المغرب من قادرية وشاذلية وناصرية وحبيبية . وغادر فاس الى الأغواط (في الجزائر) ، ومنها توجّه الى قابس فطرابلس الغرب وبنغازي ، ميمماً شطر الأزهر في القاهرة . ولم تطل اقامته في القاهرة ، لأنه أثار بأفكاره حفيظة علماء الأزهر فغادرها الى الحجاز عام ١٨٣٠ . وهناك التقى بعدد من مشاهير المشايخ وعلماء الدين مثل الإمام ابـو العبّاس أحمد بن عبد الله الفاسي الذي رافقه في زيارة الى اليمن . ثم عاد الى مكة حيث انشأ زاويته الاولى في جبل ابي قبيس عام ١٨٣٧م . واتبعها بزوايا عدة في الطائف والمدينة المنورة وبدر وجدة وينبع .

وعاد الى مصر عام ١٨٤٠ م في طريقه الى الجزائر . فعرّج على

طرابلس الغرب . . ولكن خشيته من الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر بعد مغادرته لها ، جعلته يعود من تونس الى ليبيا حيث وصل بنغازي عام ١٨٤١ . وقرّر الاقامة نهائياً في ليبيا – وانشأ عام ١٨٤٣ م « الزاوية البيضاء » في الجبل الأخضر فكانت اول زاوية سنوسية في شمال افريقيا .

وزار الحجاز مرة ثانية وعاد منها الى ليبيا عام ١٨٥٦ . وقرّر نقل مركز دعوته من « الزاوية البيضاء » الى واحة الجغبوب البعيدة عن أنظار السلطة الفرنسية في الجزائر والحكومة المصرية والحكومة العثمانية التي أعادت احتلال ولاية طرابلس الغرب عام ١٨٣٤ ، آخذاً بعين الاعتبار توسط الجغبوب وسهولة اتصالها ببرقه وطرابلس والسودان الغربي . وأقام السنوسي في الجغبوب مدرسة دينية كبيرة ، يتعلّم فيها الأتباع اصول الدعوة السنوسية ويتخرّجون منها لنشرها في البلاد المجاورة .

توفي السنوسي الكبير في الجغبوب عام ١٨٥٩ ، بعد ان انتشرت دعوته في برقه وطرابلس ووادي (٤٤) . وخلفه في زعامة الحركة ابنه المهدي (١٨٥٩ – ١٩٠٢) . وفي عهده بلغت السنوسية ذروة نشاطها وانتشارها . اذ انتقل مركزها من الجغبوب الى الكفرة » (٦٠٠ كم عن طرابلس) عام ١٨٩٥ مما ساعد على انتشار الدعوة في بلاد كورد ، وبتسي ، وبركو ، واندى ، ودارفور ، ووادي ، وكانم ، وتشاد ، وزاقر ، وبغرمي.

وقد رفض المهدي السنوسي التحالف مع المهدي في السودان ومساعدة العرابيين في مصر عام ١٨٨٢ ، والتفاهم مع الايطاليين لايقاف التوسع الفرنسي في تونس عام ١٨٨١ ، ومعونة السلطان العثماني في حربه مع روسيا القيصرية (١٨٧٦ – ١٨٧٨) ، وعروض الالمان في ايقاف النفوذ الفرنسي في افريقيا عام ١٨٨٢ ، محاولاً بذلك الابتعاد عن المنازعات الدولية وواضعاً نصب عينيه ، نشر الاسلام في افريقيا . الا انه لم يتمكن من التمسّك بمبدأ الحياد هذا ، عندما تقدّم الفرنسيون

---

(٤٤) زيادة، نقولا : ليبيا في العصور الحديثة ، ص ٦٥-٦٨.

في اواسط افريقيا ، فاضطر الى محاربتهم . وعند وفاة المهدي عــام ١٩٠٢ كان للسنوسية ١٤٦ زاوية موزعة كما يلي : برقه ٤٥ ، مصر ٢١ ، الجزائر ١٧ ، طرابلس الغرب ٢٨ ، فزان ١٥ ، الكفره ٦ ، السودان ١٤ (٤٥) .

مبادىء السنوسية

السنوسية حركة اصلاحية سلفية وطريقة صوفية ، جمعت بين النظرة الوهابية للاصلاح الديني ومحاسن الطرق الصوفية . ولذا لم يجد الوهابيون المتشددون في دينهم وفي رفضهم للطرق الصوفية ، في هذه الطريقة بدعة ، بل سمحوا بوجودها في الحجاز ، فكان ذلك استثناء فريداً . ذلك ان السنوسية قد اتبعت طريقاً وسطاً بين الصوفية الاشراقية والصوفية البرهانية . وكان هدفها الأعلى جعل الانسان مسلماً صالحاً لا صوفياً غيبياً . فوجدت بطريقتها المعتدلة هذه أتباعاً كثيرين وانتشرت بين البدو انتشاراً واسعاً مع ان معرفتهم بالتعاليم الدينية والطرق الصوفيه معرفة بسيطة وبدائية .

وتقوم السنوسية على المبادىء التالية :

١ ــ العودة يالاسلام الى نقائه الأول .

٢ ــ اعتبار الكتاب والسنة مصدري الشريعة الاسلامية . وهي في هذا متأثرة بآراء ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، التي اطلع عليها محمد بن علي السنوسي أثناء اقامته في الحجاز .

٣ ــ فتح باب الاجتهاد في الاسلام واعتبار اغلاق هذا الباب سبباً في تحجر الفكر الاسلامي ودخول البدع اليه .

٤ ــ تنقية الدين مما علق به من بدع وضلالات .

٥ ــ الايمان بما تدعيه الصوفية من الرؤيا والاتصال والكشف .

---

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٦٩-٧٠ ، الدجاني ، احمد صدقي. الحركة السنوية، ص ١٥٠- ١٥٢ .

٦ ـ حصر الإمامة في قريش (٤٦) .
٧ ـ المهدوية . ظهرت فكرة الايمان بالمهدي المنتظر عند السنوسيين في عهد محمد المهدي السنوسي . وقال بها علماؤهم وعامتهم . ولم تظهر هذه الفكرة عندهم قبل ذلك (٤٧) .

اما التطبيق العملي لهذه المبادىء فقد مارسته الحركة السنوسية في « الزاوية » . صحيح ان الزوايا كانت معروفة في شمال افريقيا وفي العالم الاسلامي منذ قرون ، الا ان الزاوية السنوسية كانت من نوع خاص . فهي مركز للحياة الروحية والزراعية والتجارية والسياسية .

تقوم الزاوية على قطعة من الأرض . وتتألف من مجموعتين من الأبنية : الاولى مخصصة لسكنى شيخ الزاوية واسرته ، والثانية تشمل المسجد والمدرسة والمضافة . ويحيط بالزاوية سور تعلوه أبراج للدفاع عنها في حالات الهجوم . وللزاويــة أراض زراعية وآبار جوفيــة وصهاريج للماء . اما المسؤول الأول فهو شيخها « المقدم » ، يساعده مجلس يتألف من وكيل الزاوية وشيخ وأعيان القبيلة المرتبطة بها ووجهاء المهاجرين اليها . ذلك انه كان لكل قبيلة زاوية او أكثر ، وينظر مجلس الزاوية في قضايا الأهالي وفضّ المنازعات بينهم . أمّا المقدّم ، فهو القيّم على الزاوية والمكلّف برعاية أمور القبيلة وتبليغ الاوامر الصادرة من رئيس النظام (اي زعيم الحركة السنوسية) . والى جانب المقدّم يوجد وكيل الدخل والخرج الذي يشرف على جميع الأمور الاقتصادية في الزاوية . ولكل زاوية شيخ للمسجد ، يعلّم أطفال القبيلة ، ويعقد عقود الزواج ، ويصلي على الجنائز . اما خطبة الجمعة فيلقيها المقدّم بصفته ممثل رئيس النظام .

والزاوية مصدر السلطة في القبيلة والمركز التعليمي والثقــافي والاقتصادي للمنطقة المحيطة بها . (فهي سوق هام تقع عادة على مركز

---

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٧٠-٧٢

(٤٧) امين ، احمد ، المهدي والمهدوية ، ص ٤١ ، الدجاني ، احمد صدقي : الحركة السنوسية ، ص ١٥٨ .

تقاطع طرق القوافل) . كما انها في الوقت نفسه حصن دفاعي ، مهمته دفع خطر الأعداء وصد هجماتهم .

وتنحصر موارد الزاوية السنوسية بالمحصولات الزراعية من حبوب وتمور ومواشي ، والهبات الخيرية ، والزكاة التي تجبى رسمياً من القبيلة . ويحق لمقدم الزاوية ان يحتفظ بعشر المحصولات للانفاق على شؤونه الخاصة ، ويبعث بالفائض الى المركز الرئيسي للحركة (٤٨) .

اما التنظيم الهرمي للحركة السنوسية فهو كالتالي :

١ ـ شيخ الطريقة او رئيس النظام . وهو الرئيس الأعلى لها .

٢ ـ مجلس الخواص . وكان يتألف في البداية من أشخاص لا ينتمون الى الأسرة السنوسية ، ومهمته مساعدة شيخ الطريقة في تعيين شيوخ الزوايا .

٣ ـ شيوخ الزوايا .

٤ ـ الاخوان ومهمتهم كسب الأعضاء العاديين الى الحركة او الطريقة (٤٩) .

الطريقة الصوفية السنوسية

السنوسية ، كما قلنا ، حركة اصلاحية سلفية اتخذت الزاوية قاعدة لها ومنطلقاً ، وطريقة صوفية معتدلة ، جمعت بين الطريقتين الصوفيتين البرهانية والاشراقية في الوصول الى الكمال الأعلى . فاما الاشراقية فتسعى الى تصفية النفس من الأكدار وتوجيهها نحو الحق لبلوغ المعرفة والأسرار بدون تعليم ولا تعلّم بل من باب « اتقوا الله ويعلّمكم الله » . اما البرهانية فدأبها اتباع الأوامر واجتناب النواهي واقتباس العلوم الدينية .

كان السنوسي الكبير ينصح أتباعه بقراءة « صحيح البخاري »

---

(٤٨) الدجاني ، احمد صدقي ، الحركة السنوسية ، ص ٢٤٩ – ٢٤٧

(٤٩) Evan-Pritchard, *The Sanusi of Cyrenaica*, p. 4

و« الموطأ » للإمام مالك بن انس و« بلوغ المرام » في الحديث و« رسالة ابن ابي زيد القيرواني » في الفقه « والرسائل السبع » في التصوف (لاخوان الصفا) . اما هدف السنوسية الصوفي فهو اقامة الصلة بين الفرد والرسول (ص) مباشرة والاتحاد معه . وكان الاخوان يعتقدون بأن السنوسي الكبير متصل بالرسول مباشرة . وللوصول الى هذا الهدف لا بد من قراءة الاوراد واحياء الأذكار وأخذ سلسلات من الأحاديث النبوية . وقد جمع السنوسي الكبير « المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية » وقال « ففيها كفاية لمن أراد اتصال الحبل بالنبي (ص) والانتساب اليه والى أصحابه والسلف الصالح على وجه مخصوص » . اما الاوراد فهي القرآن الكريم والاستغفار والتهليل والصلاة على النبي(٥٠) .

وبذلك ابتعدت السنوسية عن الطرق الصوفية المتطرفة مثل العروسية والعيسوية والرفاعية والسعدية المنتشرة في المدن الليبية . فقد استعملت هذه الطرق وخز الوجه وأكل الزجاج والوقوع في الغيبوبة كوسائل للاتصال بالذات الالهية (٥١) . بينما خلت أذكار السنوسيين من الموسيقى والحركات الراقصة الايقاعية التي لجأت اليها الطرق الصوفية الأخرى (٥٢). واشتهرت السنوسية كطريقة صوفية ، بالتسامح مع الطرق الصوفية الأخرى ودعتها الى الانضمام اليها (٥٣) .

منجزات الحركة السنوسية

تشابهت الحركة السنوسية في كثير من أمورها مع الحركة الوهابية مثل الدعوة الى نقاوة الدين والاعتراف بالكتاب والسنة فقط ، ثم التبشير بالحركة الجديدة والدعوة اليها ، والحماس الزائد عند دعاتها . فقد

---

(٥٠) الدجاني ، احمد صدقي : الحركة السنوسية ، ص ٢٤٦-٢٤٩
(٥١) Evan-Pritchard, *The Sanusi of Cyrenaica*, p. 4
(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٨
(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩

نشأت كل منهما بين البدو وانتهيا بقيام دولتين اعتنقتا تينك الدعوتين(٥٤).

ولكن هذه الحركة حققت انجازات هامة هي :

١ ــ نجحت في اصلاح المجتمع البدوي الليبي بأن دفعت الأفراد الى العمل والانتاج وبثت في نفوسهم عقيدة دينية نظمت سلوكهم ووجهته الى طريق البناء . فنشأ في الصحراء الليبية مجتمع متعاون تسوده روح الاخوّة والسلام .

٢ ــ أقامت سلطة دينية وسياسية تولّت الإشراف على الفرد والمجتمع ووجهتهما الى الايمان والعلم والعمل .

٣ ــ نشرت العلم والمعرفة في الصحراء الافريقية بانشاء الزوايا المتعددة التي كانت مراكز ثقافية هامة (٥٥) .

٤ ــ نشرت الاسلام بين القبائل الوثنية في افريقيا الوسطى اذا اتجهت السنوسية نحو الجنوب متبعة طرق التجارة الموصلة الى قلب افريقيا او ما يسمى بالصحراء الكبرى وافريقيا الاستوائية . وكانت القبائل العربية في برقة هي المسيطرة على طرق القوافل وخاصة قبيلتي المجابرة والزوايا . باعتناق هذه القبائل الطريقة السنوسية فتحت منافذ افريقيا في وجهها فلما عرض بدو كفرا الواقعة على بُعد سبعمائة كيلومتّر الى الجنوب من الجغبوب ، على السنوسي الكبير انشاء زاوية في واحتهم ، عهد الى أحد رجال دعوته بالاشراف على بناء زاوية في « واحة الجوف » عرفت « بزاوية الاستاذ » . وأقام السنوسي الكبير علاقات طيبة مع محمد شريف أمير الوادي أثناء وجود الأخير في مكة ، فاما أصبح أميراً على بلاده تولى نشر الدعوة السنوسية فيها . وكان السنوسي الكبير يشتّري العبيد الأسرى من أواسط افريقيا ويعلّمهم الدين الاسلامي ويدربهم على طريقته ثم يبعث بهم يبشرون بدعوته في بلادهم (٥٦) .

(٥٤) الدجاني ، احمد صدقي . الحركة السنوسية ، ص ٢٧٨-٢٧٩ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٨-٢٧٩

(٥٦) Evans-Pritchard, *The Sanusi of Cyrenaica*, P. 16

٥ ـ حركة المهدي في السودان

شاعت فكرة المهدي المنتظر في الديانات السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية والاسلام . وتعود الفكرة في أصلها الى كراهية الناس للظلم ومحبتهم للعدل ، حتى اذا ما ساد الظلم وعم الفساد ، تاقت نفوسهم لحاكم عادل يرفع الظلم وينشر الوية العدالة . وقبل بها الفرد كتعزية نفسية وأمل في مستقبل غامض أفضل من الحاضر الذي يحياه .

وارتبطت فكرة المهدي في التاريخ العربي الاسلامي بالحركات السياسية السرية ، فكانت رداء تختفي وراءه هذه الحركات وتكسب من خلالها تأييد الجماهير الشعبية . وأول ما ظهرت فكرة المهدي في الاسلام عند فرقة الكيسانية من الشيعة. اذ قال زعيم هذه الفرقة المختار بن عبيد الثقفي ، عندما ثار في الكوفة عام ٦٦هـ / ٦٨٥م بأن محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب هو الإمام والمهدي المنتظر من آل البيت . غير ان محمد بن الحنفية نفسه لم يشترك في الثورة ولم يتبناها ، ومات بعدها بخمسة عشر عاماً . اما أتباع المختار فقد اعتقدوا ان محمد بن الحنفية لم يمت وانما هو في « غيبة » في جبل رضوى في الحجاز بانتظار « الرجعة » . وبذلك تحوّل المهدي من شخصية تاريخية حقيقية الى بطل اسطوري لا يموت، وتحوّل الخلاص الذي فشلت حركة المختار في تحقيقه الى المستقبل المطلق .

وانقسم المؤمنون بمحمد بن الحنفية الى فئتين : فئة رأت ان الايمان بالمهدي الغائب لا يقتضي عمل اي شيء سوى انتظار المستقبل ؛ وفئة آمنت بابنه ابي هاشم حتى اذا توفي عام ٩٨هـ / ٧١٦م آمنت بمحمد بن علي العباسي الذي قام ابنه ابراهيم بالدعوة للرضى من آل البيت وتشكيل حركة سياسية سرية أطاحت بالحكم الأموي وجاءت بالعباسيين الى سدة الخلافة .

وبوصول الخليفة العباسي الاول ، ابي العباس عبد الله بن محمد بن علي ، الى السلطة عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م ظنت الجماهير ان النبوءة

قد تحققت . غير ان عصر ابي العباس لم يكن العصر الذهبي المرجو فاضطهد نظام الحكم الجديد الفئات الاخرى . فظهرت فكرة المهدي بين اولئك الذين تركزت آمالهم على أمير سفياني هو محمد بن عبد الله بن يزيد الذي قاد ثورة بني كلب في شمالي بلاد الشام عام ١٣٣هـ / ٧٥١م ، في الأشهر الاولى من الحكم العباسي . ولكنه هرب الى الحجاز بعد فشل ثورته فألقي القبض عليه هناك وأعدم . وبقيت الآمال في عودة الأمويين الى الحكم تراود أنصارهم من أهل الشام. وتحول هذا السفياني من شخصية تاريخية الى بطل شعبي حيّ يعيش مختفياً في الطائف او قرب دمشق .

وآمنت فئات أخرى من التي لحق بها الاضطهاد العباسي والطامعة بالسلطة ، بالمهدي من آل البيت من فرع علي بن ابي طالب . وكان اولهم محمد النفس الزكية من نسل الحسن بن علي الذي قتل في ثورة فاشلة على الخليفة المنصور عام ١٤٥هـ / ٧٦٢م . وبلغت هذه الفكرة من السيطرة على عقول الجماهير وعواطفها ان شعر الخليفة المنصور نفسه بضرورة تسمية ابنه محمد المهدي . ونادت فئات أخرى بالمهدي من نسل الحسين بن علي ، والتفت حول الإمام جعفر الصادق المتوفي عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م . وبوفاة الإمام جعفر الصادق انقسم أتباعه بين ولديه موسى الكاظم واسماعيل . فقبلت الأغلبية بموسى الكاظم إماماً بعد موت أبيه ، واستمرت هذه الفئة تؤمن بأحفاد موسى حتى الإمام محمد من الجيل الخامس ، ٢٦٠هـ — ٨٧٣م ، واطلق عليها الفرقة الاثنا عشرية او الإمامية لانها تؤمن باثنى عشر إماماً من فرع الحسين بن علي بن ابي طالب . اما أنصار اسماعيل فقد آمنوا بانه لم يمت وانه ما زال حياً ينتظرون رجعته . وتمكن أنصاره من القيام بنشاط سياسي واسع في المغرب العربي انتهى بقيام الدولة الفاطمية في نهاية القرن الثالث للهجرة (العاشر للميلاد) .

واستعملت كلمة المهدي ، اول الأمر ، بمعناها العام ، فأطلقت على بعض الأنبياء والصحابة والخلفاء . واطلقت بمعنى المنقذ او المخلص

لاول مرة على محمد بن الحنفية . وكان الشيعة يفضلون استعمال لقبي « الإمام » او « القائم بدل المهدي » . واستعملوا في شمال افريقيا لقب « الفاطمي » (٥٧) .

وتناول ابن خلدون فكرة المهدي وقال : « أعلم انه في المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي . ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره . وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته ... » (٥٨) .

واستعرض ابن خلدون الأحاديث النبوية التي تشير الى ظهور المهدي مبيناً ما فيها من تجريح وطعون . ثم أتى على المتصوفة المعاصرين له (في القرن الهجري الثامن) الذين آمنوا بالفكرة فقال : « واما المتصوفة الذين عاصرناهم فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدّد لأحكام الملة ومراسم الحق ويتجنبون ظهوره لما قرب من عصرنا . فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول ... » (٥٩) .

وظهرت فكرة المهدي في المغرب العربي مرة أخرى على يد محمد بن تومرت الشيعي المذهب . وأسّس دولة كبرى ضمّت المغرب كله والأندلس .

وعادت الفكرة الى الظهور في القرن التاسع عشر الميلادي . وقامت عدة حركات اسلامية على أساسها . ففي ايران ظهرت فرقة « البابية » الشيعية على يد ميرزا علي محمد الشيرازي المولود عام ١٨٢٠ . فاعلن

---

(٥٧) Holt, P.M. : *The Mahdist State in the Sudan*, pp. 24-26

امين ، احمد : المهدي والمهدية ، ص ١٠ — ٤١

الدوري ، عبد العزيز : العصر العباسي الاول ، ص ١٩ — ٢٢

(٥٨) ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة ، ص ٣١١

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ .

انه المهدي الجديد المنتظر ، وانه الباب الذي يدخل منه الناس الى الإمام المستور الذي هو مصدر لكل خير في العالم . وبعد موته خلفه اثنان من أتباعه هما صبح ازل وبهاء الدين وانقسم أشياعه بينهما . فأسّس بهاء الدين الحركة البهائية التي انتشرت في ايران والعراق وفلسطين ومصر واوروبا وامريكا . وتوفي عام ١٨٩٢ فخلفه ابنه عباس في زعامة الطائفة .

وخلاصة القول ان الفكرة المهدية تقوم على الأسس التالية :

١ - الاعتقاد بإمام من آل البيت يحمل اسم المهدي او الإمام المستور او الفاطمي .
٢ - غاية المهدي تأييد الدين وتجديد أحكامه ورفع الظلم عن الناس ونشر العدل بينهم .
٣ - ان ظهور المهدي من دلائل (اشراط) الساعة .
٤ - ان جميع الحركات التي قامت باسم المهدي المنتظر كانت حركات سياسية اتخذته ستاراً تختفي وراءه وشعاراً ترفعه لكسب ولاء الجماهير .

٣ - دعوة المهدي في السودان

ولد محمد بن أحمد بن السيد عبد الله في جزيرة لبب من أعمال دنقله سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م من أب يمتهن بناء المراكب الشراعية ويدّعي النسب الى الاشراف . درس القرآن في الخرطوم وتتلمذ في الفقه الاسلامي على يد الشيخ محمد الخير . ثم مال الى التصوّف فالتحق بالشيخ محمد شريف نور الدايم ، شيخ الطريقة السمانية الصوفية عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م ، حتى حصل على شهادة المشيخة ، ومنحه راية ليدعو للطريقة . فذهب الى الخرطوم عام ١٢٨٦هـ / ١٨٧٠م ثم الى جزيرة « ابا » حيث بنى جامعاً للصلاة وخلوة للتدريس . فلاقت دعوته أنصاراً كثيرين في الجزيرة . وما لبث ان احتدم الخصام بين محمد أحمد

وشيخه محمد شريف عام ١٢٩٥ / ١٨٧٨م فانفصل كل منهما عن الآخر. وانضم محمد أحمد الى الشيخ القرشي أحد شيوخ الطريقة السمانية وخصم الشيخ محمد شريف حتى اذا ما توفي الشيخ القرشي عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠ بنى محمد أحمد فوق قبره قبة وأصبح شيخاً للطريقة السمانية.

وأخذ محمد أحمد يقوم بدعوته سائحاً متنقلاً بين الناس من بلدة الى بلدة حتى جاب بلاد السودان من أدناها الى أقصاها. وأحس بشعور الناس بالظلم والقسوة من الحكم المصري — الانكليزي. وكانت آثار العنف التي رافقت فتح السودان من مجازر ووحشية ما زالت ماثلة في أذهان الناس تحفزهم الى الانتقام والثأر. كما ان الضرائب الباهظة المفروضة على الأهلين بالقوة أرهقت كاهلهم، وكانت في تزايد مستمر بسبب أطماع الموظفين التي لا تنتهي. وسعى الحكم المصري — الانكليزي الى الغاء تجارة العبيد التي تعتبر من المصادر الرئيسية للثروة في البلاد وأساساً هاماً من أسس الاقتصاد الزراعي فيها. وتعاطف الحكم مع قبيلة الشائقية وطائفة الختمية فأثار بذلك حفيظة الفئات الاجتماعية والدينية الأخرى.

شعر محمد أحمد ان النفوس مهيأة لظهور المهدي. ووفد عليه في هذه الأثناء عبد الله التعايشي من قبيلة البقارة العربية فبعث في نفس محمد أحمد الرغبة في اعلان مهديته (٦٠). فكان له ذلك في حزيران عام ١٨٨٢م / ١٢٩٨هـ. وخرج سائحاً في السودان يلبس لباس الدراويش (الجبة المرقعة والمسبحة والعكاز وابريق الفخار) فبايعته اول الأمر قبيلة البقارة. وأخذ يبعث بالرسائل الى أنصاره وأصحاب الشأن والنفوذ يعلن فيها مهديته. وجاء في احدى رسائله:

«اما بعد، فلا يخفي تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفطن بل أحق ان يترك لذلك الاوطار والوطن لاقامة

---

(٦٠) شقير، نعوم، جغرافية وتاريخ السودان، ص ٦٣١-٦٤٤، شبيكة، مكي: السودان في قرن، ص ١٣٨-١٤٢.
Slatin, Col. *Fire and Sword in the Sudan*, pp. 44-58

الدين والسنن ولا توانى عن ذلك عاقل لان غيرة الاسلام للمؤمن تجبره . ثم أحباني ، كما أراد الله في ازلـه وقضائه ، تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله . وأخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلّم بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليـه السلام ، وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالاولياء الأحياء والميتين من لدن آدم الى زماننا هذا وكذلك المؤمنون من الجن ... » (٦١).

ولما أعلن محمد أحمد مهديته قام الشيخ محمد شريف بابلاغ رؤوف باشا حكمدار السودان بالأمر وحذّره من خطورته . فلما كتب اليه يسأله الأمر أجابه باعلان مهديته . فجمع رؤوف باشا ذلك فأرسل اليه حوالي مئتي مسلّح الى جزيرة « ابا » أبادهم المهدي عن بكرة أبيهم . وهاجر من « ابا » الى جبل قدير . ولما لاحقته قوات السلطة الى هناك انتصر عليهم في واقعة راشد في كانون الاول من عام ١٨٨١م (٦٢).

وفي مطلع عام ١٨٨٢ تجاوز عدد أنصار المهدي من المحاربين عشرة آلاف . وبعد ذلك بستة أشهر تضاعف العدد . وكانت تتـم مبايعتهم له بترديد الفقرة التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد واله مع التسليم . اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله ولا نشرك بـه أحداً ، ولا نزني ولا نسرق ولا نأتي ببهتان ، ولا نعصيك في معروف . وبايعناك على زهد الدنيا وتركهـا والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى ان لا نفرّ من الجهاد » (٦٣).

تشبّه المهدي بالنبي وأعلن ان جلّ غايته اعادة الاسلام الى ما كان

---

(٦١) المصدر السابق ، ص ٦٤٥-٦٤٦ ، شبيكة ، مكي . السودان في قرن ، ، ص١٥٩.

(٦٢) شقير ، نعوم ، جغرافية وتاريخ السودان، ص ٢٥٧ ، شبيكة، مكي، السودان في قرن ، ص ١٥١-١٥٤ .

(٦٣) شقير ، نعوم . جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٦٦

عليه في عهد النبي . وعيّن له أربعة خلفاء اولهم عبد الله التعايشي ، والثاني علي ولد حلو والثالث محمد السنوسي والرابع محمد شريف ابن عمه . وقد رفض محمد السنوسي تعيين المهدي له خليفة . وولّى خلفاءه هؤلاء على قيادة جيشه من « الأنصار» وجعل على بيت المال الذي كان يجبى من العشر والزكاة والغنائم والغرامات ، صديقه أحمد ود سليمان . وعهد القضاء الى الشيخ أحمد ود جبارة من علماء الأزهر الذين صحبوه من جزيرة ابا ولقبه قاضي الاسلام وجعل دونه قضاة ونواباً (٦٤) .

وانضم الى المهدي في حركته هذه العديد من الزعماء وشيوخ القبائل من مختلف أنحاء السودان . وأعلن الثورة على السلطات المصرية — البريطانية . فتمكّن في ٥ كانون الثاني (يناير) — ١٨٨٥ من احتلال ام درمان والخرطوم بعد ذلك بثلاثة أسابيع . وصمّم بعدها على غزو مصر ، وعيّن عبد الله الكحال عاملاً على بلاد الشام كما عيّن محمد الغالي اميراً على مراكش ، دون ان يتمكّن من تجاوز حدود السودان .

توفي المهدي في ٢٢ حزيران ١٨٨٥ وخلفه عبد الله التعايشي في قيادة الحركة .

تعاليم المهدي الدينية

ظهر المهدي في مجتمع يدين بالاسلام وتهيمن عليه الطرق الصوفية التي كان لشيوخها نفوذ وتأثير كبيران ، لما كان يروى عما يقومون به من خوارق العادات وما يتمتعون به من كرامات ، فجاءت دعوة المهدي تنكر عليهم ذلك ، وتدعو الى تجديد الاسلام والعودة به الى منابعه الاولى .

وتتلخص تعاليم المهدي الدينية بما يلي :

١ — العودة بالاسلام الى ما كان عليه في عهوده الاولى واعتماد الكتاب

---

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦٨-٦٦٩

والسنة فقط ، فهو يقول « اتركوا الكتب لكتاب الله فانها حاجبة عن فهم معناه » . ويقول ايضاً « قل لهم طريقنا لا اله الا الله محمد رسول الله ومذهبنا السنة والكتاب » (٦٥) .

٢ ــ التوحيد بين المذاهب الاربعة السنية والانفراد بمذهب اجتهادي خاص . ويقول في هذا الصدد « هؤلاء الأئمة جزاهم الله فقد درجوا ووصلوهم الينا كمثل الراوية وصلت الماء من منهل حتى وصلت صاحبها للبحر فجزاهم الله خيراً . فهم رجال ونحن رجال ولو أدركونا لاتبعونا . وان مذهبنا هو الكتاب والسنة والتوكل على الله وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأي المشايخ» (٦٦).
ويعتقد المهدي ان انقسام المسلمين الى عدة مذاهب واتباعهم الطرق الصوفية المختلفة قد أضعف من قوتهم وأسدل على تعاليم دينهم ستاراً من الغموض .

٣ ــ حصر الطريق الموصلة الى الله بستة أمور هي : صلاة الجماعة والجهاد في سبيل الله ، وامتثال اوامره ونواهيه ، والإكثار من كلمة التوحيد ، وتلاوة القرآن الكريم ، وتلاوة الراتب (وهو مجموعة من الآيات والأحاديث النبوية فرض على أتباعه حفظها غيباً) . وأعرب المهدي عن احتقاره للفقهاء بأن أحرق معظم كتبهم علناً ، فأثار بذلك غضب علماء المسلمين عليه .

٤ ــ تحريم زيارة قبور الاولياء بعد ان أعلن مهديته . وتحريم الرقص والغناء ومنع البكاء وراء الميت وإبطال السحر وكتابة الحجب وشرب الدخان ومضغه وشرب الحشيش والخمرة . ودعا الى البساطة في الملبس والمأكل واحتفالات الزواج والجنازة (٦٧) .

---

(٦٥) شبيكة ، مكي . السودان في قرن ، ص ٢٣٨ .
(٦٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .
شقير ، نعوم : جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٩٤١-٩٤٣
Theobald, A.B.: *The Mahdiya*, p. 44.
(٧٦) شبيكة ، مكي : السودان في قرن ، ص ٢٤٢
Theobald, A.B.: *The Mahdiya*, p.43

٥ ـ القضاء على الفساد السياسي في السودان وبقية الأقطار الاسلامية . والحقيقة انه من الصعب فصل أفكار المهدي السياسية عن تعاليمه الدينية فقد استنكر في بياناته الظلم والاضطهاد وفساد « الأتراك » كموظفين رسميين ، كما استنكر بذخهم وضعف ايمانهم وتصرفاتهم كمسلمين . وجعل من أهداف ثورته الاطاحة بالنظام السياسي والاداري القائم .

الاتجاهات الحديثة في التجديد الاسلامي

اذا كانت حركات ودعوات الاصلاح السلفية السابقة الذكر قد نشأت من تحسس القائمين بها والداعين لها ، للانحلال الاجتماعي ، وانتشار البدع والضلالات في الاسلام ، والابتعاد عن اصول العقيدة ، فقد كان للاحتلال العسكري الغربي لبعض الأقطار العربية ، والغزو الثقافي الذي رافقه ، وعجز الدول الاسلامية ، وعلى رأسها الدولة العثمانية عن مواجهة التحدي الخارجي ، والبون الشاسع بين التقدّم العلمي والتفوّق الاقتصادي في اوروبا ، وما كان عليه المسلمون من تأخّر في العلوم وتخلّف في الحياة الاقتصادية ، أثره في نفوس المتنورين من « علماء » المسلمين . وأتيح لعدد من هؤلاء العلماء ان يتعلموا اللغات الاوروبية ، وان يقيموا في أوروبا فترات من الزمن ، تمكّنوا خلالها من الاطلاع على المؤسسات السياسية والادارية والاقتصادية فيها ، ودراسة التيارات الفكرية المتعددة ، واستيعاب آراء المفكرين البارزين ، وترجمة خيرة آثارهم الفكرية . فكان طبيعياً ، والحالة هذه ، ان يقارنوا بين ما رأوه وعاشوه ودرسوه وبين ما كانت عليه اوضاع المسلمين السياسية والاقتصادية وأحوالهم الاجتماعية والأخلاقية . ولم يجدوا بدّاً من العودة الى ينابيع الاسلام الاولى ، يستلهمون منها الحل للمشكلات الملحة التي تواجههم وان يوفقوا بين جوهر عقيدتهم وبين العلوم والمبادىء والمؤسسات الغربية ، معتمدين في ذلك على ما

توفر لهم من الثقافة القديمة والحديثة . ودعوا الى الاصلاح الشامل لأمور الدين والدنيا ، والإقبال على الأخذ بأسباب الحضارة الغربية ، والعلوم الحديثة بشكل خاص . وذهب هؤلاء مذاهب شتى في كيفية التجديد الديني والاصلاح الاجتماعي .

أما أشهر قادة هذا الاتجاه فهم :

١ ـ السيد جمال الدين الافغاني

ولد جمال الدين في قرية اسد اباد (٦٨) في افغانستان عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م . وتلقّى تعليمه في مدينة كابل حيث تعلّم اللغة العربية والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وكلام وتصوّف ، والعلوم العقلية من منطق ورياضيات وتاريخ . وانتقل الى الهند فتعلّم اللغة الانكليزية ، وجمع فيها بين الثقافة القديمة والحديثة . ثم رحل الى مكة المكرمة حاجاً عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م . وعاد الى افغانستان فتولى رئاسة وزرائها في عهد الأمير محمد أعظم . الا انه عزل من منصبه اثر انقلاب دبّر ضد الامير محمد ، فذهب الى الهند ثم الى مصر حيث دخلها سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٧٠م . واتصل في مصر ببعض اساتذة الأزهر وطلابه . ثم انتقل الى الآستانة بناء على دعوة من السلطان عبد العزيز ، الذي عينه عضواً في مجلس المعارف . وحدث خلاف بين جمال الدين وشيخ الاسلام حسن فهمي افندي واضطر على أثره الى مغادرة دار الخلافة الى مصر عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م . فاستقبله الخديوي اسماعيل ورئيس وزرائه رياض باشا بالترحاب .

---

(٦٨) اختلف الباحثون في اصل جمال الدين الافغاني ، فقد ذكر الشيخ محمد عبده ، انه افغاني الاصل ، بينما ذكر مصطفى عبد الرزاق انه فارسي الاصل افغاني النشأة . واثبت الاستاذ ميرزا غلام حسين ، استاذ اللغة الفارسية في الجامعة الاميركية ببيروت في كتابه « مردان نامي الشرق » الصادر عام ١٩٢٩ ان جمال الدين فارسي وانه ولد في قرية اسد اباد بين همدان وكنكادر على ضفاف نهر الوند .(قلعجي، قدرى : جمال الدين الافغاني ، ص ٢٤-٢٥ .)

وفي أثناء اقامته في مصر توطدت علاقات الشيخ محمد عبده به . الا ان توفيق باشا الذي تولى الخديوية بعد عزل اسماعيل باشا ، أمر بنفي جمال الدين من مصر عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م . فغادرها الى الهند حيث أقام ثلاث سنوات ، أكب خلالها على الدراسة والتأليف . ثم ذهب الى باريس ودعا الشيخ محمد عبده اليه ، وكان آنذاك منفياً في بيروت فتم ذلك عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م . وهناك في باريس انشأ جمال الدين ومحمد عبده « جمعية العروة الوثقى » وأصدرا مجلة « العروة الوثقى » لتدعو المسلمين الى النهوض ببلادهم والثورة على المستعمرين والتحرر من الاستبداد والاضطهاد السياسي الداخلي . وبقي جمال الدين في اوروبا الى أن عاد الى ايران عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م بناء على دعوة من الشاه ناصر الدين وتولى في ايران وزارة الحربية . ثم ما لبث أن غادرها بسبب آرائه السياسية ، فتجول في روسيا ثم عاد الى فرنسا ورجع ثانية الى ايران فنفاه الشاه الى العراق . ومنها انتقل الى انكلترا حيث أصدر هناك مجلة « ضياء الخافقين » باللغتين العربية والانكليزية . وهناك اتصل بالفيلسوف البريطاني المشهور هربرت سبنسر واتصل بالمهدي في السودان عن طريق بعض الطلبة السودانيين السابقين في الأزهر وحاول التوسط بينه وبين السلطات البريطانية . ثم استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م الى الآستانة . وظل في دار الخلافة حتى وفاته عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م (٦٩) .

كان لثقافة الأفغاني الاسلامية والغربية ، والتجربة السياسية التي عاشها في عدة أقطار اسلامية ، أثرها الواضح في آرائه في التجديد الديني والاصلاح السياسي والاجتماعي . ويبرز ذلك في تحليله أسباب تدهور الحضارة الاسلامية والضعف السياسي والانحلال الاجتماعي اللذين

---

(٦٩) الصعيدي ، عبد المتعال : المجددون في الاسلام ص ٤٩٠–٤٩٥ .
الرافعي ، عبد الرحمن : جمال الدين الافغاني ، ص–١٤ .
المغربي ، عبد القادر : جمال الدين الافغاني ، ذكريات واحاديث ، ص ٩-١٢

يعانيهما المسلمون ، وفي الحلول التي قدمها والجامعة بين آراء الاصلاحيين السلفيين ، السابقي الذكر ، وآراء المصلحين الاجتماعيين المحدثين .

أما آراؤه في التجديد الديني فتقوم على المبادىء التالية :

١ ـ السبب الاول والعامل الأكبر في تدهور الحضارة الاسلامية وضياع مجد المسلمين هو « اهمال ما كان سبباً في النهوض والمجد وعزة الملك ، وهو ترك حكمة الدين ، والعمل بها وهي التي جمعت الأهواء المختلفة والكلمة المتفرقة ، وكانت للملك أقوى من عصبية الجنس وقوته » (٧٠). وفي رأيه ان استرجاع عـزة المسلمين وقوتهم رهن بالعودة الى دينهم النقي . فهو يقول: « من يعجب من قولي ان الاصول الدينية الحقة ، المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل ، وتفضيل الشرف على لذة الحياة ، وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف ، وتنتهي بها أقصى الغاية في المدنية . فان عجبي من عجبه أشد . ودونك تاريخ الأمة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى جاءها وقوّاها وهذّبها ونوّر عقلها وقوّم أخلاقها وسدّد أحكامها ، فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف » (٧١) .

وعلى هذا الأساس دعا جمال الدين الافغاني الى وحدة الشعوب الاسلامية ، وازالة الفوارق بين الفرق الاسلامية . وقد أجمل عوامل النهوض بالأمم : بتحرير العقل من الخرافات والأوهام وتوجيه النفوس وجهة الشرف والطموح ودعم العقائد الدينية بالأدلـة والبراهين ، وتهذيب الأفراد وتأديبهم . وقال ان جميع هذه العوامـل متوفرة بالاسلام .

٢ ـ تحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد . فقد ذكر في مجلسه مرة قولاً للقاضي عياض وتعصب له بعضهم فقـال

---

(٧٠) المخزومي ، محمد : خاطرات جمـال الدين الافغاني ، ص ٢٥٧ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٠-٣٤١ .

الأفغاني : يا سبحان الله ان القاضي قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله ، وتناوله فهمه ، وناسب زمانه — فهل لا يحق لغيره ان يقول ما هـو أقرب للحق وأوجه وأصح من قول القاضي عياض او غيره من الأئمة ؟ وهل يجب الجمود والوقوف عند اقوال اناس (هم أنفسهم لم يقفوا عند حد أقوال من تقدمهم) . فقد اطلقوا لعقولهم سراطها فاستنبطوا وقالوا ، وأدلوا دلوهم في الدلاء في ذلك البحر المحيط من العلم ، وأتوا بما ناسب زمانهم وتقارب مع عقولهم » (٧٢) .

وقال في معرض الدعوة الى فتح باب الاجتهاد والرد على القائلين باغلاقه : « مـا معنى باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأي نص سـد باب الاجتهاد ؟ او أي إمام قال لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي ان يجتهد ليتفقه بالدين ؟ أو أن يهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث او ان يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما ، والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية ، وحاجات الزمان وأحكامه ؟ ولا ينافي جوهر النص ... واولئك الفحول من الأئمة ، ورجال الأمة اجتهدوا وأحسنوا ، ولكن لا يصح ان نعتقد انهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ، أو تمكنوا من تدوينها في كتبهم . والحقيقة انهم مع ما وصلنا من عملهم الباهر وتحقيقهم واجتهادهم ، ان هو بالنسبة الى ما حواه القرآن من العلوم والحديث الصحيح من السنن والتوضيح الا كقطرة من بحر او ثانية من دهر ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده » (٧٣) .

٣ — التوفيق بين العلم والايمان: يعتقد الأفغاني ان لا خلاف بين ما جاء في القرآن والحقائق العلمية ، اما اذا برز خلاف ما، فذلك دلالة على عجز في تفسير الآيات القرآنية. ويقترح حلّ هذا الإشكال باعتماد التأويل . يقول في هذا الصدد : « ان الدين لا يصح ان يخالف الحقائق العلمية،

---

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٨-١٧٩ ، عثمان ، فتحي : الفكر الاسلامي والتطور ، ص ٢٤٦ .

فان كان ظاهره المخالفة وجب تأويله وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير من المتردين برداء العلماء ، حتى اتهم القرآن بانه يخالف الحقائق العلمية الثابتة، والقرآن بريء مما يقولون. والقرآن يجب ان يجل عن مخالفة العلم الحقيقي خصوصاً في الكليات » (٧٤) .

ويضرب مثالاً على ذلك: «أثبت العلم كروية الأرض ودورانها، وثبات الشمس دائرة على محورها فهذه الحقيقة مع ما يشابهها من الحقائق العلمية لا بد ان تتوافق مع القرآن ــ والقرآن يجب ان يجل عن مخالفته للعلم الحقيقي، خصوصاً في الكليات . فاذا لم نر في القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ، ورجعنا الى التأويل ، اذ لا يمكن ان تأتي العلوم والمخترعات بالقرآن صريحة واضحة ، وهي في زمن التنزيل مجهولة من الخلق ، كامنة في الخفاء لم تخرج لحيّز الوجود ، ولو جاء القرآن وصرح بالسكة الحديدية والبرق وما تفعله الكهربائية من العجائب وغير ذلك لضلت الناس وأعرضت عنه وحسبته كذباً » (٧٥) .

٤ ــ التدقيق في النصوص الدينية واستخلاص الصحيح منها ، وذلك بالاعتماد على القرآن في المقام الأول ، وعلى الحديث المتواتر واعتباره من درجة القرآن في اثبات الحكم ، وعلى اجماع المسلمين في صدر الاسلام . اما ما عدا ذلك من آراء واستنباطات ونظريات جاء بها الفقهاء المسلمون فيما بعد ، فيستأنس بها كرأي ولا يعتمد عليها كقاعدة (٧٦) . وهو في هذا لا يختلف عن محمد علي الشوكاني وغيره من المصلحين السلفيين السابقي الذكر .

٥ ــ رفض تقليد الغرب في مختلف نواحي الحياة دون ضرورة وبلا تمحيص وإمعان ، قال : « علّمتنا التجارب ، ونطقت مواضي

---

(٧٤) امين ، احمد : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، ص ١١٤ .
(٧٥) المخزومي . محمد : خاطرات جمال الدين الافغاني ، ص ١٦١ .
(٧٦) المغربي ، عبد القادر : جمال الدين الافغاني ، ص ٦٠.

الحوادث بأن المقلدين من كل آمة المنتحلين آطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الأعداء اليها . وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس... ويصير اولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين.. » (٧٧).

٦ ــ اطلاع العلماء المسلمين على التيارات الفكرية الحديثة ضرورة لا بد منها ، بقبول ما يتفق والشريعة الاسلامية ، ويفيد المسلمين في حياتهم ، ورفض ما يتعارض وعقيدتهم ورفضه بالحجج العقلية والبراهين المنطقية . وقد الف كتاباً بالفارسية في الرد على الطبيعيين (Naturalists) وأتباع داروين (Darwin) وبعض علماء الاجتماع والاشتراكيين ، ونشر في الهند عام ١٨٨٠ ، وقام الشيخ محمد عبده ، بنقله الى العربية بعنوان « الرد على الدهريين » (٧٨) أكّد فيه ان الدين أساس المدنية والالحاد فساد العمران . وكان الدافع لتأليف هذا الكتاب ، كما قال الأفغاني ، هو « ان كثيرين من مسلمي الهند تلوثوا بهذه البدعة التي بثها الانكليز في بلادهم من حيث إنهم (اي الانكليز) رأوها أقرب وسيلة للوصول الى غرضهم ، وتأييد سلطانهم في الهند . وجد الانكليز ان الديانة الاسلامية تطلب من أتباعها ان يكونوا أصحاب الشوكة والسلطان في أوطانهم . ولاحظوا ان ذلك هو طبيعة الإسلام التي لا يمكن انسلاخه عنها ، ولا انتزاعها من فطرة ابنائه . ففكّروا في أمر يضعف اثر هذه العقيدة في نفوسهم ، فرأوا أن أقرب طريق الى نيل مرادهم هو نشر التعطيل بين المسلمين .. والتعطيل الذي هو الالحاد يسمى بالانكليزية (Nature) نيشر .. وانما سعى الانكليز في جعل المسلمين دهريين ولم يسعوا في جعلهم مسيحيين لانهم رأوا بعد طول تجربة واختبار ان دعوة المبشرين لمسلمي الهند بالنصرانية لم

---

(٧٧) الافغاني ، جمال الدين ، وعبده ، محمد : العروة الوثقى ، ٥٩
عمارة ، محمد : الاعمال الكاملة ، جمال الدين الافغاني ، ص ١٩٦ .
(٧٨) الرد على الدهريين ، ترجمة الشيخ محمد عبده ، مطبعة محمد مطر ، القاهرة .

تنجح . وان مساعيهم في نشرها كانت تذهب أدراج الرياح .. »(٧٩).

٧ ـ الطريق الى التمدن الحقيقي هو الاصلاح الديني ، فهو يقول : « لا بد من حركة دينية لأننا اذا نظرنا في سبب انقلاب حالة أوروبا من الخشونة الى المدنية نراه الحركة الدينية وذلك منذ عصر لوثيروس رئيس الطائفة البروتستانتية . فانه لما رأى أهل اوروبا تعتقد في البابا اعتقاداً يوجب عليها الخضوع له والاستكانة لأوامره وغير ذلك من الاعتقادات المسيحية الفاسدة ، قام بتلك الحركة الدينية التي نشأت عنها الانقسامات بين الشعوب ، وجعل كل شعب يغار من الآخر ويحاربه في سلوك سبل النجاح . وخلاصة الأمر أن تمدن اوروبا ينسب الى تلك الحركة ..

«حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع ما رسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقي، مثل حملهم القضاء والقدر على معنى يوجب ان لا يتحركوا لطلب مجد ولا لتخلص من ذل ، ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان الذي حملهم على عدم السعي وراء الاصلاح والنجاح .. فلا بُد من بث العقائد الدينية الحقة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها المناسب وحملها على محاملها الصحيحة التي تقودهم لما فيه خيرهم دنيا وآخرة » (٨٠) .

٨ ـ الدعوة الى توحيد الفرق الاسلامية . استنكر جمال الدين الافغاني انقسام المسلمين الى سنّة وشيعة وسعى الى ازالة الخلاف بين الفريقين ، متهماً الملوك السنيين بتهويل أمر الشيعة لكسب ود العوام . ولا يجد مبرراً لاستمرار الانقسام بين المسلمين بسبب خلاف سياسي

(٧٩) المغربي ، عبد القادر : جمال الدين الافغاني ، ذكريات وأحاديث ، ص ٦٨-٦٩
(٨٠) عمارة ، محمد ، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، ص ٣٢٨ .

عفي عليه الزمن . فهو يقول : « فالملوك من السنيين هولوا ، واعظموا أمر الشيعة لاستهواء العوام بأوهام غريبة وعزويات عجيبة على شيعة أهل البيت ، ليتسنى لهم بذلك تقريب الأحزاب وتجييش الجيوش ليقتل المسلمون بعضهم بعضاً (بحجة الشيعة والسنّة) ، وجميعهم يؤمنون بالقرآن وبرسالة محمد صلّى الله عليه وعلى آله . »

أما مسألة تفضيل الإمام علي ، والانتصار له يوم قتاله معاوية ، وخروجه عليه « فلو سلمنا انه كان في ذلك الزمن مقيّداً ، او ينتظر من ورائه نفعاً لاحقاق حق أو إزهاق باطل ، فاليوم نرى ان بقاء هذه النعرة ، والتمسك بهذه القضية التي مضى أمرها ، وانقضى مع امة قد خلت ، ليس فيها الا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الإسلامية » (٨١) .

٩ ـ الدفاع عن الإسلام والحضارة الاسلامية . دخل الأفغاني ، أثناء إقامته بباريس ، في جدل حاد مع ارنست رينان Ernest Renan الاستاذ في جامعة السوربون ، حول محاضراته التي القاها عام ١٨٨٣ بعنوان « الاسلام والعلم » (L'Islam et la Science) فقد ادعى رينان « ان اي انسان ، على قدر من المعرفة العصرية ، يرى بجلاء تخلّف البلاد الإسلامية ، وتدهور الدول التي تدين بالاسلام ، والإفلاس الفكري الثقافي والتعليمي عند الأجناس المعتنقة لهذا الدين . كما يلاحظ اولئك الذين عاشوا في الشرق او افريقيا ، باستغراب ، القصور الروحي عند المؤمن الحق ، والبوتقة الحديدية التي تغلّف عقله ، والانغلاق الذهني المحكم الرافض للعلم ، بحيث يصبح عاجزاً عن التعلم او الانفتاح على اية فكرة جديدة » (٨٢) . ويعزو رينان هذا الانغلاق الفكري والجمود الذهني والتخلّف العلمي عند المسلمين الى الدين الاسلامي نفسه ، الذي « فتح آفاقاً واسعة (امام

---

(٨١) المصدر السابق ، ص ٣٣٠

(٨٢) Hourani, Albert: *Arabic Thought In The Liberal Age*, p. 120.

المسلم) أروت خياله وأشبعت رغباته إشباعاً تاماً ، وقدّمت له مجالات غير محدودة لآماله » (٨٣) . وخرج رينان بآراء تؤكد ان الإسلام لا يشجّع على العلم والفلسفة والبحث بل هو عائق لها ، وان الجنس العربي بطبيعته أبعد العقول عن الفلسفة والنظر فيها .

وانتهز الافغاني هذه المناسبة ليبرز دور الإسلام في الحض على طلب العلم وتنمية الفكر الانساني . واستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ودلّل على ذلك بالانجازات العلمية والمآثر الفكرية التي حققها العرب، فقال : « الكل يعلم ان الشعب العربي خرج من حالة الهمجية التي كان عليها ، وأخذ يسير في طريق التقدّم الذهني والعلمي . ويغذّ السير بسرعة لا تعادلها الا سرعة فتوحاته السياسية. وقد تمكّن في خلال قرون من التكيف بالعلوم اليونانية والفارسية .. فتقدمت العلوم تقدماً مدهشاً بين العرب ، وفي كل البلدان التي خضعت لسيادتهم ... كان العرب في ذلك الجهل حين شرعوا يتناولون ما تركته الامم المتمدنة ، فأحبوا تلك العلوم المندثرة ، ورقوها وخلعوا عليها بهجة لم تكن لها من قبل . أوَ ليس هذه دلالة ، بل برهاناً على حبّهم الطبيعي للعلوم ؟

«صحيح ان العرب أخذوا عن اليونان فلسفتهم ، كما أخذوا عن الفرس ما اشتهروا به، بيد ان هذه العلوم التي أخذوها بحق الفتح قد رقوها ووسعوا نطاقها ، ووضعوها ونسقوها تنسيقاً منطقياً ، وبلغوا بها مرتبة من الكمال تدل على سلامة الذوق وتنطوي على التثبت والدقة النادرين ... جاء اليوم الذي ظهر فيه منار المدنية العربية على قمة جبال البرانس ، يرسل ضوءه وبهاءه على الغرب ، فأحس الاوروبيون اذ ذاك استقبال أرسطو بعد ان تقمّص الصورة العربية ، ولم يكونـــوا يفكرون فيه وهو في ثوبه اليوناني على مقربة منهم . اوَ ليس هذا برهاناً آخر ناصعاً على مزايا العرب الذهنية وحبّهم الطبيعي للعلوم ؟؟ »(٨٤) .

---

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .
(٨٤) عمارة ، محمد : الاعمال الكاملة لجمـــال الدين الافغاني ، ص ٢٠٨ .

٢ ـ الشيخ محمد عبده

ولد الشيخ محمد عبده عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩ م في قرية « محلة نصر » . وتعلّم فيها القراءة والكتابة ثم التحق بالمسجد الأحمدي في طنطا ليتقن تجويد القرآن ، والتقى بالشيخ درويش خضر الذي حببه بطلب العلم . ولما أكمل تعليمه في المسجد الأحمدي انتقل الى القاهرة ليتابع تحصيله العالي في الأزهر عام ١٢٨٢هـ . وبعد دراسة اثني عشر سنة نال شهادة العالمية من الأزهر عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م وعيّن مدرّساً في دار العلوم ، وألّف كتاباً في علم الاجتماع والعمران (وهو مفقود) . وأخذ يكتب في جريدة « الأهرام » منذ صدورها عام ١٨٧٦م. وتولى التحرير في « الوقائع المصرية » ، فضم الى هيئة التحرير سعد زغلول والشيخ عبد الكريم سليمان وابراهيم الهلباوي (٨٥) .

اشترك في ثورة عراني عام ١٨٨٢ ، فسجن ثلاثة أشهر ، ونفي ثلاث سنوات قضى منها عاماً في بيروت وانتقل الى باريس بناء على دعوة استاذه جمال الدين الافغاني . وفي باريس اصدرا مجلة « العروة الوثقى » ثم عاد الى بيروت ثانية وأخذ يدرس في جوامعها ، ويكتب في مجلة « ثمرات الفنون » البيروتية . وعاد الى مصر بعد ست سنوات من المنفى عام ١٨٨٨ (٨٦) . وكانت عودته بوساطة من صديقه رياض باشا الذي تولى الوزارة في عهد الخديوي توفيق . غير ان الوضع في مصر قد تغيّر ، وأصبح الانكليز هم المسيطرون على الحكم والادارة . ولذلك انصرف محمد عبده الى التجديد الديني وإصلاح المؤسسات الدينية كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية . ولما توفي الخديوي توفيق عام ١٨٩٢ ، وخلفه الخديوي عباس تقرّب منه محمد عبده بواسطة محمد ماهر باشا ، فعينه الخديوي في مجلس ادارة الأزهر وأوكل اليه

---

٨٥) امين ، احمد : زعماء الاصلاح الحديث ، ص ٢٨٠ — ٢٩٥ .
Hourani, Albert: *Arabic Thought In The Liberal Age*, pp. 130-133.

(٨٦) امين ، احمد : محمد عبده ، ص ٢٤-٥٦ . خولة ، محمد بشير : الشيخ محمد عبده ، ص ٢-١٧ .

تقديم تقرير عن الاصلاح المرجو في الأزهر . وفي عام ١٨٩٩ تولى الافتاء في مصر ، وتوثقت صلاته باللورد كرومر ، المندوب السامي البريطاني . واختير عضواً في مجلس شورى القوانين ، ومجلس الأوقاف والجمعية الخيرية الاسلامية . وتوفي عام ١٩٠٥م (٨٧) .

كانت نقطة الانطلاق في تفكير الشيخ محمد عبده هي الانحلال الداخلي والحاجة الى التجديد في الاسلام . لم يبحث عن الخلاص الفردي بل كان يسعى الى اقامة المجتمع الصالح . وكانت تواجهه صورتــان متباينتان للمجتمع الاسلامي : صورة قديمة جميلة تعود الى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، وصورة أخرى مهزوزة للمجتمع المعاصر . وكان عليه ان يوفّق بين المجتمع الاسلامي الأفضل الذي كان يطمح اليه والمجتمع الذي كان يعيش فيه . وأدرك ايضاً ان تطورات عديدة قد طرأت على المجتمع الاسلامي الحديث بما أدخل من قوانين وأنظمة وضعية ، سواء كان ذلك في مصر او في الدولة العثمانية ، وأصبح في مصر نفسها نوعان من التعليم ونوعان من المعاهد : المعاهد الدينية التابعة للازهر والّتي تدرّس العلوم الدينية ، والمعاهد الحكومية ، على النمط الغربي ، حيث تدرّس العلوم العصرية . ونتيجة لذلك ظهرت في مصر طبقتان من المثقفين هما : طبقة المثقفين ثقافة اسلامية تقليدية ، الّتي ترفض كل تجديد ، وطبقة المثقفين ثقافة غربية ، ومعظمها من الجيل الجديد ، لا ترفض التطور والتغير بل ترحب بكل جديد في ميداني الفكر والعمل .

اما المجتمع المثالي الذي أراده محمد عبده فهو مجتمع يسوده العقل لا القانون . ذلك ان المسلم الحق ، في رأيه ، هو الذي يعتمد على العقل في شؤون الدنيا والدين ، وما الكافر الا ذلك الانسان الذي يغمض عينيه فلا يرى نور الحقيقة ، ولا يقبل اعتماد البراهين العقلية . والاسلام ،

---

(٨٧) امين ، احمد : زعماء الاصلاح الحديث ، ص ٣١٣-٣٢٥ .
امين ، عثمان . رائد الفكر المصري الامام محمد عبده ، ص ٣٤-٥٠ .

بخلاف ما زعم أعداؤه ، لم يدع الى اهمال العقل ، بل حثَ على العلوم العقلية وغيرها من العلوم . والمجتمع المثالي او الصالح هو الذي يقبل أوامر الله ويمتثل لها ويفسرها تفسيراً عقلياً ، وفقاً للصالح العام . انه مجتمع الفضيلة والسعادة والرخاء والقوة .

من هذا التصور الشامل نشأت دعوة محمد عبده في التجديد الديني واعتمد على الأسس التالية :

١ ـ تطهير الاسلام من البدع والضلالات والعودة به الى نقائه الاول . يقول الشيخ في هذا الصدد : « ارتفع صوتي بالدعوة الى أمرين عظيمين : الاول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلّل من غلطه وضبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني » (٨٨) .

وهاجم التقليد والمقلدين كما فعل استاذه الافغاني. فهو يقول : « التاثت قلوب الجمهور من الخاصة بمرض التقليد . فهم يعتقدون الأمر ثم يطلبون الدليل عليه ولا يريدونه الا موافقاً لما يعتقدون . فان جاءهم بما يخالف ما اعتقدوا نبذوه ، ولجوا في مقاومته ، وان أدّى ذلك الى جحد العقل برمته ، فأكثرهم يعتقد فيستدل ، وقلما تجد بينهم من يستدل فيعتقد .. » (٨٩) .

وكان يخشى من استمرار التقليد ، وتعذّر محو البدع والضلالات التي دخلت الاسلام ، ويخاف على العقيدة ان تنهار بسبب طغيان الفكر الغربي الحديث . ولذلك شن أقسى الحملات على المقلدين : « فان التقليد كما يكون في الحق يأتي في الباطل ، ، و كما يكون في النافع يحصل في الضار ، فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ، ولا تجمل بحال

---

(٨٨) رضا ، محمد رشيد . تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ص ١١ .

(٨٩) عبده ، محمد ، رسالة التوحيد ، ص ٧٧ .

الانسان » (٩٠) .

ويقول ايضاً : « أنحى الاسلام على التقليد ، وحمل عليه حملة لم يردها عند العذر ، فبددت فيالقة المتغلبة على النفوس ، واقتلعت اصوله الراسخة في المدارس ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الامم .

« صاح بالعقل صيحة ازعجته من سباته ، وهبّت به من نومة طال عليه الغيب فيها . كلما نفذ اليه شعاع من نور الحق ، خلصت اليه هنية من سدنة هياكل الدهم (ثم فان الليل حالك والطريق وعرة والغاية بعيدة والراحلة كليلة والازواد قليلة) . « علا صوت الاسلام على وساوس الطغام ، وجهر بان الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام ، ولكنه فطر على ان يهتدي بالعلم والاعلام ، – اعلام الكون ودلائل الحوادث– وانما المعلمون منبهون ومرشدون والى طريق البحث هادون » (٩١).

وسار محمد عبده في هذا الاتجاه على خطة الدعوات الاصلاحية السلفية فأخذ بآراء ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب في العودة بالاسلام الى منابعه الاولى . ولذلك اعتبر الاستغاثة بالقبور والأولياء والصالحين ضرباً من الشرك . وعزا تعظيم الاولياء وتقديسهم عند المسلمين الى الأقوام التي غزت البلاد الاسلامية من ترك وديلم وغيرهم : فهو يقول: « انظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه . ولكنهم نجحوا في إقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره وتفخيم أوامره .. والغوغاء عون الغاشم وهو يد الظالم . فخلقوا لنا هذه الاحتفالات وتلك الاجتماعات . وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة وقرروا ان المتأخر ليس له ان يقول بغير ما يقول المتقدم ، وجعلوا

---

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٩١) المصدر نفسه ، ص ١٨١-١٨٢ .

ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول » (٩٢) .

٢ – اعادة النظر في عرض المذاهب الاسلامية على ضوء الفكر الحديث ، او التوفيق بين الدين والعلم . فهو يقول : « لا يجوز ان يُقام الدين حاجزاً بين الأرواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممالكة بقدر الامكان ، بل يجب ان يكون الدين باعثاً لها على طلب العرفان مطالباً لها باحترام البرهان ، فارضاً عليها ان تبذل ما تستطيع من الجهد في معرفة ما بين يديها من العوالم ... ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجنى عليه جناية لا يغفرها له رب العالمين » (٩٣) .

وعمد الى استعمال العلوم الحديثة في تفسيره للآيات القرآنية وقال في معرض ذلك : « على اننا نحن المسلمين لسنا في حاجة الى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الطب أو اضافة شيء اليه مما لا دليل في العلم عليه، لأجل تصحيح بعض الروايات الاحادية ، فنحمد الله تعالى انه القرآن القرآن أرفع من ان يعارض العلم » (٩٤) .

ودعا الى التوازن بين العلم والايمان فقال « الا انه من واجب العقل ان يتواضع أمام الله وان يتوقف عند حدود الايمان. اما ضمن هذه الحدود فليس هنالك اي حاجز يعترضه ويعرقل نشاطه ، او اي شيء يحد من نظرياته التي يمكن ان تصدر وفقاً لهذه الافكار » (٩٥).

٣ – الدفاع عن الاسلام ضد التأثيرات الغربية ، وضد حملات المبشرين المسيحيين خاصة . فهو يقول : « الشريعة الاسلامية شريعة عامة باقية الى آخر الزمان ، ومن لوازم ذلك انها تنطبق على مصالح الخلق في كل زمان ومكان . مهما تغيرّت أساليب العمران وشريعة هذا شأنها لا تنحصر جزئيات أحكامها،

---

(٩٢) عبده ، محمد : الاسلام والنصرانية ، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٩٣) عبده ، محمد : رسالة التوحيد ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٩٤) عبده ، محمد : تفسير القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ٩٦ .

(٩٥) جيب ، أ.ر. الاتجاهات الحديثة في الاسلام، ص ٧٢ .

لانها تتعلق بأحوال البشر ما وجدوا ، ولا يحيط بذلك علماً الا عالم الغيب والشهادة ، وهو الذي جعل أساسها حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال . اذ مصالح البشر في كل آن مبنية على حفظ هذه الأشياء التي منها السعادة في المعاش والمعاد » (٩٦) .

والاسلام في رأيه ، هو اسلام القرآن والرسول (ص) في سيرته وسنته وسيرة خلفائه الراشدين والصحابة ، لا اسلام المتكلمين والفقهاء (٩٧) . وقد امتد دفاعه عن الاسلام الى كل المعتقدات والنظم الاخلاقية والعبادات كما حاول ان يقدّم الاسلام كأفكار وقيم متحررة تتفق وكل العصور (٩٨) .

٤ — اصلاح التعليم العالي الاسلامي . بدأت فكرة اصلاح التعليم الديني في ذهن محمد عبده بداية مبكرة . فقد نشر عام ١٨٧٦ مقالة في جريدة الأهرام أكّد فيها انه لا يكفي دراسة المؤلفات العربية التقليدية في الشرع الاسلامي ، التي تدافع عن العقيدة ، بل يجب تلقي العلوم الحديثة وتاريخ الديانات في اوروبا لتفهّم أسباب التقدّم الغربي . وتكوّنت لديه فكرة واضحة عن ضرورة اصلاح التعليم الديني في مصر وهو الذي عانى من سوء التعليم في الجامع الأحمدي بطنطا وعاش تجربة مرّة دامت اثنا عشرة سنة في الجامع الأزهر . فها هو يقول : « ان اصلاح الأزهر أعظم خدمة للاسلام فان اصلاحه اصلاح للمسلمين وفساده فساد لهم » (٩٩) .

واتيح له ان يحقق بعض أفكاره في اصلاح التعليم في الأزهر في عهد الخديوي توفيق الذي كان وراء الاصلاح . ولم يوفق الشيخ في الاصلاح المطلوب ، بسبب مقاومة شيوخ الأزهر لادخال العلوم الحديثة . ولما تولى الخديوي عباس الحكم عهد الى الشيخ باعداد تقرير

---

(٩٦) رضا ، محمد رشيد : تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ، ص ٦١٤ .
(٩٧) المصدر نفسه ، ص ٩٣٩ .
(٩٨) المصدر نفسه ، ص ٩٩ . Hourani, A: *Arabic Thought*, p. 144.
(٩٩) المصدر السابق ، ص ٤٢٥ .

عن التعليم في الأزهر وطرق اصلاحه . وعلى أثر ذلك تألف « مجلس ادارة الجامع الازهر » لتنظيم قواعد التدريس والأروقة والمرتبـات ودرجات العلماء . وتألف المجلس من ستة أعضاء كان الشيخ محمد عبده أحدهم عام ١٨٩٥ . وكان الروح المحركة للمجلس . وأثمرت جهوده في الاصلاحات التالية :

١ ــ تنظيم مرتبات الاساتذة في الأزهر وزيادتها .
٢ ــ منح كساوى التشريف التي يلبسها العلماء لمن يستحقها .
٣ ــ تنظيم الجرايات التي تصرف للمجاورين في الأزهر .
٤ ــ اصلاح مساكن المجاورين في اثاثها وايصال الماء اليها .
٥ ــ اصلاح ادارة الأزهر بايجاد مكاتب ادارية لمساعدة شيخ الأزهر .
٦ ــ تأليف لجنة من ثلاثين عالماً لدراسة المناهج المقررة في الأزهر . ادخلت مواد الحساب والجبر وتاريخ الاسلام والانشاء وآداب اللغة العربية ومبادىء الهندسة وتقويم البلدن الى المناهج .
٧ ــ اصلاح المكتبة لتسهيل استعمالها .
٨ ــ اصلاح طريقة التدريس . وقد بدأ الشيخ بنفسه (١٠٠) .

والواقع ان استجابة الأزهر لضرورة التجديد كانت بطيئة جداً . لأن هذه المؤسسة العلمية ذات تقاليد تعود الى ثمانية قرون ، وتعتبر نفسها ، أمام العالم الاسلامي ، حارسة للدين والناطقة بالمذهب السني في الاسلام . ولذلك لم تفتح أبوابها بسهولة لرياح التجديد والتغيير القادمة اليها من الغرب (١٠١) .

وقد اهتم الشيخ محمد عبده بالتعليم الديني العالي وأهمل التعليـم الابتدائي والثانوي في المدارس الدينية التابعة للأزهر ، واغفل مكافحة الامية بل اعتقد ان اصلاح التعليم العالي سيؤدي الى اصلاح بقية مراحل التعليم الديني . هذا ، وكان التعليم الابتدائي والثانوي العصري في مصر

---

(١٠٠) خولة ، محمد بشير : الشيخ محمد عبده ، ص ٦٩-٧١ .
امين ، عثمان : رائد الفكر المصري ، الامام محمد عبده ، ص ١٨٢-١٨٧ .
(١٠١) جيب ، أ. ر : الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، ص ٦٨ .

وغيرها من الأقطار العربية ، قد بدأ منفصلاً عن الأزهر والمدارس الدينية وسار في اتجاه آخر (١٠٢) .

ومهما قيل في دعوة الشيخين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في الاصلاح الديني فقد تأثر بهما عدد من المفكرين العرب والمسلمين من الأجيال اللاحقة ، فكان من أشهر تلامذتهما والمتأثرين بهما في مصر محمد فريد وجدي وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز جاويش وفي بلاد الشام الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥١ — ١٩٢٠) صاحب الفضل في انشاء المكتبة الظاهرية بدمشق ، والشيخ حسين الجسر (١٨٤٥ — ١٩٠٩) مؤسس المدرسة الوطنية الاسلامية في طرابلس الشام ، التي كانت تدرّس العلوم العصرية باللغات العربية والفرنسية والتركية ، ومؤلف « الرسالة الحميدية » (١٠٣) في الدفاع عن الاسلام وعرض مفاهيمه ببيان سهل خال من زخرف اللفظ واستطراد الحواشي ، وعبد القادر المغربي (١٠٤) الذي قضى عدة سنوات بصحبة الافغاني في الآستانة ، ومحمد كردعلي ، وجمال الدين القاسمي ، وعبد القادر البيطار ، وعبد الحميد الزهراوي ، ومحمد زاهد الكوثري ، وعبد القادر الترمانيني ، ومحمد رشيد رضا ، والأمير شكيب ارسلان . وسار على نهجهما في شمال افريقيا محمد بيرم التونسي أحد أتباع المصلح السياسي والاجتماعي المشهور خير الدين التونسي ، ومؤلف عدة كتب في اصلاح القضاء ، والشيخ محمد النخلي والشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ سالم بوحاجب المدرسين في جامع الزيتونة والشيخ محمد بن الخوجة (١٠٥) .

---

(١٠٢) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

(١٠٣) رضا ، محمد رشيد : المنار والازهر ، ص ٢١-١٤١ . الباني ، محمد سعيد : تنوير البصائر ، ص ٢٤-٢٥ .

(١٠٤) الف كتاباً عن ذكرياته مع جمال الدين الافغاني بعنوان : جمال الدين الافغاني ذكريات واحاديث ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ .

(١٠٥) امين ، عثمان : رائد الفكر المصري ، الامام محمد عبده ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥. =

غير اننا سوف نقتصر في دراستنا هذه على آراء تلميذه : محمد رشيد رضا لما له من تأثير في الفكر الاسلامي المعاصر .

٣ ـ الشيخ محمد رشيد رضا

ولد بقرية القلمون قرب طرابلس الشام عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م ، وتعلّم فيها القراءة والكتابة . ثم دخل « المدرسة الوطنية الاسلامية » في طرابلس ، حيث درس بالاضافة الى العلوم الدينية بعض العلوم الحديثة من منطق ورياضيات وطبيعيات . وتتلمذ فيها على يد عدد من العلماء والأدباء أشهرهم مدير المدرسة الشيخ حسين الجسر . واعجب أثناء ذلك بالصوفية ، فدرس مؤلفات كبار المتصوفة في الاسلام كالحلاج وابن عربي ، وأصبح ، لفترة قصيرة ، من أتباع الطريقة النقشبندية ثم ما لبث ان انقلب على الطرق الصوفية ، مستنكراً شعوذات أتباعها . يقول في هذا الصدد : « قيل لي : الا تتفرج على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جنة الآخرة في مكانها من ضفة نهر علي ؟ قلت نعم . فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذاهبين ، وكان أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع فجلست في ايوان النظارة نمتّع البصر برؤية جنات البرتقال والشم بعبير زهرها ، والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا . حتى اذا ما آن وقت المقابلة ، تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان النظارة ، وفي صدره شيخهم الرسمي . واذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه ، يلبسون غلائل بيضاً ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية ، يدورون دوراناً فنياً سريعاً تتفرج به غلائلهم فتكون دوائر متقاربة ، على أبعاد متناسبة ، لا يبغي

— عاشور ، محمد الفاضل : الحركة الادبية والفكرية في تونس ، ص ٦٠-٦١ ، النيفر ، الشيخ محمد : عيون الاريب ، ص ٧٦ ، ١٨٧ .
Hourani, A: *Arabic Thought in the Liberal Age*, pp. 222-224.

بعضها على بعض . ويمدون سواعدهم ويميلون أعناقهم ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم ، فيركعون له . قلت ما هذا ؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف .

« لم املك نفسي ان وقفت في بهرة النظارة . وصحت بأعلى صوتي بما معناه : ايها الناس او المسلمون ان هذا منكر لا يجوز النظر اليه ، ولا السكوت عليه لانه اقرار له ، وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى « واتخذوا دينهم هزواً ولعباً » (١٠٦) .

والتقى بالشيخ محمد عبده في طرابلس عام ١٨٩٤ ثم ارتحل الى مصر عام ١٨٩٧ ، واتصل من جديد بمحمد عبده . وأصدر في العام التالي مجلة « المنار » التي حلّت محل مجلة « العروة الوثقى » في التجديد الديني والدعوة الى الجامعة الاسلامية . وقد أوضح أهداف المجلة في افتتاحية العدد الأول منها (٢٢ شوال ١٣١٥هـ / ١٥ مارس ١٨٩٨) ولخّصها بقوله : « انما انشيء المنار للدعوة الى الاصلاح الاسلامي بجميع أنواعه ، ولا سيما الديني باصلاح التربية والتعليم . وبدأ من أول السنة الاولى بنشر المقالات الضافية في ذلك بعنوان الاصلاح وبعناوين اخرى ولا سيما (منكرات الموالد) . وكانت هذه المقالات تتضمن بيان تقصير علماء المسلمين فيما يجب عليهم من الاصلاح ، ومقاومة البدع والمنكرات ، وتلقي عليهم جل تبعة ضعف الأمة وضياع دينها ودنياها ، وتطالبهم بالاصلاح الواجب عليهم » (١٠٧) .

وظلت المنار تصدر حتى وفاة صاحبها عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م (١٠٨).
والى جانب اصدار المنار الف محمد رشيد رضا مجموعة من الكتب أبرزت اتجاهاته في الاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي وهي :

---

(١٠٦) رضا ، محمد رشيد : المنار والازهر ، ص ١٧١-١٧٢ .
(١٠٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
(١٠٨) المصدر السابق ، ص ١٣٣-١٣٨ .
ارسلان ، الامير شكيب : السيد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة ، ص ١٢٣- ١٣٠ .

١ ـ تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار وهو في اثني عشر مجلداً.
٢ ـ التفسير المختصر المفيد .
٣ ـ تاريخ الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وهو في ثلاثة أجزاء .
٤ ـ نداء للجنس اللطيف (حقوق النساء في الاسلام) .
٥ ـ الوحي المحمدي .
٦ ـ المنار والأزهر .
٧ ـ ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد .
٨ ـ ذكرى المولد النبوي .
٩ ـ الوحدة الاسلامية او (محاورات المصلح والمقلد) .
١٠ ـ يسر الاسلام واصول التشريع العام .
١١ ـ الخلافة او الإمامة العظمى .
١٢ ـ الوهابيون والحجاز .
١٥ ـ مناسك الحج وأحكامه وحكمه .
١٦ ـ المسلمون والقبط .
١٧ ـ رسالة في الصلب والفداء .

اما آراؤه في التجديد والإصلاح الديني فتقوم على الأسس التالية :

١ ـ استقلال الفكر وحرية العقل في العلم، واجتناب تقليد العلماء. يقول في هذا الصدد : « اما ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن الحكيم فيبلـغ زهـاء خمسين مرة . وأما ذكر أولي الألباب أي العقول ففي بضع عشرة مرة ، واما كلمة اولي النهي اي العقول فقد جاءت مرة واحدة من آخر سورة طه ...

« كانت التقاليد الدينية حجرت حرية التفكير واستقلال العقل على البشر حتى جاء الاسلام فأبطل بكتابه هذ الحجر ، وأعتقهم من الرق ... » (١٠٩) ولم يدّخر جهداً في الاتيان بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية ليؤكد ان الاسلام دين العلم والحكمة ، والحجة والبرهان بالاضافة

---

(١٠٩) رضا ، محمد رشيد : الوحي المحمدي ، ص ١٩٥-١٩٧ .

الى كونه « دين القلب والوجدان والضمير » .

٢ ــ ابطال البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق والأعمال وروّجت في المسلمين أسواق الدجل والخرافات ، مثل بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد . ومن قوله : « اما ان الاولياء كسائر الأموات لا يملكون للناس ولا لانفسهم ضراً ولا نفعاً ، لا بالذات ولا بالوساطة والشفاعة ، واما ان الاحتفال بالموالد يغضبهم ولا يرضيهم ويسوءهم ، فلذلك يتصرفون بفاعله أسوأ التصرف ويتوسلون الى الله ان ينتقم منه أشد الانتقام . فليتبصر المسرفون في أمرهم الذين ذهبت الاعتقادات الفاسدة بدينهم ودنياهم . وليخش الله أهل العمائم الذين يؤونون لهم بأنهم لا يعتقدون ان للولي قدرة يقدر بها على النفع والضر فيكونوا وثنيين مشركين ... » (١١٠) وكان اول نقد صريح وجّهه لعلماء الأزهر لاحتفالهم بمولد الإمام الشافعي قد صدر في عدد شعبان ١٣١٦ هـ. ايلول ١٨٩٨ من مجلـة المنـار ، وجـاء فيه : « احتفل العلمـاء في يوم الثلاثاء الأسبق بكنس ضريـح الإمـام الشافعي رحمه الله تعالى وسيحتفلون قريباً بمولده . وقد كتبنا بهذه المناسبة ننددّ بما في هذه الاحتفالات والموالد من البدع وذكرنا ترجمة الإمام عليه الرضوان ، وما كان عليه من نصر السنة وخذل البدعة . وقد بلغنـا بمزيد السرور ان فضيلة مفتي الديار المصرية تواطأ مع فضيلة شيـخ الجامع على ازالة هذه البدع تدريجياً فأزالا في هذه السنة بدعة توزيع الكناسة على العلماء التي كانت تؤخذ للتبرّك ، وبدعة نقل العمامة التي توضع على القبر من رأس الى رأس آخر ، لان هذين العملين مـن عبادات الوثنيين في الهند . فحمداً للشيخين وشكراً ، ونسأل الله ان يوفّق معهما سائر الشيوخ لاماتة البدع وإحياء السنة » (١١١) .

٣ ــ اعتماد القرآن والحديث النبوي في « تصحيح العقائد وتزكية

---

(١١٠) رضا ، محمد رشيد : المنار والازهر ، ص ٢١٠ .

(١١١) المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٨ .

النفوس وتهذيب الأخلاق والاتباع المحض في العبادات على منهاج السلف الصالح » (١١٢) . ويقتضي ذلك احياء علوم التفسير والسنة واثار السلف . ويستنكر الجمود الفكري الذي ألمّ بالمقلدين من علماء عصره . ويعلّل دعوته هذه بقولـــه : « يتوهـــم بعض المقلدين ان دعوة المسلمين الى الاهتداء بالكتـــــاب والسنة والاستقــلال في فهمهمـــا التي اشتهر المنـــار بهـــا في عصرنـــا ، هي التي جرأت بعض الجاهلين عـــلى دعوى الاجتهـــاد في الشريعة والاستغنـــاء عن تقليد الأئمة والانتقاد عليهم وعلى أتباعهم بما هو ابتداع جديد ، واستبدال للفوضى بالتقليد . وهو وهم سببه الجهل بالدين وبالتاريخ .. وانما تروج البدع في سوق التقليد الذي يتبع أهله كل ناعق ، لا في سوق الاستقلال والأخذ بالدلائل . ومن باب التقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين لانتساب جميع الدجّالين من أهل الطرائق وغيرهم الى ائمة المذاهب المجتهدين ، وهم في عدوى أتباعهم من الكاذبين . ونحن دعاة العلم الصحيح والاهتداء بالكتـــاب والسنة أحق منهم باتباع الأئمة ... » (١١٣) .

وفي دعوته الى الاجتهاد وضع قواعد للاجتهاد من النصوص اذ قال : « احكام الكتاب والسنة ، منها أحكام خاصة بالأعمال والوقائع ، ومنها قواعد عامة للتشريع . والأحكام الخاصة منها ما هو قطعي الرواية والدلالة لا مجال للاجتهاد فيه ولا معدّل عن الحكم به الا لمانع شرعي من فوات شرط ، كدرء حد بشبهة ، او عذر ضرورة ، وقد أمر عمر في المجاعة الا يحد سارق . ومنها ما هو غير قطعي يعمل فيـــه باجتهاد من يناط به الحكم والتنفيذ من أمير أو قاض او قائد جيش كما تقدّم قريباً في العبادات والمحرمات .

« واما القواعد العامة فهي ما تجب مراعاته في الأحكام المختلفة ،

---

(١١٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٠ .
(١١٣) رضا ، محمد رشيد : الوحي المحمدي ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

وأهمها في الاسلام ، تحري الحق والعدل المطلق العام ، والمساواة في الحقوق والشهادات والأحكام ، وحفظ المصالح ودرء المفاسد ، ومراعاة العرف ، ودرء الحدود بالشبهات ، وكون الضرورات تبيح المحظورات وتقدير الضرورة بقدرها ، ودوران المعاملات على اكتساب الفضائل ، واجتناب الرذائل ، وحسبك بالشواهد من القرآن على قاعدة ايجاب العدل المطلق والشهادة وتحريم الظلم » (١١٤) .

٤ — اصلاح نظام التربية والتعليم اذ وجّه اهتمامه بشكل خاص الى الأزهر ، مطالباً باصلاح نظام التعليم فيه ، متمّماً بذلك ما بدأ به استاذه الشيخ محمد عبده . قال في هذا الصدد : « نطلب من مشيخة الأزهر اصلاح طريقة التعليم ليقرب التحصيل على الطلاب ، فيخرج لنا في كل سنة من المجاورين المعدودين بالالوف مئات وعشرات من المرشدين والوعّاظ والمعلّمين للدين والآداب . ونطلب ايضاً ملاحظة التربية مع التعليم ، فان علماء الاجتماع عامة وعلماء البيداجوجيا « التربية والتعليم » خاصة مجمعون على ان التربية هي أقوى الركنين وأنفع العنصرين ، وان السعادة قد تنال بتربية من غير تعليم ولكن التعليم وحده لا يغني غناءها ، ولا يسد مسدها . ولا توجد في الدنيا مدرسة لملة من الملل لا يوجد فيها للتربية اسم ولا مسمى كمدرسة الأزهر » (١١٥) .

ولم يقتصر اصلاح الأزهر على تطوير وتحسين أساليب التعليم فيه ، وانما حسب رأي رشيد رضا — يقتضي تدريس العلوم العصرية فيه . فهو يقول « ونتيجة هذا كله ان الاصلاح الاسلامي يتوقف قبل كل شيء على اقناع العلماء ورجال الدين بان العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوّة والعزّة لازمة لا مندوحة عنها ، ويجب ان تعلم مع الدين ، وان يقوم بتعليمها رجال الدين . لأن تركها للمدارس الاميرية

(١١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ ،
(١١٥) رضا ، محمد رشيد : المنار ، المجلد الثالث ص ٥٥٥ .

والأجنبية التي يقولون (لا دين فيها) يجعلها خاصة بمن لا دين لهم ، وهؤلاء لا يرجى منهم خير للامة والملة ...

« ان الشريعة الاسلامية تصرّح بان تعلم الصناعات التي يحتاج اليها البشر في معاشهم واجبه على مجموع الأمة ، وأما ما يتوقف عليه الواجب المطلق كالجهاد واجب ايضاً ... مع هذا كله نجد أكثر رجال الدين عندنا يعادون هذه الفنون وأهلها بل يكفرونهم ومنهم من عمي عن الوقت والزمان فزعم انها لا لزوم لها بالكلية ... » (١١٦) .

وذهب الى ضرورة التخصص في العلوم والفنون المختلفة حتى يتمكن الطالب من إتقان الفرع الذي يتخصص بدراسته . وأشار في هذا الى دعوة الشيخ محمد عبده في ضرورة التخصص في التعليم القضائي في الأزهر.

٥ ــ الدفاع عن الاسلام وذلك بالرد على الملاحدة ودحض مزاعمهم وحججهم ، ويقتضي ذلك التحقيق في صحة الروايات المختلفة فيما يتصل بالأحاديث لانتقاء الأحاديث الصحيحة وإهمال الأحاديث الموضوعة . وشرع محمد رشيد رضا بالعمل في هذا الاتجاه وذلك بتفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإصدار الفتاوى ونشر المقالات في مختلف الموضوعات .

٦ ــ القيام بالوعظ والارشاد للمسلمين في مساجدهم ومجامعهم وقراهم ومزارعهم وبدوهم وحضرهم بالخطب والدروس العامة والتأليف في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب الدينية . والقصد من ذلك كله ازالة الأوهام والضلالات والبدع التي علقت في أذهان المسلمين في مختلف مستوياتهم ، ونقلهم من عالم التخلّف والضعف والانحلال الى الحياة الاسلامية العصرية المتوخاة بما فيها من قوة وتقدّم وتماسك اجتماعي وقيم أخلاقية .

٧ ــ الدعوة الى الاسلام في العالم ، وذلك بعد تهيئة جيل من المثقفين ثقافة دينية سليمة والملمين باللغات الأجنبية والعلوم الحديثة (١١٧) .

---

(١١٦) رضا ، محمد رشيد : المنار والازهر ، ص ٢٠٨ .

(١١٧) المصدر السابق ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

الفصل الثاني

الاتجاهات السياسية

ان الدساتير لا تعطي اعنتها الا الأعاصير من جن ومن بشر
من هابط كقضاء الله مكتسح أو صاعد كفم البركان منفجر

بشارة الخوري

كان من نتائج اتصال العرب بالغرب ان تعرّفوا بالحركات السياسية وأنظمة الحكم الغربية ، والمبادىء التي كانت تنادي بها تلك الحركات، والأسس التي قامت عليها تلك الأنظمة ، واقتبسوا منها مفاهيم جديدة : كالحرية والديمقراطية والدستور « المشروطية » والوطن والوطنية والأمة والقومية (الجنسية) . وكان للثورة الفرنسية والشعارات السياسية التي أطلقتها صداها لدى المفكرين العرب . فأعجبوا ، اول الأمر ، بالحرية والمساواة والإخاء ، ولكنهم ذهلوا لما جلبته الثورة من فتن وقتل وخراب. ووصف لنا نقولا الترك ، الذي عاصر الثورة الفرنسية ، موقف أبناء قومه بقوله « فحق لنا ان نؤرخ في هذا الكتاب ، لانتفاع الطلاب ، ما حدث من التغير والانقلاب مما أجرته يد الأقدار في هذه الامصار ، ومما أذنت العزة الالهية، بظهور المشيخة الفرنسوية وما تكون بسببها من الفتن في البلاد الافرنجية، وديار الرومية، وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم»(١).

واتيح لشيخ أزهري هو رفاعة الطهطاوي (٢) (١٨٠١ — ١٨٧٣)

---

(١) خوري ، رئيف ، الفكر العربي الحديث ، ص ٩٢

(٢) ولد رفاعة في طهطا واليها ينسب . التحق بالازهر وقضى فيه خمس سنوات في التحصيل العلمي ، تتلمذ خلالها على الشيخ حسن العطار ، العالم الازهري المشهور. رافق رفاعة اول بعثة علمية مصرية كبيرة الى فرنسا ، كامام لها ، عام ١٨٢٦م. فاقبل على تعلم الفرنسية وارتياد دور الكتب في باريس ، ينهل من كتب التاريخ والاجتماع والجغرافية والرياضيات والقانون والمنطق والفلسفة والادب والفنون الحربية . فترجم العديد من المؤلفات الفرنسية الى اللغة العربية . عاد الى مصر عام ١٨٣١ فاشتغل مترجماً في كلية الطب ومدرسة الطوبجية . وتولى ادارة مدرسة الالسن التي انشأها محمد علي عام ١٨٣٥ . واشرف على تحرير « الوقائع المصرية » عام ١٨٤٢ . ونفي الى السودان في عهد الخديوي عباس الاول ولكنه ما لبث ان عاد الى مصر عام ١٨٥٤ . وعندما تولى عرش الخديوي سعيد عينه ناظراً للمدرسة الحربية في قلعة القاهرة . وفي عهد الخديوي اسماعيل تولى رفاعة نظارة قلم الترجمة . والتحق بالرفيق الاعلى عام ١٨٧٣ (الشيال ، جمال الدين: رفاعة الطهطاوي ، ص ٥-٨٠) .

أن يرافق إحدى البعثات العلمية المصرية الى باريس ، في عهد محمد علي ، وان يقيم في العاصمة الفرنسية خمس سنوات (١٨٢٦ – ١٨٣١). فلما عاد الى مصر ألّف كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» (١٨٣٤) ، الذي تحدّث فيه عن الدستور الفرنسي ، وعن ثورة عام ١٨٣٠ على الملك شارل العاشر التي شهدها بنفسه . وترجم الدستور الفرنسي الذي سمّاه الشرطة (La Charte) . وأثنى على ما جاء فيه من أحكام فقال : «فيها (أي الشرطة) أمور لا ينكر ذوو العقول انها من باب العدل . ومعنى الشرطة في اللغة اللاتينية ورقة . ثم تسومح فيها فاطلقت على السجل المكتوب فيه الأحكام المقيّدة . فلنذكر لك وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لتعرف كيف قد حكّم عقولهم بـان العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكّام والرعايا ، لذلك عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم بناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيها من يشكو ظلماً أبداً ، والعدل أساس العمران» (٣) .

وتناول الطهطاوي في كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين» فكرة المواطنة وحقوق المواطن وواجباته فقال «فابن الوطن المتأصل به ، أو المنتجع اليه ، الذي توطّن به واتخذه وطناً ينسب اليه تارة والى اسمه فيقال : مصري ، والى الأهل فيقال : أهلي او الى الوطن فيقال وطني ، ومعنى ذلك انه يتمتع بحقوق بلده ، وأعظم هذه الحقوق الحرية التامة في الجمعية التأنسية . ولا يتصف الوطني بوصف الحرية الا اذا كان منقاداً لقانون الوطن ومعيناً على اجرائه . فانقياده لاصول بلده يستلزم ضمناً ضمان وطنه له التمتع بالحقوق المدنية ، والتمييز بالمزايا البلدية ، فبهذا المعنى هو وطني وبلدي» (٤) .

---

(٣) الطهطاوي ، ، رفاعة : الاعمال الكاملة ، ج ٢ ، ص ٩٥
(٤) الطهطاوي ، رفاعة : الاعمـال الكاملة ، ج ٢ ، ص ٤٣٣

واذا كان الطهطاوي قد نقل مشاهداته في فرنسا وآراء المفكّرين الفرنسيين السياسية في كتبه العديدة التي ألفها أو ترجمها ، فقد تناول خير الدين التونسي (٥) في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» تطور أنظمة الحكم في مختلف الدول الاوروبية ، التي كانت أقوى الدول وأكثرها تقدّماً وازدهاراً في عصره . وعقد مقارنة بينها . وأبرز الجوانب الايجابية فيها ، وخاصة تلك التي لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، واختلف خير الدين عن الطهطاوي الذي حصر اهتمامه بمصر ، بأن وضع نصب عينيه الأمة الاسلامية بأسرها وركّز بشكل خاص على الدولة العثمانية وأوضح الهدف من تأليف كتابه السابق الذكر بقوله :

«ان الباعث الاصلي على ذلك امران آيلان الى مقصد واحد : أحدهما اغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الأمّة الاسلامية ، وتنمية أسباب تمدّنها ، بمثل دوائر العلوم والعرفان ، وتمهيد طريق الثروة من الزراعة والتجارة ، وترويج سائر الصناعات ، ونفي أسباب البطالة . وأساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منه الأمن ، المتولّد منه الأمل ، المتولّد منه اتقان العمل المشاهد في الممالك الاوروباوية بالعيان ، وليس بعده بيان . وثانيهما تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم

(٥) خير الدين مملوك شركسي اشتراه باي تونس ، احمد باي ، وتقلد عدة مناصب سياسية هامة في تونس . واوفد الى باريس عام ١٨٥٢ فاقام فيهما اربع سنوات . ثم عاد الى تونس فتولى الوزارة وقام باصلاحات هامة في الادارة والتعليم والصحة والاقتصاد . وساهم في ادخال النظم الغربية الحديثة الى الدولة التونسية ، اذ كان عضوا في اللجنة التي وضعت « عهد الامان » عام ١٨٥٧ م في عهد الباي محمد الصادق . وتولى الوزارة الكبري عام ١٨٧٠ فاتم الاصلاحات التي بدأها . وانشأ اول محجر صحي في تونس العاصمة ، واحدث ادارة للاوقاف العامة . وقام بتوزيع اراضي الدولة على صغار الفلاحين وشجعهم على زراعة الزيتون. واسس المدرسة الصادقية ، فكانت اول معهد تونسي تدرس فيه العلوم العصرية . وانشأ المكتبة الصادقية بجانب جامع الزيتونه .

في الاعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرّد ما انتقش في عقولهم من ان جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتيب ينبغي ان يهجر ، وتآليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر » (٦) .

وأدرك خير الدين بصفته ضابطاً سابقاً في الجيش التونسي وبصفته سياسياً تحمّل المسؤولية لفترة طويلة ، ان سر تفوّق الدول الاوروبية كامن في قوّتها الاقتصادية والعسكرية . وان هذه القوّة عائدة الى عوامل مادية أخرى تتمثّل في التعليم والمؤسسات السياسية القائمة على العدل والحرية (٧) .

واستشهد خير الدين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبآراء المفكرين العظام في الاسلام كالغزالي وابن العربي والماوردي وابن خلدون وابن قيم الجوزية ، كما اعتمد آراء العديد من المفكرين الغربيين في دعوته الى ادخال الاصلاحات والتنظيمات في الدول الاسلامية ، مثل تيير (Thiers) ومونتسكو (Montesquieu) وبوليبوس (Polybus). ورأى بادرة خير في التنظيمات العثمانية التي أدخلت في النصف الاول من القرن التاسع عشر وأبدى أسفه العميق على ما أصابها من فشل . وارجع هذا الفشل الى عاملين أساسيين هما : اولاً ، تدخّل الدول الاوروبية في شؤون الدولة العثمانية ، والضغوط التي مارستها على الباب العالي لاستثناء رعاياها من الأنظمة والقوانين العثمانية ، ومعارضتها في تجديد كيان الدولة العثمانية وبعث الحياة والقوّة فيها . وثانياً : سوء فهم بعض المتنفذين والموظفين العثمانيين لطبيعة التنظيمات والنتائج التي تترتب عليها . فهو يقول :

« وحيث تقدّم بيان الأدلة الكافية لوجوب التنظيمات السياسية التي لو لم يكن الا تنفير الأجنبي والمتوظفين منها لكان كافياً في الأدلّة على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة . كان من أهم الواجبات على أمراء

---

(٦) التونسي ، خير الدين ، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص ٥

(٧) المصدر نفسه ، ص ٨

الاسلام ووزرائهم وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين أحوالهم على وجه يزرع حب الوطن في صدورهم ويعرّفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم » (٨) .

وقارن بين النظم الاوروبية الحديثة والنظم الاسلامية ، فلم يجد فرقاً جوهرياً بين الوزراء المسؤولين والبرلمانات وحرية الصحافة ، وبين الوزير الصالح الذي يقدّم مشورته بلا خوف او محاباة والشورى في الاسلام . ووجد شبهاً بين « أهل الحلّ والعقد » في الاسلام من علماء وأعيان ، وبين أعضاء البرلمانات الاوروبية . وانتهى من ذلك الى الاستنتاج بأن لا مانع في اقتباس المؤسسات الاوروبية التي لا تعارض جوهر العقيدة الاسلامية . يقول في هذا الصدد :

« ان الممالك التي لا يكون لادارتها قوانين ضابطة محفوظة برعاية أهل الحل والعقد فخيرها وشرها منحصر في ذات الملك ، وبحسب اقتداره واستقامته يكون مبلغ نجاحها . ويشهد لذلك حالة الممالك الاوروبية في القرون الماضية قبل تأسيس القوآنين . فقد كان لهم في ذلك الوقت في الوزراء من لهم شهرة الى الآن بتمام المعرفة والمروءة . ومع ذلك لم يتيسر لهم حسم مواد الخلل المنبعث من صورتي استبداد الملوك المشار اليهما .

« لا يقال ان مشاركة أهل الحل والعقد للامراء في كليات السياسة تضييق لسعة نظر الإمام وتصرفه العام ، لأنا نقول هذا التوهم يندفع بمطالعة الأحكام السلطانية للماوردي ، فانه قال فيه عند بيان وزارة التفويض ، هي ان يستوزر الإمام من يفوّض اليه تدبير الأمور برأيه وامضاءها على اجتهاده ، وليس بممتنع جواز هذه الوزارة ، قلت فاذا جاز تشريك الإمام لوزير التفويض على الوجه المذكور ، ولم يعد مثل ذلك تنقيصاً من تصرفه العام ، كان تشريكه لجماعة هم أهل الحل

---

(٨) المصدر السابق ، ص ٤٣

والعقد في كليات السياسة أجوز ، لان اجتماع الآراء الى مواقع الصواب أقرب ... » (٩) .

وسار جمال الدين الافغاني على النهج نفسه الذي انتهجه خير الدين ، من حيث الدعوة الى الاصلاح السياسي . وانضم الى الحركة الماسونية في مصر ، اعتقاداً منه ان الحركة الماسونية حركة سياسية ذات أهداف تحريرية . فخاب ظنه ، وعبّر عن خيبته بقوله : « اذا لم تدخل الماسونية في سياسة الكون — وفيها كل بناء حر — واذا آلات البناء التي بيدها لم تستعمل لهدم القديم ولتشييد معالم حرية صحيحة وإخاء ومساواة ، وتدك صروح الظلم والعتو والجور ، فلا حملت يد الأحرار مطرقة حجارة ، ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة .. » (١٠)

وحاول جمال الدين ان يوفّق بين دعوته الى الحرية والحياة الديمقراطية المستمدة من مبادىء الثورة الفرنسية ، وبين نظام الشورى في الاسلام . فلم يجد حرجاً في اعتبار الأمة مصدر السلطات اذ يقول « ان الأمة هي مصدر القوّة والحكم . وارادة الشعب هي القانون المتّبع للشعب والقانون الذي يجب على كل حاكم ان يكون خادماً له وأميناً » (١١) .

ثم يدعو الخديوي توفيق الى اعادة الحياة النيابية لمصر التي فقدتها بعد الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ . « ليسمح لي امير البلاد أن أقول بحرية وإخلاص ، إن الشعب المصري كسائر شعوب العالم لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده . ولكن هذا لا يمنع من وجود العالم والعاقل ايضاً . فالمنظار الذي تنظرون به الى الشعب المصري ينظر به اليكم ! واذا قبلتم نصحي وأسرعتم لاشراك الأمة في حكم البلاد فتأمرون

---

(٩) التونسي ، خير الدين : اقوم المسالك ، ص ٨٤

(١٠) المخزومي ، محمد : خاطرات جمال الدين الافغاني ، ص ٤١
عمارة ، محمد . الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، ص ١٥ ، ٥٢١

(١١) المخزومي ، محمد . خاطرات جمال الدين الافغاني ، ص ٤٦

باجراء انتخابات نواب عن الامة تسن القوانين ... فان ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » (١٢) .

ويحث جمال الدين الشعوب الاسلامية على المطالبة بحقوقها المسلوبة واهمها الحرية والاستقلال مؤكداً ان الحرية تؤخذ ولا توهب : « والتاريخ لم ينقل لنا ان ملكاً أو أميراً أو دخيلاً بقوّته على شعب ، يرضى عن طيب خاطر ان يبقى مالكاً اسماً وأمته هي المالكة فعلاً لادارة شؤونها وزمام أمورها على مطلق المعنى ... واذا صح ان من الأشياء ما ليس يوهب فأهم هذه الأشياء الحرية والاستقلال » (١٣) .

ونجد دعوة مشابهة عند عبد الله النديم (١٤) (١٨٤٥ — ١٨٩٦) الذي أبرز فضائل الحياة النيابية بقوله « ولئن قيل ان التجارب دلّتنا على ان الشورى لا تنجح في الشرق ، او ان الشرقيين غير عقلاء ، كما

---

(١٢) عمارة ، محمد ، الأعمال الكاملة ، ص ٤٧١

(١٣) خوري ، رئيف ، الفكر العربي الحديث ، ص ١٩٦

(١٤) ولد في الاسكندرية من ابوين فقيرين . ودرس في كتاب الحي وانتقل بعده الى مسجد الشيخ ابراهيم باشا . واخذ يرتاد مجالس الادب في الاسكندرية فتعلم منها الشيء الكثير . ووفد الى القاهرة باحثاً عن عمل فيها ، فاستخدم في مكتب التلغراف فيها ، ثم نقل الى مكتب القصر العالي في القاهرة . وتعرف في القاهرة بالشاعر محمود البارودي والاديب عبد الله فكري وغيرهما من رجال الفكر والادب . ثم طرد من القصر فهجر القاهرة ، وتردد على الريف المصري ، بحثاً عن مصدر للعيش . وعاد الى الاسكندرية عام ١٨٧٩ فانغمس في الحياة السياسية الناشطة واستعمل قلمه في المجال الصحفي ، فابدع ولقي نجاحاً فائقاً . وانضم الى جمعية « مصر الفتاة » ، ثم انشأ الجمعية الخيرية الاسلامية فقامت بتأسيس مدرسة عصرية تولى عبد الله ادارتها . وانشأ اثناء ذلك صحيفة « التنكيت والتبكيت » فصدر العدد الاول منها في ٦-٦-١٨٨١ ثم اتخذ جريدة « اللطائف » بدل التنكيت والتبكيت ، واصبحت الناطقة بلسان الثورة العربية . ولما فشلت حركة عرابي ، اختفى عبد الله عن الانظار ، فصدر عليه حكم بالنفي المؤبد ، ثم القي القبض عليه فنفي الى يافا ولم يعد الى مصر الا عام ١٨٩٢ فاستقر في القاهرة ، واصدر مجلة (الاستاذ) في ٢٣-٨-١٨٩٢ . ثم ذهب الى الاستانة ، فبقي فيها حتى وافاه الاجل المحتوم في ١٠ تشرين الاول ١٨٩٦ . امين ، احمد . زعماء الاصلاح الحديث ، ص ٢٠٢-٢٤٨

يزعم محبو الاثرة والانفراد بالتسلّط ، قلنا ان اتحاد الشرقي مع الغربي في الخلق يرد هذه الدعوة الباطلة . وانما ثابر الغربيون على العمل بالشورى وأخذوا يصححون الأغاليط ويراجعون الأخطاء ، ويتبادلون الجدل عن عزائم صادقة ، حتى تربت الملكات وتصوّرت المطالب أمامهم بصور الواقعيات ... » (١٥) .

ويشارك شبلي الشميل (١٦) (١٨٥٥ – ١٩١٧) خير الدين التونسي في اعتبار أنظمة الحكم الاوروبية السبب في رقي اوروبا وتقدّمها ، ويعقد مقارنة بينها وبين أنظمة الحكم في الشرق ، فيقول : « ان حكومات الشرق هي التي ساعدت على فساد الأخلاق الى هذا الحدّ . فقد تقدّم ان الفرق ، من عهد ابقراط الى اليوم ، بين حكومات المغرب وحكومات المشرق ، ان تلك تحكمها شرائعها وهذه تحكمها ملوكها . وان تعدّلت الأحكام في بعض ممالك الشرق اليوم فما تعديلها الا صورة لا معنى . فان ملوك الشرق ما زالوا فوق شرائعهم ، فأماتت حكوماتهم من الأمة عواطف الشهامة والاحترام بما ثقلت على كواهلهم من الاذلال وسائر ما يجر اليه الاستبداد » (١٧) .

شارك العرب الأتراك العثمانيين في دعوتهم الى الاصلاح . ولما صدر الدستور العثماني الاول في ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٨٧٦ ، مع بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، استقبله المثقفون العرب بالغبطة والارتياح . وعبّر عنها سليم البستاني بقوله : « فكيف لا نفرح به ، ونبعد عنا ما يعذبنا خوفاً من ان يتعسّر

---

(١٥) خوري ، رئيف . الفكر العربي الحديث ، ص ١١٧ .

(١٦) تخرج شبلي الشميل من المدرسة الطبية التابعة للكلية السورية في بيروت ، ثم اكمل دراسته في باريس . وانتقل منها الى مصر حيث مارس مهنة الطب ، واخذ يكتب في مجلة « المقتطف » وغيرها من الصحف والمجلات . الف كتاباً بعنوان (شكوى وامل) عام ١٨٩٦ ، موجهاً الى السلطان عبد الحميد الثاني ، لخص فيه نقائص الدولة العثمانية ثلاث : العلم والعدل والحرية .

Hourani, A. *Arabic Thought in The Liberal Age*, pp. 248-250

(١٧) شميل ، شبلي : المجموعة الثانية ، ص ١٩٩

اجراؤه . فمدح مدحت باشا في هذه الظروف واجب . وكذلك مدح جميع الذين أسعفوه ... » .

ولكنه ، كغيره من أقرانه ، لم يتوقّع الشيء الكثير من اعلان الدستور . وعبّر عن تحفّظه هذا بقوله : « وعلى كل حال لا ينبغي ان ننتظر عظيم أمر من نواب السنين الأربع الاولى ، ولا سيما اذا انتخبتهم مجالس الادارة من المعروفين عندها . فالأوفق ان نتهيأ للانتخاب الثاني وان لا نحزن ونتأسف اذا لم نر من الانتخاب الاول جزءاً صغيراً مما ننتظر ، فالبداية صعبـــة والأحوال غير مساعدة » .

وأخذ البستاني على الدستور الاول ما جاء فيه من بنود تنص على منح الوظائف الادارية للذين يتقنون اللغة التركية . يقول في هذا الصدد :

« وعندما فرض على كل رجل ان يتعلّـم اللغة التركية اذا كان ذا ميل سياسي او مركز أبوي يؤهله مع استعداده الطبيعي الى الانتظام في سلك المأموريات . لأن الأوفق للذين ليسوا بأتراك ان يقولوا اننا نعرف ما يكفي من التركية ، ومع ذلك لا نصيب لنا في الأحكام ، من ان يقال لهم ان عدم معرفتكم لها يمنعكم من تقلدها . ويا حبذا اذا رأينا لمعرفة اللغة المحلية المحل الاول عند المأمورين المحليين والتركية الثاني . فان استخدام من يقوم بالمخابرات مع المركز الرئيسي من أهل اللغة التركية مع معرفة المأمور شيئاً منها أقل ضرراً من معرفتها ، وان يكون المعول على الترجمة في كل ما يتعلق بصوالح الرعايا » (١٨) .

وبقيت مشكلة اللغة هذه مصدراً للتبرم عند المفكرين العرب ، إبان العهد الحميدي ، وطالبوا بالغاء هذا الشرط حينما تولى الاتحاديون السلطة عام ١٩٠٩ .

وقال الشاعر فؤاد الخطيب منددا بموقف الاتحاديين من اللغة العربية :

---

(١٨) الجنان ، ج ٣ ، عدد ١-٢-١٨٧٧ ، ص ٨٩-٩٠ .

جاروا على لغة القرآن فانصدعت   له القلوب وضج البيت والحرم
اكلما حاول العرب الرقي علت   في الترك شكوى وقالوا فتنة لم(١٩)

واذا كان دعاة الاصلاح الأتراك قد عانوا ما عانوا من الاضطهاد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) وبذلوا ما في وسعهم للقضاء على عهده ، فقد شاركهم العديد من المفكرين العرب الأحرار في دعوتهم تلك . وهاجر أحد النواب العرب في مجلس المبعوثان وهو خليل غانم الى باريس بعد حل المجلس ، ومات فيها بعد ان ناضل سنين طويلة ضد السلطان عبد الحميد مع أحمد رضا وغيره من رجال تركيا الفتاة (٢٠) . وكان عبد الرحمن الكواكبي (٢١) (١٨٤٦–١٩٠٢) خير من مثل المفكرين العرب في مقاومة الظلم والاستبداد . اذ صب جام غضبه على التسلط والحكم المطلق من خلال كتابه المشهور « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » . والحقيقة ان آراء الكواكبي وشميل وغيرها في مقاومة الاستبداد وفضح دكتاتورية السلطان عبد الحميد ، كانت الى حد ما ، رداً على دعاوى بعض زعماء المتصوفة أمثال الشيخ محمد ظافر (من مكة) وفضل العلوي (من حضرموت) والشيخ أبو الهدى الصيادي (حلبي من أتباع الطريقة الرفاعية) في حق السلطان عبد الحميد في الخلافة الاسلامية ، ووجوب التفاف كافة المسلمين حول عرشه . اذ أكد أبو الهدى الصيادي في كتابه (تنوير الأبصار) (٢٢) ان الخلافة ضرورة شرعية ، وانها انتقلت من ابي بكر عبر العصور

---

(١٩) المقتطف ، مجلد ٣٧ ، ج ٣ ، آب ١٩١٠ ، ص ٨١١

(٢٠) Revue du Monde Musulman, 7e année, déc. 1913, vol.25, pp.236-281.

(٢١) ولد في حلب وتعلم العربية والتركية فيها . خدم في الادارة العثمانية ، وامتهن الصحافة . اضطر الى ترك حلب ، تحت الارهاب الحميدي واللجوء الى القاهرة عام ١٨٩٨ حيث اخذ يكتب في مجلة « المنار» لصاحبها محمد رشيد رضا ، وغيرها من الصحف . وكان من الذين يترددون على حلقة الشيخ محمد عبده . الف كتابين هامين هما . «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» و« أم القرى » . (امين ، احمد، زعماء الاصلاح الحديث ، ص ٢٤٩-٢٧٩) .

(٢٢) Hourani, A. : *Arabic Thought in the Liberal Age*, pp. 271-273.

الاسلامية حتى ورثها العثمانيون . وادعى ابو الهدى ان الخليفة ظل الله على الأرض ومنفذ مشيئته وشريعته ، وعلى المسلمين كافة اطاعته . ولم تتردد مجلة «المشرق» الكاثوليكية في التعبير عن ولائها المطلق للسلطان عبد الحميد في عيد جلوسه الخامس والعشرين اذ جاء فيها :

« ... هذا ولا يليق بنا نحن الكاثوليك بمناسبة هذا العيد المجيد ان نتأخر في تأدية واجبات العبودية والإخلاص للمتبوع الأعظم السلطان الأفخم ، عملاً بأمر الاناء المختار بولس رسول الامم (رومة ١٣ : ١) حيث قال : « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانه لا سلطان الا من الله » (٢٣) .

ولما نجح الانقلاب العسكري ، على يد الاتحاديين من الأتراك ، واعلن الدستور العثماني الثاني عام ١٩٠٨ ، استقبله المفكرون العرب بالارتياح ، بادىء ذي بدء، لانه خلصهم من الإرهاب والتسلط. يقول شاكر الخوري (١٨٤٧ — ١٩١١) في هذا الصدد :

« الحرية السياسية التي نلناها هي خلاصنا من الجاسوسية والمراقبة . فالاولى تخربنا وتجعلنا محتالين غشاشين قاتلين ، وتجعل حياتنا بيد مفسد دنيء يبيعنا حسب شهواته ، والثانية تجعلنا في جهل وتأخر بحيث نرى أنفسنا أدنى من الحيوانات . فالمراقبة هي التي جعلت صاحب مطبعة كتابي ان يقول طبع في مصر ، مع انه طبع في بيروت . والذي عمله الكذب هي (؟) المراقبة . فلا ظلم امرّ من الجاسوسية ولا ضعف أذلّ من المراقبة التي تفتكر ان بمجرد كتاب او حرف في كلمة او كلمة في جملة تخرب المملكة وتتغير أفكار الرعايا ... » (٢٤) .

وقال سليمان البستاني مرحّباً بالدستور ومحذّراً من احتمال عودة الاستبداد : « لا يتوهمن أبناء الوطن العزيز ان الدستور نعمة أتتهم عفواً . فلئن اعلن واستقبل ولم تهرق يوم اعلانه الدماء ، وقال الناس

---

(٢٣) المشرق ، السنة الثالثة ، عدد ٢١٧ ، ١-٩-١٩٠٠ ، ص ٧٧٠

(٢٤) خوري ، رئيف . الفكر العربي الحديث ، ص ٢٠١-٢٠٢

تلك اعجوبة لم يأت الزمان بمثلها ، فانما هو قول صادق ....

« ومع هذا فاننا لم نزل في اول ميدان الجهاد والعقبات الصعاب تكتنفنا من كل جانب ، ونصراء الاستبداد غير مائتين . وانما هي استماتة وقتية يرتقبون الفرص في أثنائها ، ولهم من أبناء التقليد البحت وحزب التقهقر الأعمى عون قوي يلتف حولهم ايان تسنى لهم الأمر ...» (٢٥).

وكان لسان حالهم يقول :

كان عبد الحميد بالأمس فرداً   فغدا اليوم الف عبد الحميد (٢٦)

ورغم ذلك كانت بهجة العرب بالدستور عامة . فهذا أحمد شوقي يقول من مصر :

بشرى البرية قاصيها ودانيها   حاط الخلافة بالدستور حاميها
يا شعب عثمان من ترك ومن عرب   حياك من يبعث الموتى ويحييها
نلت الذي لم ينله بالقنا أحد   فاهتف لأنورها وأحمد نيازيها (٢٧)

ويعتبر الأمير شكيب أرسلان الدستور نعمة من نعم الله :

ألا يا بني عثمان حسبكم بشرى   لقد جاد ربّ العرش بالنعمة الكبرى
أراد تلافي الشرق من عثراته   فألقى عليه من عنايته سترا (٢٨)

أما نقولا رزق الله فقد حيا الجيش العثماني مانح الدستور :

يا أيها الناس حيّوا ذلك العلما   وسبّحوا مانح الحرية الأمما
وقبّلوا البندقيات التي فضلت   أقلامنا بعدما كانت لها خدما
وادعوا لمن بعث الدستور من جدث   بكت عليه عيون العالمين دما (٢٩)

وردّد هذه التحية سعيد شقير من السودان اذ قال :

---

(٢٥) البستاني ، سليمان ، عبرة وذكرى ، ص ١٩١-١٩٢ .
(٢٦) ابراهيم ، حافظ ، ديوان حافظ ابراهيم ، ج ٢ ، ص ٤٤ .
(٢٧) المشرق ، السنة ١٢ ، العدد ٩ ، ايلول ١٩٠٩ ، ص ٦٤٣
(٢٨) المشرق ، السنة ١٢ ، العدد ٢ ، شباط ١٩٠٩ ، ص ٧٢
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٨٥

اليوم تفتخر الأتراك والعرب قد عاد عزهم والمجد والحسب
واليوم يبـــدأ تاريخ لمملكـــة للجيش فضل به بالتبر يكتتب
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم ولا جرائد تأتينا فنرتعب (٣٠)

وأدرك العرب بعد قليل ان انقلاب الاتحاديين لم يحقق لهم ما كانوا يرجون ، فانكفأوا على أنفسهم وأقبلوا على تأليف الجمعيات السرية والعلنية الخاصة بهم ، بغية مقاومة حركة التريك التي تولتها جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة ، والمطالبة بمزيد من الاصلاحات في الولايات العربية من الدولة العثمانية . وغدت المسألة الكبرى التي تواجه المفكرين العرب هي علاقتهم بالأتراك وموقفهم من الدولة العثمانية . وظهرت بينهم تيارات عدة هي :

١ ــ تيار الجامعة الاسلامية

ظهر هذا التيار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كرد فعل للغزو العسكري والثقافي الغربي للعالمين العربي والإسلامي ، ونتيجة لعجز الدول الاسلامية عن ايقاف هذا الغزو او ردّه . وذلك بعد ان تيقن عدد من المفكرين المسلمين ان النضال المحلي في كل قطر اسلامي ضد الغرب لن تكون له جدوى ما دام الغرب متفوّقـــاً من الناحية العسكرية . ورأوا في تجربة الأمير عبد القادر في الجزائر ضد الفرنسيين ونضال الشيخ شامل في القفقاس ضد الروس والحركة السنوسية في برقة ، ما يؤيد وجهة نظرهم فعمدوا الى العمل السياسي المنظم الشامل ، وسعوا الى الوحدة العامة بين الأقطار الاسلامية . وثبت لهم ايضاً انه للوصول الى أهدافهم تلك لا بد من اتخاذ الوسائل اللازمة لنهضة صحيحة تقوم على العلم وعلى التربية السليمة والتجديد في مختلف مناحي الحياة . وكان منطلقهم الأول ان الاسلام صالح لنهضة المسلمين المطلوبة ، وانه

---

(٣٠) المقتطف ، السنة ٣٣ ، ج ١١ ، تشرين الثاني ١٩٠٨ ، ص ٩١٢

لا بد من تقليد الغرب والأخذ عنه في مجالات التقدّم المادي فحسب (٣١).
وكان أشهر دعاة هذا التيار وقادته الشيخ جمال الدين الافغاني ، المصلح الديني الآنف الذكر . فقد بدأ الدعوة الى فكرة الجامعة الاسلامية منذ حجّه الى مكة عام ١٨٥٧م . وأنشأ فيها جمعية « ام القرى » التي ضمت أعضاء من مختلف الأقطار الاسلامية ، وأصدر مجلة تحمل اسمها . وتابع الدعوة للفكرة في الهند ومصر وتركيا وفرنسا ، حيث انشأ مع الشيخ محمد عبده جمعية العروة الوثقى في باريس ، وأصدر مجلة بهذا الاسم (٣٢) .

وقد وجدت هذه الدعوة هوى في نفوس الناس في مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية بسبب الصعوبات التي واجهتها السياسة الخارجية العثمانية ، وعداء الدول الاوروبية وشعوبها لها ، وتدخلها المستمر في شؤون الدولة العثمانية الداخلية بحجة حماية المسيحيين . ولما كانت الشعوب الاسلامية الممتدة على خط متواصل يبدأ بالمغرب وينتهي بالشرق الأقصى واقعة تحت السيطرة الاوروبية بسبب تغلغلها فقد كانت درساً ماثلاً في أذهان الشعوب التي ما زالت مستقلة ويدعوها باستمرار الى الوحدة والتضامن .

ولا يخفى ان تكوين الدولة العثمانية السكاني ، حيث يشكل الأتراك أقلية بالنسبة لمجموع السكان ، ومعاملتها للرعايا المسلمين ، من الناحية النظرية ، على قدم المساواة ، وتركيب جيشها من مختلف العناصر الاسلامية ، كان يؤهلها لاحتضان الجامعة الاسلامية ودعاتها ، ويكسبها عطف الجماهير الشعبية في الأقطار العربية التي وقعت تحت الاحتلال الاوروبي . كتب علي باش حانبه في جريدة « التونسي » عام ١٩١٠ يؤيد فكرة الجامعة الاسلامية :

« ان كل مسلم هو من أنصار فكرة الاتحاد الاسلامي . وان

---

(٣١) ستودارد ، لوثروب . حاضر العالم الاسلامي ، ج ١ ، ص ٢٩٤
(٣٢) الصعيدي ، عبد المتعال : المجددون في الاسلام ، ص ٤٩٠—٤٩٥ .

التونسيين قاطبة أنصار لهذه السياسة ومتعلقون بالرابطة العثمانية التي هي نتيجة تلك الفكرة ومظهرها الباهر . واذا كانت ثقافتنا العصرية قد أكسبتنا عقلية جديدة ، فاننا بصفة كوننا مسلمين قد احتفظنا بولائنا الخالص المتين لاخواننا في جميع الأقطار . فالأتراك والمصريون يوحون الينا بهذا الإحساس كما يوحي به الينا جيراننا الادنون في الجزائر او الشعوب الآسيوية القصوى» (٣٣) . ووجدت هذه الدعوة ارتياحاً في نفوس رجال الحكم في الدولة العثمانية . لذلك حاول السلاطين العثمانيون احتضان جمال الدين الافغاني ودعم تلامذته وأتباعه مثل الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وغيرهما .

اما المبادىء التي تقوم عليها هذه الدعوة فهي :

١ ـ اعتبار الوازع الديني عند المسلمين الأساس في معركتهم ضد الاستعمار الغربي فقد جاء في مجلة « العروة الوثقى » في مقال بعنوان « الجنسية والديانة الاسلامية » :

« وازع المسلمين في الحقيقة ، شريعتهم المقدّسة الالهية التي تميّز بين جنس وجنس واجتماع آراء الأمة . وليس للوازع أدنى امتياز عنهم الا بكونِه أحرصهم على الشريعة والدفاع عنهم ... وكل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهي ممقوتة على لسان الشارع ، المعتمد عليها مذموم والمتعصب لها ملوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلّم (ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية) » (٣٤) .

ويرى الافغاني ان العالم المسيحي على اختلاف أجناسه وقومياته يجابه الشرق والمسلمين خاصة وهو متحد من أجل القضاء على استقلال الدول الاسلامية . وان الروح الصليبية ما زالت قائمة وهي التي تحرك اوروبا في علاقاتها مع العالم الاسلامي . وهي التي دفعتها الى اخضاع

(٣٣) عاشور ، محمد الفاضل ، الحركة الادبية والفكرية في تونس ، ص ١٠٠
(٣٤) عمارة ، محمد ، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، ص ٣٤٩ .

معظم الشعوب الاسلامية وما تزال تدفعها للسيطرة على بقية هذه الشعوب وما تصريحات جلادستون (Gladstone) رئيس وزراء بريطانيا ، وجول فري (Jules Ferry) ، رئيس وزراء فرنسا ومشروعات نيقولا الثالث (Nicolas III) قيصر روسيا ، الا شواهد على ذلك .

٢ ــ الوحدة الاسلامية هي الطريق الوحيد لمقاومة الغزو الغربي . فالدول الغربية تقيم التحالفات فيما بينها لاقتسام أوطان المسلمين وتدمير عقيدتهم ، وهذا يستدعي تحالف دفاعي بين مسلمي العالم من أجل حماية استقلالهم والحفاظ على أنفسهم من الفناء . يقول جمال الدين: « جميع هذا يوضح ان العالم الاسلامي يجب ان يتحد اتحاداً دفاعياً عاماً ، مستمسك الأطراف ، وثيق العرى ، ليستطيع بذلك الذياد عن كيانه ووقاية نفسه من الفناء المقبل . وللوصول الى هذه الغاية الكبرى ، انما يجب عليه اكتناه أسباب تقدّم الغرب والوقوف على تفوّقه وقدرته » (٣٥) .

ويقول ايضاً في مقال عنوانه « الوحدة الاسلامية » : « لا جنسية للمسلمين الا في دينهم ، فتعدّد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة والسلاطين في جنس واحد . وجلب تنازع الامراء على المسلمين تفرق الكلمة وانشقاق العصا ، فلهوا أنفسهم عن تعرض الأجانب بالعدوان عليهم ... واختاروا موالاة الأجنبي عنهم المخالف لهم في الدين والجنس ، ولجأوا للاستنصار به وطلب المعرفة منه على أبناء ملتهم ، واستبقاء لهذا الشبح البالي والنعيم الزائل » (٣٦).

ولم ير الافغاني في الوحدة الاسلامية خضوع المسلمين جميعاً لملك واحد أو أمير واحد وانما أراد للدول الاسلامية ان تأخذ القرآن دستوراً لها ، وان تلتزم بالشورى والعدل . فهو يقول : « لا التمس بقولي هذا ان يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحد ، فان هذا ربما يكون

---

(٣٥) ستورارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي ، ج ١ ، ص ٣٠٧
(٣٦) عمارة ، محمد ، الاعمال الكاملة ، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣ .

عسيراً ولكنني أرجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخرين ما استطاع ، فان حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم ... » (٣٧) .

٣ – بعث الهمة في نفوس المسلمين لدفعهم الى مقاومة الاحتلال الأجنبي والثورة على الاضطهاد وذلك باعادة الثقة الى نفوسهم اولاً ، بعد أن أصابها الضعف والتخاذل يقول الافغاني :

« قد فسدت أخلاق المسلمين الى حد ان لا أمل بأن يصلحوا الا بأن ينشأوا خلقاً جديداً وجيلاً مستأنفاً . فحبذا لو لم يبق منهم الا كل من هو دون الثانية عشرة من العمر ، فعند ذلك يتلقون تربية جديدة تسير بهم في طريق السلامة » (٣٨) .

ويقول مخاطباً أهل الهند يستنهض هممهم : « يا أهــل الهند ، وعزة الحق وسر العدل ، لو كنتــم وانتــم تعدون بمئــات الملايين ذبابــاً لأصــم طنينكم آذان بريطانيــا العظمى وبجعــل في آذن كبير ها غلادستون وقرا . ولو انقلبت ملايينكم سلاحف وخضتم البحر واحطتم بجزر بريطانيا لجررتموها الى القعر وعدتم الى الهند أحراراً » (٣٩).

وقــال يستنهض همم الشرقيين ويدعوهــم الى التحرير : « ألا ايهــا النائمــون تيقظوا ، ألا ايهــا الغافلون تنبهــوا يا أهــل الشرف والناموس، ويا أرباب المروءة والنخوة ، ويا أولي الغيرة الدينية والحمية الاسلامية ارفعوا رؤوسكم تروا بلاء منصباً على أوطانكم وما أنتم ببعيد منه ولا بمعزل عنه ، ان لم يكن أصابكم اليوم فسيصيبكم غداً ... فالثبات الثبات ، وحذار حذار من التواني والتقاعد – هذا وقت يتقرب فيه المؤمنون الى ربهم بأفضل عمل شرعي ، هذا وقت تنال فيه سيادة الدارين للعامل فيه خير الدنيا وله في الآخرة الحسنى وزيادة » (٤٠) .

---

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥

(٣٨) ستودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ، ص ٢٢٩

(٣٩) عمارة ، محمد ، الاعمال الكاملة ، ص ٥١٧

(٤٠) ابوريه ، محمود ، جمال الدين الافغاني ، ص ١٠٤-١٠٥

وقال موجهاً كلامه الى المصريين : « وهل يشك المصريون ، وهم لا يزيدون على العشرة ملايين، وكلهم أحفاد الغزاة الفاتحين من أعز قبائل العرب ، وإخوانهم الأقباط أحفاد اولئك الاشدّاء الذين آثارهم تدل على عظم هممهم انهم اذا نهضوا لم يظفروا بالاستقلال والحرية واعادة المجد القديم لذلك القطر السعيد؟ بلى وانهم سينهضون ، ان شاء الله ، ويعملون متّحدين بحبل الله ، وينالون ما يتمنون بحول الله ، والله على كل شيء قدير » (٤١) .

٤ ـ ادخال الاصلاحات الى الدول الاسلامية في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . واتخاذ وسائل الثورة السياسية لتحقيق غاياته ، لاعتقاده بانها أسرع الطرق للوصول الى ما يبتغيه من تحرير الشعوب الاسلامية من نير المستعمرين . يقول في هذا الصدد موجهاً كلامه الى الشاه الايراني ناصر الدين :

« اعلم يا حضرة الشاه ، ان تاجك وعظمة سلطانك ، وقوائم عرشك سيكونون بالحكم الدستوري أعظم وأنفذ ، وأثبت مما هو الآن . والفلاح والعامل والصانع في المملكة ، يا حضرة الشاه أنفع من عظمتك ومن أمرائك .

«واسمح لاخلاصي ان اؤديه صريحاً قبل فوات وقته . لا شك يا عظمة الشاه انك رأيت وقرأت عن أمة استطاعت ان تعيش بدون ان يكون على رأسها ملك . ولكن هل رأيت ملكاً عاش بدون أمّة ورعية ؟ » (٤٢) .

ويقول ايضاً :

« لدى أهل الشرق دواء سريع التأثير في الشفاء ، ولكنه عظيم الخطر ، مفزع للجبناء منهم ، وقد وصفه حكماء الشعر من العرب بقولهم :

---

(٤١) المخزومي ، محمد ، خاطرات جمـال الدين الافغاني ، ص ٣١٥

(٤٢) عمارة ، محمد ، الاعمال الكاملة ، ص ٤٧٥

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم   بين طعن القنا وخفق البنـود

هذا النوع من الدواء توارثه الغربيون ، وعملوا بكل معانيه ، فتسنى لهم به من العظمة والاستطالة ، والحكم بالشرقيين ما تراه محسوساً مشهوراً وبين ايدينا ومن خلفنا » (٤٣) .

وقد استغل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الدعوة الى الجامعة الاسلامية خير استغلال . وكان قد ارتقى العرش عام ١٨٧٦م في وقت كانت الدولة العثمانية تعاني ضعفاً شديداً وتخلّفاً كبيراً في مختلـف الميادين . وبعد عامين من حكمه هزمت الدولة على يد روسيا فكان ذلك مبرراً لالغاء مجلس النواب وتعليق الدستور العثماني الاول الصادر في بداية حكمه . وأصبح مطلق السلطة مستبداً بالحكم . فوجـد في التشبث بفكرة الجامعة الاسلامية وسيلة لكسب ولاء الجماهير المتدينة والحصول على تأييد الدول الاسلامية له في صراعه مع الدول الغربية . وجمع عبد الحميد حوله الكثير من زعماء العرب ومشايخ الطـرق الصوفية من الحجاز والشام والعراق ونجد واليمن ومصر وطرابلس وتونس والمغرب ، وأجرى عليهم الأرزاق . وأخذ يوفد الرسل الى جميع الأقطار الاسلامية داعية إيّاهم الى الالتفاف حول « خليفـة المسلمين عبد الحميد الثاني » للتخلّص من خطر الدول الغربية (٤٤) .

وفي رسالته الى محمد المهدي السنوسي يقول السلطان عبد الحميد :

« ومثلكم من يعلم حق الخلافة الكبرى وشأن الإمامة العظمى . وحيث ان الخلافة المنصورة العثمانية والإمامة المقدّسة الاسلامية قد اثبت الله منذ مئات السنين في البيت العالي العثماني وجودها وحقّـق عهودها . وقد افترض الله نصر هذه الخلافة المؤيدة العثمانية وطاعتها على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر في الباطن والظاهر لا سيما في مثل هذه الأوقات فان الأغيار من الكفار بل والملاحدة المارقين والمفسدين

---

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥٦

(٤٤) ستودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي ، ج ١ ، ص ٣٠٨-٣٠٩

في جميع الأقطار يتحزبون ويتوالون في السر والعلن خصومة للسنة السنية على هدم منار الخلافة العثمانية الاسلامية (يأبى الله الا ان يتم نوره) . وحتى من المسموع ان جماعة من الانكليز والايتاليان وغيرهم قد تدرجوا الى أطرافكم بطريق السياحة وأنتم تعلمون بالفراسة وقرائن الأحوال ما في أنفسهم وما يخالج سرائرهم من المقاصد المضرة للدين والمسلمين ، فأول ما يؤمل منكم ، وان كان هو المفروض كما هو معلوم لدى حضرتكم ان تنوروا أذهان محبيكم ومن يواليكم من الطلبة والتلامذة قرباً وبعداً في جميع الأنحاء التي تسمع بها كلمتكم وتؤثر بها نصيحتكم بصدق الاخلاص للخلافة المقدسة العثمانية والإمامة الكبرى الاسلامية التي لا سمح الله وقدر — لو بلغ الأعداء والملاحدة فيها اربهم لا نهزم شرف الدين المبين وتفرقت شيعاً جماعات المسلمين ولصارت فرقاً وتمزّقت ارباً إرباً . وهذا والعياذ بالله يكون ذلاً لكل موحّد على وجه الأرض بالطول والعرض بل هو مما يخرب شأن الشريعة ويجعلها بعد العز وضيعة وذلك مما يحزن القلب الأطهر والأقدس النبوي في الضريح الأطهر المصطفوي » (٤٥) .

واستمرت الدعوة الى الجامعة الاسلامية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩ واستلام الاتحاديين السلطة . ولم يتخل عنها حكام الدولة العثمانية الجدد بل اعتمدوا عليها في صراعهم مع الدول الاوروبية الطامعة في اقتسام تركة « الرجل المريض » .

والحقيقة ان الدعوة ضعفت بعد موت جمال الدين الافغاني ، وأخذت اتجاهات مختلفة . فهي بالنسبة للزعيم المصري مصطفى كامل مجرد دعم وتأييد للدولة العثمانية ، بينما يرى مصطفى الغلاييني انها « اتفاق المسلمين من سوقة وأمراء وأقيال وملوك من مشارق الارض ومغاربها على ما يعلي شأنهم ويشد أزرهم ويقوي جامعتهم ويوسّع

---

(٤٥) الدجاني ، احمد صدقي ، الحركة السنوسية ، ص ٢١٢

نطاق العلوم والمعارف بينهم ... » (٤٦) . وأصبحت في أذهان آخرين دعوة الى تحقيق وحدة المسلمين الدينية عن طريق توحيد مناهج التعليم في المدارس في جميع البلدان الاسلامية وجعل اللغة العربية اجبارية في التعليم باعتبارها لغة القرآن ، وعقد المؤتمرات لدراسة مختلف المشاكل التي تواجه البلاد الاسلامية ، ونشر الأفكار الدينية بين عامة الناس (٤٧).

وتولى اسماعيل غاسبرنسكي الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي عام ، بدعم من حكام الدولة العثمانية الجدد . وكان من المقرر ان يعقد في القاهرة وبرئاسة الشيخ سليم البشرى ، شيخ الجامع الأزهر ،عام ١٩١١ (٤٨) ليناقش أمراض العالم الاسلامي ويضع العلاج المناسب لها ، ويبحث في موقف الاسلام من متطلبات العصر . وساعد اندلاع الحرب الطرابلسية (١٩١١ — ١٩١٢) على السير في هذا الاتجاه . فعقد العلماء المسلمون مؤتمراً في الاسكندرية (٤٩) ، وآخر في ازمير (٥٠) . وتكوّنت جمعيات دينية جديدة مثل « جمعية الاخوة الاسلامية » و« جمعية الدعوة والارشاد » (٥١) . وتولّت الدعوة للجامعة الاسلامية عدة صحف هامة في العالم الاسلامي أهمها : السراط المستقيم في الآستانة التي حلّت محلها مجلة سبيل الرشاد بعد عام ١٩٠٨ ، ومجلة العالم الاسلامي في القاهرة ، ومجلة الارشاد والهلال في باكو ، وأخبار وكيل في الهند ، وحبل المتن الفارسية في كلكتا (٥٢) .

---

(٤٦) الغلاييني ، مصطفى : الجامعة الاسلامية ، مقالة في العرفان ، م ٣ ، ج ١٥ ، ص ٦٤٦ — ٦٤٦ .

(٤٧) Revue du MondeMusulman,7e année, juin 1913, vol.27, pp.387-391.
المؤيد ، عدد ٥٤٤١ ، السنة ١٩ ، تاريخ ١٤-٤-١٩٠٨

(٤٨) Cf. 3e année, sept. 1909. no. 9,pp. 194-195
جلد تسهر ، اجنتس . مذاهب التفسير الاسلامي ، ص ٣٦١

(٤٩) المؤيد ، القاهرة ، عدد ٣-١٠-١٩١١ . ويحتوي العدد على قرارات المؤتمر.

(٥٠) المنار ، القاهرة ، مجلد ١٤ ، ص ٨٧٨ .

(٥١) Revue du Musulman, 6e année, fev., mars 1912, vol. 18,p.216

(٥٢) Cf. 7e année, vol. 22, pp. 192-186.

ومهما قيل في الدعوة الى الجامعة الاسلامية وفي اختلاف اتجاهات القائمين عليها والداعين لها فقد أحيت الشعور بالوحدة العامة عند المسلمين ، ونمّت روح التضامن بينهم ولم تتجاوز هذا المدى . وكانت بأفكارها مصدراً لعدد من الحركات الدينية والسياسية التي ظهرت في القرن العشرين وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى .

٢ ـ تيار الرابطة العثمانية

كانت الدولة العثمانية دولة اسلامية بكل معنى الكلمة . وكان العرب المسلمون التابعون لها ينظرون اليها كتتمة للخلافة الاسلامية وحلقة متصلة بالتاريخ الاسلامي ومتممة له . ولذا تمسك معظم المفكرين العرب في القرن التاسع عشر بالرابطة العثمانية . ولم يفكروا بالانفصال النهائي والاستقلال التام عن الدولة العثمانية الا في بداية القرن العشرين ، ونتيجة لحركة التتريك التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي التي استولت على السلطة بعد انقلاب عام ١٩٠٨ .

وظهر تيار الرابطة العثمانية بشكل جلي وواضح في مصر ، بعد الاحتلال البريطاني لها عام ١٨٨٢ . وكان على رأس هذا التيار مصطفى كامل والحزب الوطني ، اذ دعا الى ضرورة التمسك بالرابطة العثمانية والدفاع عن الدولة العثمانية في صراعها مع الدول الاوروبية الطامعة فيها والراغبة في القضاء التام عليها ،فهو يقول في مقدمة كتابه « المسألة الشرقية » الذي صدر عام ١٨٩٨م : « وانني أضرع الى الله فاطر السموات والأرض من فؤاد مخلص وقلب صادق ان يهب الدولة العلية القوة الأبدية والنصر السرمدي ليعيش العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة وان يحفظ للدولة العثمانية حامي حماها وللاسلام إمامه وناصره جلالة السلطان الأعظم والخليفة الأكبر الغازي عبد الحميد الحميد الثاني » (٥٣) .

---

(٥٣) كامل ، مصطفى ، المسألة الشرقية ، ص ٢

واعتبر بقاء الدولة العثمانية واستمرارها ضرورة للمجتمع الدولي والنوع البشري. فهو يقول « ولكن الحقيقة هي ان بقاء الدولة العليـة ضروري للنوع البشري وان في بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب وأمم الشرق ، وان الله جلّ شأنه ، أراد حفظ بني الانسان من تدمير بعضهم البعض ومن حروب دينية طويلة بحفظ سياج الدولة العلية وبقاء السلطنة العثمانية » (٥٤) .

وذهب محمد فريد ، خليفة مصطفى كامل في زعامة الحزب الوطني الى حد المغالاة في تمجيد آل عثمان . وجاء في مقدمة كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » ما يلي :

« على ان الملك العثماني قد لم من شعث الولايات الاسلامية وقطع من تقاطعها ما رد على السيطرة الاسلامية كل السيطرة الشرقية على أثر ذلك قامت قيامة التعصب الديني في الممالك الاوروبية ، واتفقت على اختلافها وتوحدت على تعددها ، وانسابت على الملك العثماني ، وأخذت تحاربه مثنى وثلاث ورباع لتقويض عرشه ورده الى مهده الأول »(٥٥).

وظهر العطف على الدولة العثمانية والتمسك بالرابطة الدينية لدى الكتّاب والشعراء . فقد قال أحمد شوقي في مدح السلطان عبد الحميد الثاني :

رضي المسلمون والاسـلام فرع عثمان ، دم فداك الدوام
ايه عبد الحميد جـل زمان أنت فيـه خليفـة وأمـام
عمر انت بيـد انك ظل للبرايـا وعصمـة وسـلام

وقال الشاعر أحمد محرم :

يا آل عثمان من ترك ومن عرب واي شعب يساوي الترك والعربا
صونو الهلال وزيدوا مجده علما لا مجد من بعده ان ضاع أو ذهبا(٥٦)

(٥٤) المصدر نفسه ، ص ١٥
(٥٥) فريد ، محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤
(٥٦) حسين ، محمد ، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، ص ٤٨

وقال حافظ ابراهيم يهنىء السلطان عبد الحميد الثاني بعيد جلوسه عام ١٩٠٨ :

أثنى الحجيج عليك والحرمان وأجل عيد جلوسك الثقلان
أرضيت ربك اذ جعلت طريقه امنا وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالدستور حولك امة شتى المذاهب جمة الاضغان
فجعلت أمر الناس شورى بينهم وأقمت شرع الواحد الديان (٥٧)

وذهب الشيخ محمد عبده الى اعتبار الولاء للدولة العثمانية والمحافظة على كيانها جزءاً من العقيدة الاسلامية وركناً من أركانها .

يقول في مقالة كتبها في بيروت عام ١٨٨٦ : « ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله . فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان في سواها . وأنا والحمد لله على هذه العقيدة عايها نحيا وعليها نموت » (٥٨) .

أما أحمد عرابي باشا فيعتبر الخروج على الدولة العثمانية تدميراً للاسلام وخروجاً عن طاعة الله ورسوله . يقول في مذكرة أرسلها الى جرجي زيدان رداً على بعض اسئلته . « لم يخطر ببالي اصلاً الاقتداء بالفاتحين والمتغلبين كما ذكرتم ولا تأليف دولة عربية كما أرجف المرجفون . لاني أرى ذلك ضياعاً للاسلام عن بكرة ابيه ، وخروجاً عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله » (٥٩) .

وهذا أحمد فارس الشدياق يقول في مدح السلطان عبد العزيز :

للدولة العليا عُلى ومآثر يشدو بها يوم الفخار الآثر
ساست ممالك ليس يعلم حدها ولغاتها الا العليم القادر
سر حيث شئت من البلاد فلا ترى الا النعيم وما اشتهاه الناظر (٦٠)

---

(٥٧) ابراهيم ، حافظ ، ديوان حافظ ابراهيم ، ج ١ ، ص ٤٤
(٥٨) حسين ، محمد . الاتجاهات الوطنية ، ص ٤٨
(٥٩) الحصري ، ساطع ، ما هي القومية ص ٢١١
(٦٠) المقدسي ، انيس الخوري . الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص ٢٠

وسار سليم تقلا مؤسس جريدة الأهرام في هذا التيار وكتب سنة ١٨٩٩ « ان في ممالكها المحروسة عناصر عديدة بين تركية وعربية وأرمنية ويونانية وغيرها ، وكذلك مذاهب مختلفة . ولكنها تجمعها كلها جامعة واحدة وطنية هي الجامعة العثمانية ، وهي دون استثناء تخضع لجلاله سلطانها وتصدع بأمره وتنصاع لأحكامه . وهذه الجامعة كانت وتكون الحصن الحصين للرعية دون أطماع الدول ، وما وراء العبث بها الا الخسران والضياع . وأنى تبين هذا وهو الحق الصراح ، كان ابن مصر وابن الحجاز والعراق والشام اخوة لأم هي دولتهم ، وأب هو جلالة السلطان » (٦١) .

وفي عام ١٨٥٤ كتب محمد بن اسماعيل الجزائري شعراً يشكر فيه الله على نصرة السلطان العثماني (في حرب القرم) ويفخر بهذا الحدث الذي تحقق « بالجهاد والتضامن بين المسلمين » . وحدث رد الفعل نفسه في الجزائر بعد انتصار العثمانيين على اليونان عام ١٨٩٧م . وتوقع الثوار الجزائريون عام ١٨٧١ العون من السلطان العثماني » (٦٢).

٣ ـ تيار الوطنية الاقليمية

الوطنية بمعنى حب الوطن والولاء له ، مفهوم حديث عند العرب ، جاءهم مع الغزو الثقافي الغربي في القرن التاسع عشر . وكان أول من دعا الى الوطنية بهذا المفهوم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) . فقد أبرز أمجاد مصر القديمة في كتابه « مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية » الذي صدر عام ١٨٦٩م . فهو يقول : « فقد أجمع المؤرخون على ان مصر دون غيرها من الممالك عظم تمدنها ، وبلغ أهلها درجة عليا في الفنون والمنافع العمومية . فكيف لا وان آثار التمدن وإماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة وأربعين

---

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٢١

(٦٢) سعد الله ، ابو القاسم . الحركة الوطنية الجزائرية ، ص ٩١

قرناً ، يشاهدها الوارد والمتردد ، ويعجب من حسنها الوافد والمتفرج، مع تنوعها كل التنوع ، فجميع المباني التي تدل على عظم ملوكها وسلاطينها هي من أقوى دلائل العظمة الملوكية وبراهينها » (٦٣) .

ولا شك ان طموح محمد علي باشا وخلفاءه الى الاستقلال بحكم مصر كان دافعاً آخر الى ظهور هذا الاتجاه السياسي بين المفكرين المصريين . فها هو الطهطاوي يشيد بتقدّم مصر وبالاسرة العلوية قائلاً :
« من المعلوم ان مصر في هذا العهد من أحسن البلاد المشرقية حكومة ، وأفضلها ادارة ، اذ فيها من كمال حسن الادارة والضبط والربط ما يفيد الأمن على الأرواح والأموال والأعراض ، كما في أعظم الممالك المشرقية والمغربية ... » (٦٤) .

والوطنية في رأي الطهطاوي تعني التخلّص من التعصب الديني والتسامح بين أبناء الشعب المصري من مسلمين وأقباط . فهو يقول :

« فمحض تعصب الانسان لدينه لاضرار ، غير أنه لا يعد الا مجرد حمية . وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب » (٦٥) .

« ان الاخوة في الانسانية تلزم عبادة الله ... ثم ان اخوة العبودية التي هي التساوي في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد . وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الاخوة الاسلامية ، وهي اكتساب ما يصير به المسلمون اخواناً على الاطلاق .

« فجميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن يجب على أعضاء الوطن في جميع حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوّة الوطنية فضلاً عن الأخوّة الدينية . فيجب أدباً لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على

---

(٦٣) الطهطاوي ، رفاعة ، مناهج الالباب المصرية ، ص ١٧٧
(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢
(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٤٠٦

تحسين الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن وإعظامه وغناه وثروته ، لان الغنى انما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية ، وهي تكون بين أهل الوطن على السوية لانتفاعهم جميعاً بمزية النخوة الوطنية » (٦٦) .

والحقيقة ان هذه الأفكار الحديثة في الوطنية قد استمدها الطهطاوي من المفكرين الغربيين والفرنسيين منهم بشكل خاص ، من خلال المؤلفات التي اطلع عليها أثناء اقامته في باريس (١٨٢٦ — ١٨٣١) او فيما بعد ، بعد أن أصبح يجيد اللغة الفرنسية .

وظهر هذا الاتجاه الجديد في الاشعار التي نظمها المصريون في هذه الفترة ، مثل مجموعة القصائد التي نشرت عام ١٨٥٥م بعنوان « منظومات وطنية مصرية » في مدح الفرقة العسكرية المصرية التي اشتركت في حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا (٦٧) . والقصائد التي قيلت فيما بعد بمناسبة اعتلاء اسماعيل عرش الخديوية . ولم تخرج الوطنية في مفهوم الطهطاوي عن كونها الرابطة التي تحافظ على النظام الأول. ولكنها كانت وطنية مصرية بحتة ، تخلو من الولاء العربي او الاسلامي (٦٨) .

وتطورت فكرة الطهطاوي هذه حتى أصبحت دعوة شعبية شعارها: « مصر للمصريين » . وقد نادى بها الصحفيان أديب اسحق وسليم النقاش ورهج لها الصحفي اليهودي ابو نظاره ، كرد على تسلط العناصر التركية واستئثارها بالسلطة والثروة . كتب أديب اسحق في جريدة « مصر الفتاة » الصادرة في الاسكندرية عام ١٨٧٩ « ويا أيتها الأمة المصرية ، أنهضي من عثرة الغفلة ، وانظري الى الذين نالوا السعادة

---

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٤٠٦

(٦٦) المصدر السابق ، ص ٩٩

(٦٦) Lewis, B. : *The Middle East and The West*, p. 76

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٧٧

فانك أهل لأعظم المواهب ..» (٦٩) .

وفي عام ١٨٧٩ انشأت مجموعة من المصريين «الحزب الوطني»(٧٠) فكان أول حزب سياسي مصري . وقد نشرت جريدة التايمز Times اللندنية برنامجه السياسي في عددها الصادر في الأول من كانون الثاني عام ١٨٨٢م . وجاء فيه :

«الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني ، ومؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذاهب وأغلبيته مسلمون لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين . وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه ، لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم ان الجميع إخوان وإن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية » (٧١) .

وأخذت الفكرة الوطنية المصرية ، بعد الاحتلال البريطاني لمصر منحى جديداً ، وارتفع صوت صحيفة «المؤيد» لصاحبها علي اليوسف بشعار الوطن والوطنية . فقد جاء في افتتاحية العدد الأول منها الصادر في ١-١٢-١٨٨٩ ما يلي : «خدمة الأوطان من أوجب الواجبات وألزم الفرائض ، من أضاعها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدي والشقاء الدائم . قصدنا من نشر المؤيد هو تأدية ذلك الفرض عن طهارة طوية واخلاص نية » (٧٢) .

واصبحت مقاومة الاحتلال البريطاني وأعوانه من عناصر الدعوة الوطنية . وتولت مجلة «الاستاذ» لصاحبها عبد الله النديم ، التي صدر العدد الأول منها في ٢٣-٨-١٨٩٢ ، مهمة مقارعة الاستعمار وأعوانه

---

(٦٩) اسحق ، اديب : منتخبات ، ص ٨٨

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .
يعزو محمد عمارة في كتابه «الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني» تأسيس «الحزب الوطني» في مصر الى جمال الدين الافغاني وعدد من رجالات الثورة العرابية، الاعمال الكاملة ، ص ٥٠) .

(٧١) حسين ، محمد . الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، ص ١٣٦

(٧٢) منتخبات المؤيد ، ص ٢ .

في مصر من بعض المهاجرين السوريين (٧٣) . يقول عبد الله النديم : «أنا أخوك فلم أنكرتني ؟ ما الشام ومصر الا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء احداهما .. فلم تنافر ابناؤهما ؟ وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين .. أبراتب قدره عشرون جنيهاً يبيع المرء أخاه ووطنه بل وجنسه ودينه ؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الأجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجني على غير جان ..». (٧٤)

وأخذت الفكرة الوطنية في مصر ، في أواخر القرن التاسع عشر ، اتجاهين متعاديين : الأول لم ير اختلافاً او تناقضاً بين الرابطة الوطنية والرابطة الدينية ، والثاني رأى في الرابطة الدينية تفرقه بين أبناء الجنس الواحد والوطن الواحد .

ويمثل الاتجاه الاول مصطفى كامل ، مؤسس «الحزب الوطني» المصري . فهو يقول «ان الوطنية هي أشرف الروابط للافراد ، والأساس المتين الذي تبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة . وكل ما ترونه في اوروبا من آثار العمران والمدنية ، ما هو الا ثمار الوطنية »(٧٥).

ثم يقول : «قد يظن بعض الناس ان الدين ينافي الوطنية ، او ان الدعوة الى الدين ليست من الوطنية في شيء . ولكني أرى ان الدين والوطنية توأمان متلازمان وان الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حباً صادقاً ، ويفديه بروحه وما تملك يداه . وقال ايضاً كيف يستطيع رجل وطني ان يدعو للشقاق والبغضاء ، وهذه الدعوة مناقضة للوطنية الصحيحة . فالأقباط اخوة لنا في الوطن تجمعنا بهم أشرف الروابط » (٧٦) .

---

(٧٣) حسين ، محمد : الاتجاهات الوطنية ، ص ١٤٧ .
(٧٤) النديم ، عبد الله ، سلافة النديم ، ج ٢ ، ص ٨١ ، الاستاذ ، ج ٢٢ ، السنة الاولى ، ١٧-١-١٨٩٣ ص ٥٣٠-٥٣١ .
(٧٥) الرافعي ، عبد الرحمن : مصطفى كامل ص ١١٤ .
(٧٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٦-١٤٧ .

ويتحدث مصطفى كامل عن الوطنية حديثاً رومانسياً مستمداً من الأفكار الغربية . فهو يقول : « بلادي ، بلادي ، لك حبي وفؤادي ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني. فانت أنت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصر.... انني لولم أولد مصرياً لوددت أن أكون مصرياً ... قد يرى السفهاء والطائشون ان الانتساب لشعب مستعبد كالشعب المصري مما لا يليق بانسان . ولكن أي شرف يطمع الحر فيه أكبر من العمل لاحياء الأمة التي سبقت الأمم كافة في العلم والمدنية والأدب ؟ » (٧٧) ويقول : « انما الوطنية شعور ينمو في النفس ، ويزداد لهيبه في القلب ، ويرسخ في الفؤاد كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه واشتدت كربته ... أجل ايها السادة لا حياة لأمة من الأمم بغير الوطنية الحقة ، ولا معنى للعيش بدونها ، ولا تتجدد الآمال وتقوم الأعمال الا بها ... » (٧٨) .

ولا يرى مصطفى كامل حرجاً من التمسك بالرابطة العثمانية في دعوته الوطنية . فهو يقول : « ان مظاهرة الأمة المصرية نحو الدولة العلية هي مظاهرة قوية ضد الاحتلال الانجليزي . واشتراك أفراد الأمة على اختلافهم في الاكتتاب للجيش العثماني هو اقتراع عام ضد الانجليز في مصر » (٧٩) . ومن هذا المنطق هاجم مصطفى كامل دعاة القومية العربية ، الذين طالبوا بالانفصال عن الدولة العثمانية .

ولم ير ضرراً في الاستعانة بالدولة العثمانية وبفرنسا وغيرهما من الدول الكبرى للتخلص من الاحتلال البريطاني لمصر ، فقد جاب اوروبا يدعو لذلك . وقدم مذكرة الى رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية جاء فيها :

« جاءت الأمة المصرية تستغيث بهذه الأمة الكريمة — فرنسا — التي حررت عدة من الأمم ، فهل تجاب الى استغاثتها وتضرعها ؟

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .

(٧٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

(٧٩) حسين ، محمد : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، ص ٤٨ .

وهل لفرنسا ان تؤيد بهذا العمل الجليل مكانتها في العالم الاسلامي الواثق بها ؟ على ان ذكر اسم مصر عندما تكون حرّة مستقلة بجانب الأمـــم العديدة التي حررتها فرنسا ليس بالفخار القليل لها ..... فلتحي فرنسا محررة الأمم » (٨٠) .

اما الاتجاه الثاني الذي كان يقول ان الرابطة الدينية تناقض الرابطة الوطنية ، فيرى في الوطنية ، المصلحة المشتركة التي تجمع بين المواطنين. ويدعو قادة هذا الاتجاه الى الالتفاف حول الخديوي واعتبـــار مصر للمصريين وحدهم لا للاتراك ولا للأوروبيين . يقول عبد الله النديم: « ليعد المسلم منكم الى أخيه المسلم تأليفاً للعصبة الدينية ، وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييداً للجامعة الوطنية ، وليكن المجموع رجلاً واحداً يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين » (٨١).

وكانت صحيفتا « المقطم » و« الجريدة » ممثلتان لهذا الاتجاه . وناصب قادة هذا الاتجاه ، مصطفى كامل وجماعته العداء . يقول لطفي السيد ، الناطق بلسان هذه المجموعة ، في افتتاحية العدد الأول من « الجريدة »: « لا يكون أهل الوطن الواحد أمة الا اذا ضاقت الفروق بين أفرادها واتسعت دائرة المشابهات بينهم . وان أظهر المشابهات في حال الأمة السياسي هو التشابه في الرأي بين الأفراد ، وهذا ما يسمونه بالـــرأي العام » (٨٢) .

وظهر ، في مصر اتجاه طائفي ، مستقل عن الاتجاه الوطني على يد بعض المثقفين من الأقباط . وانشأ هؤلاء صحيفة « الوطن » عام ١٨٧٧م لصاحبها ميخائيل عبد المسيح ، وكانت تصدر كل ثلاثة أيام مرة ، ثم أصبحت يومية اعتباراً من عام ١٩٠٠ وتولى الاشراف عليها آنذاك جندي ابراهيم . وصحيفة « مصر » عام ١٨٩٥ م لصاحبها تادرس

---

(٨٠) هيكل ، محمد حسنين . تراجم مصرية وغربية ص ١٤٩-١٥٠ .
الرافعي ، عبد الرحمن : مصطفى كامل ص ٥١-٥٢ .
(٨١) النديم ، عبد الله : سلافة النديم ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
(٨٢) الجريدة ، العدد الاول ، في ص ١ (ميكروفيلم)

شنوده . وأخذت هاتان الصحيفتان تعالجان مشكلة الأقباط (أو الأقلية القبطية في مصر) وكأنهم أمة مستقلة لها كيان خاص . وحاولتا البحث عن قاعدة تاريخية لفكرتهم الطائفية هذه ، على اعتبار ان الأقباط سلالة الفراعنة ، وانهم أهل البلاد الأصليين (٨٣) .

وفي عام ١٩٠٨ تأسست في القاهرة « جمعية الاصلاح القبطية » من أجل « توثيق صلات المحبة بين العناصر المختلفة التي تتألف منها الأمة المصرية » ، والدفاع عن حقوق الأقباط ، وتنمية المشاعر الدينية لديهم ، ونشر التعليم بينهم . وكانت جريدة « مصر » ناطقة باسم الجمعية . وطالبت الجريدة بأن يكون للاقباط حقوق المسلمين في وظائف الدولة . وقابل وفد من الأقباط بزعامة آخنوخ فانوس الخديوي في مطلع عام ١٩٠٨ ، وطلب منه ازالة الفوارق بين عنصري السكان الأقباط والمسلمين .

ولم يقتصر هذا الاتجاه الاقليمي او الوطني على مصر بل عرفته الجزائر ، بعد ان وقعت تحت الاحتلال الفرنسي . وكان رائد هذا الاتجاه حمدان خوجه ، زعيم اول حركة مقاومة شعبية جزائرية ضد فرنسا بعد الاستسلام . فالوطنية في رأي خوجه « عاطفة شهامة تحركت عندما أصبحت (الجزائر) تشعر بالاستبداد من طرف أمة أجنبية » . وقد رفض خوجه فكرة الدمج الفرنسية وأثبت ان الكيان الجزائري يختلف عن الكيان الفرنسي في الدين واللغة والعادات والتقاليد . وخرج من ذلك كله الى ان الجزائر بلاد لها حق الوجود حرة مستقلة ، بوسائل ديمقراطية مستمدة من الاسلام والليبرالية الغربية (٨٤) . ويذهب الدكتور ابو القاسم سعد الله الى القول ان « حمدان خوجه اول جزائري

---

(٨٣) الهلال ، السنة ٢٢ ، ج ٩ ، حزيران ١٩٤ ، ص ٧١١
حسين ، محمد : الاتجاهات الوطنية . ص ١١٠ .
Revue du Monde Musulman, 2e année, août 1908, p. 7-5
(٨٤) سعد الله ، ابو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، ص ٨٣

عربي مسلم آمن بالمفهوم الحديث للوطنية » (٨٥) .

اما في البلاد العربية الأخرى ، فلم يظهر هذا الاتجاه الاقليمي ، الا بعد الحرب العالمية الاولى .

٤ ـ تيار القومية العربية

بدأت اليقظة القومية عند العرب مع بداية النهضة الفكرية العامة وكانت وليدة هذه النهضة . وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم الى التحسس بالشعور القومي ، والى المجاهرة بالحركة القومية . ففي بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستانتي الى البلاد العربية . وترجم الانجيل الى اللغة العربية ، وأخذت طوائف الروم الارثوذكس في بلاد الشام تطالب بتعريب كنيستها . وكانت الكنائس الكاثوليكية ، بما فيها الموارنة ، قد استقلت عن روما وصار لها بطاركة ومطارنة من العرب ، وغدت لها مدارسها العربية . وتخرّج من المعاهد التي أنشأتها الارساليات التبشيرية والطوائف المختلفة ، رواد الحركة القومية العربية .

ومنذ عام ١٨٧٠ تساءل سليم البستاني : « هل يصطلح العرب ؟ هل يرد الزمان اليهم الاتحاد ؟ هل يقيم لهم الدهر عزاً ؟ هل يكلل تاج النجاح جباههم ؟ هل يطلع في شرقهم بدر العلم ؟ هل تنير شمس التمدن سهولهم ؟ .. ». وأجاب عن ذلك كله بقوله « ان من تصفح صفحات التاريخ ، وأمعن النظر في تقلبات الزمان ، وتمكن من معرفة أحوال الشعوب والدول ، وبحث في أسباب ارتفاعها وهبوطها ... وقاس ما يأتي على ما فات يجيب قائلاً : انه لا بد من ان يرجع بنا الزمان الى الأفق الذي حجبته عنا غيوم السياسة ، ودفعتنا عنه صواعق القوة والانشقاق » (٨٦) .

---

(٨٥) المصدر نفسه ، ص ٩٠

(٨٦) الجنان ، السنة الاولى ، ج ٥ ، آذار ١٨٧٠ ، ص ١٣٩.

وعلى يد العرب المسيحيين تشكلت اولى الجمعيات السرية العربية التي نددت بالحكم التركي ، وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية . الا ان هذه الحركة اقتصرت على آسيا العربية دون غيرها من البلاد العربية .

فقد تأسست « جمعية بيروت السرية » عام ١٨٧٥ م على يد بعض الطلاب في الكلية الاميركية السورية البروتستانتية (الجامعة الامريكية). وأخذت توزع منشوراتها المكتوبة بخط اليد في الشوارع ، وتلصقها على الأبنية في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا . وكانت تطالب بما يلي :

١ ــ منح سوريا الاستقلال .
٢ ــ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .
٣ ــ الغاء الرقابة والقيود الأخرى المفروضة على حرية التعبير ونشر المعرفة .
٤ ــ جعل الخدمة العسكرية محلية .

وكان نمر فارس الذي هاجر الى مصر عام ١٨٨٣ ، وانشأ هناك جريدة « المقطم » اليومية ومجلة « المقطف » الشهرية ، أحد أعضاء هذه الجمعية . كما كان يعقوب صروف والشاعر ابراهيم اليازجي أحد أعضائها ايضاً (٨٧) . ونظم الأخير قصائد قومية ثورية أشاد فيها بأمجاد العرب وحضارتهم ودعاهم الى نبذ التخاصم الديني والى الاتحادفي سبيل مقاومة الأتراك . وأشهر قصائده القومية قصيدته التي مطلعها :

دع مجلس العيد الأوانس وهوى لواحظها النواعس
اي النعيم لمن يبيت على بساط الذل جالس
ولمن تراه بائساً أبداً لذيل الترك بائس

(٨٧) الشهابي ، الامير . القومية العربية ، ص ٤٥ .
Majzoub, M. *Le Liban et L'Orient Arabe*, p. 156
Khairallah, K.T., *Le Problème du Levant*, p.30.

فالترك قـوم لا يفـوز لديهـم الا المشـاكـس
أو لستم العـرب الكـرام ومن هـم الشم المعاطـس

وقصيدته الثانية التي منها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طغى السيل حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكـم وانتم بين راحات القنا سلـب
كم تظلمون ولستم تشكون وكم تستغضبون فلا يبدو لكم غضب
أقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أيدي الترك مغتصب
لا يستقيم لهم عهد اذا عقـدوا ولا يصح لهم وعد اذا ضربوا
فما لكم ويحكم أصبحتم هملا ووجه عزكم بالهون منتقـب
لا دولة لكم يشتد أزركم بها ولا ناصر للخصب ينشرب(٨٨)

وقال سعيد شقير يصف عهد السلطان عبد الحميد الثاني :

عشنا بعصر عجيب ان يعاش به لو لم نعش فيه قلنا انه كـذب
فكم ظلمنا لأن الظلم لذ لهم وكم أهنا ولا ذنب ولا سبب
حال اذا لم تكن في ذاتها عجبا فانما صبرنا فيها هو العجب (٨٩)

وانشئت عام ١٨٨١ جمعية سرية اخرى هي « جمعية حقوق الملة العربية » من المثقفين العرب في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا . وكانت تنادي بالوحدة الاسلامية المسيحية ضمن الاطار القومي العربي ، وتوزع المنشورات المخطوطة باليد ، التي تحث العرب على الاتحـاد واليقظة والتمرد على الاستبداد الحميدي . فقد جاء في أحد منشوراتها « اين أنتم وأين هم ، من منكم اليوم أمير ، ومن منكم اليوم وزير ، ومن فيكم اليوم مدير ، بل كل واحد منكم فقير ، وكبير كم مثل

(٨٨) الشهابي ، مصطفى القومية العربية ، ص ٤٦-٤٧ ، دروزة ، محمد عزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص ٩٢
(٨٩) زخورا الياس . السوريون في مصر ، ص ٩٢

صغيركم حقير ، والمال والآمال في أيدي الترك ؟ اتحدوا واستعدوا لنوال حريتكم من المعتدين » (٩٠) .

وجاء في منشور آخر : « يا أهل الوطن قد علمتم بفجور الأتراك وظلمهم ، وان فئة منهم قد تحكمت في رقابكم واستعبدتكم ، وانهم قد داسوا شريعتكم ، وامتهنوا حرمة كتبكم ، حتى انهم سنوا نظامات تقضي بملاشاة لغتكم الشريفة ، وسدوا أبواب النجاح واتخذوكم أرقاء ، كأن لا شيء من شعائر الانسانية عندكم . وقديما كنتم أصحاب الحل والعقد ، ومنكم ظهر اولوا العلم والفضل ، وبكم اهلت البلاد ، وامتدت الفتوحات . وعلى قواعد لغتكم بنيت اصول الخلافة التي اختلسها منكم الأتراك . انظروا الى رجالكم كيف تقاد الى الحرب عند الشدة ، وكيف يعرّضون الى القتل . وانظروا الى اوقاتكم كيف وبأية طريقة تصرف(٩١).

وهكذا تشكلت الجمعيات السرية العربية في عهد التسلط الحميدي لمقاومة الاستبداد . كما انضم كثيرون من العرب الى الجمعيات السرية العثمانية المماثلة . وفي عهد ولاية مدحت باشا المصلح العثماني المشهور ، على سوريا ، ظهرت حلقة الشيخ طاهر الجزائري ، الذي عين مفتشاً للمعارف في الولاية . وكان يجتمع حوله عدد من شباب دمشق مثـــل الشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ سليم البخاري (٩٢) . والتحق بها ايضاً رفيق العظم ومحمد كرد علي وفارس الخوري وعبد الحميد الزهراوي وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وعبد الرحمن الشهبندر وسليم الجزائري (٩٣) .

وفي الفترة نفسها ظهرت دعوة جديدة تقول باقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية ، على يـــد عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤ — ١٩٠٢) في كتابه « ام القرى » الذي صدر في مصر سنة ١٣١٦هـ .

---

(٩٠) دروزة ، محمد عزة . نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص ٩٤-٩٥
(٩١) المصدر نفسه ، ص ٩٧
(٩٢) الشهابي ، مصطفى . القومية العربية ، ص ٤٨
(٩٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠-٥١ .

فقد تناول مسألة الخلافة ، والقى بذور الشك في صحة اعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء للمسلمين . وأوضح ان الكتب الفقهية الأساسية تذكر بين شروط الخلافة « النسب القرشي » . ورد على الرواية القائلة بأن الخلافة الاسلامية قد انتقلت الى العثمانيين بناء على تنازل آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة للسلطان سليم الأول . وأبان ان هذه الرواية لا تستند الى دليل تاريخي معتمد ، وانه لو تم مثل هذا التنازل فقد حدث في ظروف استثنائية رافقها الاكراه لان التنازل قد حدث بعد احتلال سليم الأول لمصر عام ١٥١٧م (٩٤) . ودعا الى حق العرب في الخلافة اذ قال: « العرب أنسب الأقوام لان يكونوا مرجعاً في الديـــن ، وقوة للمسلمين فان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء ، فلا يأنفون من أتباعهم أخيراً ... ولا يجوز الاتكال على العثمانيين في أمر الخلافة ، علاوة على السلطنة . أبعد النظر ماضياً ومستقبلاً ، وقلب صفحات التاريخ بدقة ، تجد ان ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا في الاسلام تماماً الا في عهد الخلفاء الراشدين فقط ، رضي الله عنهم ، واتحدتا نوعاً ما في عهد الامويين والعباسيين ثم افترقت الخلافة عن الملك (٩٥). ودعـــا الى ثورة العرب على الأتراك بقولـــه : « يا قـــوم جعلكم الله من المهتدين . . . كـــان أجدادكـــم لا ينحنون الا ركوعـــاً لله ، وأنتـــم تسجدون لتقبيـــل أرجل المنعمين ولو بلقمـــة مغموسة بدم الاخوان ، واجدادكم ينامون الآن في قبورهم مستوين اعزاء ، وأنتم أحياء معوجة رقابكم اذلاء .. » (٩٦) .

كانت دعوة الكواكبي وحلقة الشيخ طاهر الجزائري قد مهدتا الطريق لتشكيل الجمعيات والمنظمات السرية لمقاومة الاستبداد التركي في مطلع القرن العشرين . ففي عام ١٩٠٣ تأسست حلقة سياسية سرية

---

(٩٤) الكواكبي ، عبد الرحمن : ام القرى ، ص ٢٠٦-٢١٢

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٦-١٩٧

(٩٦) الكيالي ، سامي . الادب العربي المعاصر في سوريه ، ص ١٢٦

في دمشق من طلاب السنة النهائية في المدرسة الحكومية الثانوية فيها . وكان معظمهم من الذين يترددون على حلقة الشيخ طاهر الجزائري . وجعلت الحلقة الجديدة هدفها بعث التراث العربي وايقاظ العرب من سباتهم وجعل لغتهم اللغة الرسمية في بلادهم . وانتقل بعض أعضاء هذه الحلقة الى بيروت واتصلوا بطلاب الكلية الامريكية وكلية الشيخ عباس الأزهري ، ومنهم عارف النكدي وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني والأمير عادل ارسلان . وفي عام ١٩٠٥ انتقل بعض أعضائها الى الآستانة ، واتصلوا هناك بالطلبة العرب .

وبعد ذلك بعام أسس محب الدين الخطيب وعارف الشهابي مع عبد الكريم الخليل وشكري الجندي « جمعية النهضة العربية » في الآستانة على ان يكون مركزها الثابت في دمشق (٩٧) .

وانشأ نجيب عازوري « عصبة الوطن العربي » League de la Patrie Arabe في باريس بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم التركي . ونشرت العصبة حوالى خمسين نداء موجهاً الى العرب تدعوهم الى الثورة على الأتراك . ونشر نجيب عازوري عام ١٩٠٥ كتابــاً بالفرنسيــة هــو ((Le Réveil de la Nation Arabe) « يقظــة الأمة العربية » دعا فيه الى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية على ان تكون الحجاز مقراً لخلافة عربية وان تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية . كما طالب بتوحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيسة الكاثوليكية العربية (٩٨) . وبعد عامين أصدر مع مجموعة

---

(٩٧) الشهابي ، الامير مصطفى : القومية العربية ، ص ٥٣-٥٤

(٩٨) الحصري ، ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٢٦ .

Azoury, Nagib: *Le Réveil de la Nation Arabe*, p, 178

يقول عازوري في صدد الدعوة الى انشاء كنيسة كاثوليكية عربية :

« ليس اسهل ولا اكثر توافقاً مع ميول الامة من انشاء كنيسة وطنية عربية تتلى فيهــا الصلوات باللغة العربية لتحل محل اللغات اليونانية واللاتينية والسريانية والكلدانية . فالعربية لغة القرآن والاسلام . فما المانع من جعلهــا لغة الطائفة الكاثوليكية ؟ وبتأسيس بطريركية خاصة للكنيسة الجديدة ستنضم اليها الكنائس—

من الكتّاب الفرنسيين مجلة شهرية هي (L'Independance Arabe)
« استقلال العرب » صدر العدد الاول منها في نيسان ١٩٠٧ . وكان
الغرض منها التعريف بالبلاد العربية وإثارة اهتمام الناس بقضية تحريرها .
الا ان عازوري لم يفلح في اثارة اهتمام العرب بهذا الموضوع فكان
أثره ضعيفاً . وحالت الرقابة العثمانية دون وصول نداءاته ومنشوراته
الى البلاد العربية (٩٩) .

الجمعيات القومية العربية في العهد الدستوري بين ١٩٠٨ و ١٩١٤

بالاضافة الى الجمعيات السابقة الذكر تشكلت الجمعيات التالية
في الفترة الواقعة بين اعلان الدستور العثماني (الثاني) في ١٠ تموز ١٩٠٨
وقيام الحرب العالمية الاولى :

جمعية الاخاء العربي ــ العثماني

استقبل العرب ، كغيرهم من شعوب الامبراطورية العثمانيـــة

ـــ الاخرى في بضع سنوات ، وخاصة الكنيسة الارثوذكسية التي ستنظم بصورة
عفوية لا نهـــا ستدفع الى ذلك بحركة عامة للامة . وسيتعاطف المسلمون
مع المسيحيين لانهم يقتربون منهم من اجـــل الخلاص والخير العام للوطن المشترك ،
الوطن العربي » .

ويقول في تحديد اهداف عصبة الوطن العربي : « فهي ترغب ، قبل كل
شيء في فصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحية ، من اجل صالح الاسلام ومصلحة
الامة العربية ، وفي اقامة امبراطورية عربية تمتد من دجلة والفرات الى قناة
السويس ومن البحر المتوسط الى بحر عمان . اما شكل الحكم فهو سلطنة دستورية قائمة
على حرية المعتقد والمساواة بين جميع المواطنين امام القانون. وعصبة الوطن العربي
تقدم ايضاً الخلامة الاسلامية الى شريف (من مكة) يطالب بهـــا وينقطع لها . ويتبع
هذه الخلافة الدينية دولة سياسية مستقلة استقلالا تاماً تشمل ولاية الحجار الحالية
مع المدينة المنورة وتمتد حتى العقبة شمالا . ويتمتع الخليفة بصلاحيات الحاكم وسلطة
معنوية حقيقية على كافة المسلمين في العالم .

Azoury, N., *Le Reveil...*, p. 245.
(٩٩) Antonius, G., *The Arab Awakening*, p. 98

الدستور العثماني الجديد بفرح وحماسة عظيمين . واندفعوا وراء « جمعية الاتحاد والترقي » التي كانت تضم عدداً من كبار الضباط العرب وشارك العرب في الانتخابات النيابية التي أعقبت اعلان الدستور . وانشأ بعض النواب والأعيان العرب ، جمعية الإخاء العربي – العثماني في الآستانة في ٦ شعبان سنة ١٣٢٦ الموافق ٢–٩–١٩٠٨ . وافتتحوا نادياً يحمل هذا الاسم ، فكانت اول جمعية علنية عربية تأسست بعد اعلان الدستور. اما اعضاء الهيئة الادارية للجمعية فهم : أحمد ظافر والياس رسام والشريف جعفر ، وزكي مغامز ، وشاكر الاتاسي ،وشبيب الاسعد ، وشفيق المؤيد العظم ،وشكري الايوبي ،وشكري الحسيني وصادق المؤيد العظم ،وعارف المارديني ،وعبد الله الحيدري ،وعمر أشرف ،ومحمد عبود ، ومحمد المخزومي ، والأمير محي الدين الجزائري ، ومسعود الكواكبي ومنشي أفندي ، وندره المطران ، والدكتور يوسف رامي ، ويوسف شتوان.

أما أهداف الجمعية فهي :

١ – المحافظة على القانون الأساسي ووقايته من كل خلل .
٢ – تفهيم أبناء العرب وسائر العثمانيين ان الوطن العثماني لا يقبل التجزئة ومقاومة التفرقة .
٣ – تمتين الروابط بين العرب وسائر الأقوام العثمانية .
٤ – التمسك بالعرش العثماني والإخلاص لمقام الخلافة الاسلامية .
٥ – السعي لاعلاء شأن العرب والعربية ضمن الجامعة العامة العثمانية وانالة أبناء العرب على اختلاف مذاهبهم ما منحتهم المساواة الدستورية من حق احراز الوظائف والمناصب وغير ذلك من الحقوق المشروعة .
٦ – السعي لنشر المعرفة بين أبناء العرب وذلك بتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف .
٧ – حث أبناء العرب على التعاون مع سائر العثمانيين لتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية .

٨ – مساعدة أبناء العرب وإغاثة فقرائهم ومرضاهم وأيتامهم وأراملهم (١٠٠) .

وقد رافق تأسس هذه الجمعية في شهر ايلول ١٩٠٨ الاحتفال بوصول الخط الحديدي الحجازي الى المدينة المنورة وتعيين الشريف حسين بن علي اميراً على مكة (١٠١) .

وقد أيّد معظم المنتسبين الى جمعية الإخاء العربي العثماني حركة عصيان ٣١ آذار ١٩٠٩ التي قام بها أنصار السلطان عبد الحميد لالغاء الدستور . فما كان من الاتحاديين بعد أن قمعوا العصيان الا ان أغلقوا الجمعية وجميع فروعها في البلاد العربية (١٠٢) .

ورأى الاتحاديون في العرب خطراً على سيادة العنصر التركي وسلكوا بعد انقلاب عام ١٩٠٩ طريق الشدة والعنف في معاملتهم . فاصيب العرب كغيرهم من شعوب الامبراطورية بخيبة أمل كبرى . وضاعت الآمال التي كانوا يعقدونها على اعلان الدستور . وقال الشاعر سليمان التاجي الفاروقي مخاطباً السلطان العثماني :

العرب لا شقيت في عهدك العرب   سيوف ملكك والأقلام والكتب
كنا نعلل بالدستور أنفسنا   بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقب
حتى اذا جاء لم يحدث لنا حدث   ولا استجيب لنا في مطلب طلب

وقال عبد الحميد الرافعي منددأ باستبداد جمعية الاتحاد والترقي :

لا تصلح الدنيا ولا ناسها   ما لم يل الأقوام أجناسها
هبوا بني العرب الى م الكرى   وقد دها الآمال دهاسها
طلبتم الاصلاح من عصبة   توتر بالافساد أقواسها

---

(١٠٠) العمران ، م ٢ ، ج ٥ ، السنة ١٢ ، عدد ٣٨٢ ، ٣-١٠-١٩٠ ، ص ٩٠-٩٣ ، (نص بلاغ الجمعية)

(١٠١) Antonius, G. *The Arab Awakening*, p. 1y3.

(١٠٢) قدري ، احمد ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٠

تزعم حب الدين لكن كما يــروج السلعــة دلاسهـــا
لو تألف القرآن ما حاربت لسانه حتى التوى فاسها (١٠٣)

وانحصرت مظالم العرب آنذاك فيما يلي :

١ ــ اقصاء عدد كبير من الموظفين العرب من المناصب الهامة التي كانوا يحتلونها في وزارتي الخارجية والداخلية .
٢ ــ عدم دعوة العرب الى اي اجتماع للتأليف بين العناصر العثمانية .
٣ ــ الحيلولة دون وصول اي عربي من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الى اللجنة المركزية للجمعية .
٤ ــ عدم مشاركة الأعضاء العرب في الجمعية المذكورة في تقريـــر الأمور السياسية العليا والهامة .
٥ ــ تحويل جمعية الاتحاد والترقي من جمعية عثمانية الى جمعية تركية بحتة .
٦ ــ انتزاع وزارة الأوقاف من العرب واسنادها الى وزير تركي بحيث لم يبق أحد من أبناء العرب في الوزارة .
٧ ــ استبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من أبناء العرب بولاة ومتصرفين وقضاة من الترك .
٨ ــ معارضة الاتحاديين لكل مشروع علمي أو أدبي في البلاد العربية .
٩ ــ مناهضة اللغة العربية (١٠٤) .

---

(١٠٣) الشهابي ، الامير مصطفى : القومية العرمية ص ١٠٣ .
(١٠٤) ثورة العرب ، ص ٥٢،٥٣

اجمل شكري غانم ، احد الادباء المقيمين في باريس ، مظالم العرب في رسالة وجهها الى صحيفة Tempsالفرنسية ونشرتهـــا في عدد ٥-٤-١٩١٠ . وجاء فيها «منذ ثورة ١٩٠٨ شكا العرب من سوء معاملة الاتراك لهم. اذ وجدوا ان عدد ممثليهم في الوزارات المتتاليـــة قليل . ففي مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان والادارة يشعرون بالغبن . ذلك ان الدولة العثمانية تضم اثني عشر مليوناً من العرب، اي نصف الشعب العثماني ، بينما يمثلهم اربعة اعيان من مجموع اربعين=

الجمعية القحطانية

ازاء هذا الموقف المتعنت من الاتحاديين لجأ العرب الى انشاء الجمعيات السرية . فكانت أول جمعية سرية انشأها بعض المثقفين والضباط سنة ١٩٠٩ هي « الجمعية القحطانية » . ومن مؤسسيها المدنيين عبد الكريم الخليل وعارف الشهابي ، ومن الضباط سليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ (١٠٥) .

وكان هدف الجمعية تحويل الامبراطورية العثمانية الى مملكة ثنائية من العرب والأتراك . وان تؤلف الولايات العربية مملكة لها برلمانها وحكومتها ولغتها العربية . وان تؤلف مع المملكة التركية امبراطورية عربية تركية ، على مثال الامبراطورية النمسوية ــ الهنغارية (١٠٦). وبقيت هذه الجمعية سرية حتى قيام الحرب العالمية الاولى ، اذ انضم اعضاؤها الى جمعيتي العهد والعربية الفتاة (١٠٧) .

المنتدى الأدبي

ورأى المتنورون العرب ، بعد حل جمعية الإخاء العربي العثماني ضرورة النشاط العلني . وانشأوا في خريف عام ١٩٠٩ « المنتدى الأدبي »

ـــ عيناً عثمانياً ، و ٦٥ نائباً وواليان عربيان من مجموع اربع وعشرين والياً . ولا ولا يوجد في السلك القنصلي العثماني سوى عربي واحد . بينما يخلو السلك الدبلوماسي العثماني من العرب ... »

Khairallah, K.T.: *Le Problème du Levant*, pp. 43-44.

(١٠٥) الشهابي ، الامير مصطفى : القومية العربية ، ص ٦٩-٧٠

Kairallah, K.: *Le Problème du levant*, p. 34

(١٠٦) Antonius, G.: *The Arab Awakening*, p. 110

يقول جورج انطونيوس ان عزيز علي المصري كان رئيس هذه الجمعية . ويقول امين سعيد في كتابه « الثورة العربية الكبرى » المجلد الاول ، ص ١٠ ان هناك اختلاف حول المؤسس الاول للجمعية بين عبد الكريم الخليل وخليل حماده وسليم الجزائري .

(١٠٧) الشهابي ، الامير مصطفى : القومية العربية ، ص ٧٠

في الآستانة ومن مؤسسيه : عبد الكريم الخليل وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ويوسف حيدر وعزة الاعظمي . وتولى عبد الكريم الخليل رئاسة المنتدى . واستمر في نشاطه حتى اغلقت الحكومة العثمانية أبوابه عام ١٩١٥ . وكان يصدر مجلة عربية تحمل اسمه ، يحررها عزة الأعظمي . وكانت للمنتدى مكتبة ضخمة ومنزل ملحق به يأوي اليه الزوار العرب . وكان ملتقى للموظفين والنواب والأدباء والطلبة في العاصمة العثمانية . وانشئت له فروع في سوريا والعراق ، فساعد على توعية الناشئة وبث الروح القومية بينهم . وكان على اتصال وثيق برجال الحركة القومية العربية (١٠٨) .

جمعية الجامعة العربية

ازاء تسلط جمعية الاتحاد والترقي على شؤون الدولة العثمانية واضطهادها للعرب وغيرهم من الأجناس الأخرى ، رأى محمد رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » التي كانت تصدر في مصر استحالة دوام الاتحاد بين العرب والأتراك .

فانشأ عام ١٩١٠ « جمعية الجامعة العربية » بقصد السعي الى اقامة حلف بين امراء جزيرة العرب ونبذ الشقاق بينهم ، والتعاون على عمران البلاد العربية والدفاع عنها وايجاد صلة بين الجمعيات العربية في سوريا والعراق وغيرهما .

وبعث رشيد رضا برسائل الى إمام اليمن يحي حميد الدين وأمير نجد عبد العزيز آل سعود وأمير عسير محمد علي الادريسي أوضح فيها أغراض الجمعية فأعربوا له عن موافقتهم وتأييدهم لها . كما ان رشيد رضا التقى بالأمير عبد الله بن الحسين في القاهرة وأدخله عضواً في الجمعية . وكان من أعضاء الجمعية العاملين الشيخ علي يوسف صاحب

---

(١٠٨) سعيد ، امين : الثورة العربية الكبرى ، مجلد اول ، ص ٨

جريدة « المؤيد » ورفيق العظم (١٠٩) .

الكتلة النيابية العربية

تمكن بعض النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني من تكوين كتلة نيابية عربية في آذار ١٩١١ ، هدفها الدفاع عن حقوق العرب . وكان أبرز أعضائها : شكري العسلي وعبد الحميد الزاهراوي وشفيق المؤيد ورشدي الشمعه وسليم سلام وروحي الخالدي وسعيد الحسيني . وكثيراً ما نشبت المشادات الكلامية بين النواب العرب وزملائهم الأتراك بسبب المطالبة بحقوق العرب مثل المشادة التي حصلت بين شفيق المؤيد وطلعت بك والتي أسفرت عن اشتباك بالأيدي بين الاثنين (١١٠) .

وانضم بعض النواب العرب الى زملائهم من الألبان والأرمن وبعض الأتراك وانشأوا جمعية او « حزب الحرية والائتلاف » الذي كان يهدف الى منح الولايات العثمانية استقلالاً ادارياً وادارة الدولة العثمانية على قاعدة اللامركزية . ولما نشبت ثورة البانيا تمكنت هذه الجمعية من الوصول الى السلطة ، وحل مجلس المبعوثان ، وتشكيل وزارة ائتلافية برئاسة مختار باشا عام ١٩١٢ . وخلفه كامل باشا ، فأدّى ذلك الى ارتياح العرب وسرورهم (١١١) .

جمعية العربية الفتاة

رأى بعض الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في العاصمة العثمانية ضرورة انشاء منظمة سرية عربية الى جانب الجمعية القحطانية . وفي عام ١٩٠٩ — ١٩١٠ م انتقل عوني عبد الهادي ومحمد رستم حيدر

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ٥٠
(١١٠) دروزه ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ص ٢٥
(١١١) ثورة العرب ، ص ٥٥

والدكتور أحمد قدري من الآستانة الى الشام ومنها الى باريس من أجل التخصص . وتبعهم رفيق التميمي وعبد الغني العريسي وجميل مردم وتوفيق السويدي . وكان فيها آنذاك توفيق الناطور ومحمد المحمصاني . واستطاع هؤلاء ان يؤسسوا في باريس الجمعية العربية الفتاة عام ١٩١١ .

كانت الجمعية متشددة في تنظيمها السري . وكانت هيئتها الادارية مؤلفة من ستة أشخاص وتختار من قبل الهيئة العاملة التي تتألف بدورها من جميع الأعضاء الذين أمضوا مدة التجربة وهي ستة شهور . أما الأعضاء المنضمون حديثاً الى الجمعية فلهم هيئة ثالثة خاصة بهم .

برنامج الجمعية في اول تكوينها هو العمل للنهوض بالأمة العربية الى مصاف الأمم الحية ، واغتنام الفرص لتحقيق هذه الامنية ، وعدم الانفصال عن الدولة العثمانية . وقد تغير هذا البرنامج بعد اعلان الحرب العالمية الاولى وأصبحت الجمعية تسعى الى تحرير البلاد العربية من النير التركي واستقلالها التام . وفي عام ١٩١٢ انتقل مركز الجمعية الى بيروت ثم الى دمشق . وانضم اليها قبل الحرب ، نسيب البكري والأمير عارف الشهابي ومحمد الشريقي وعمر حمد وتوفيق البساط ورفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وصالح حيدر وابراهيم حيدر والشيخ كامل القصاب .

وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى اتصلت ادارة الفتاة في دمشق بالأمير فيصل بن الحسين فانتسب اليها وتبنى فكرتها . وأخبر فيصل والده بهذه الجمعية ونشاطها ، وكان صلة الوصل بينهما (١١٢) . وتعرضت الجمعية الى ملاحقة السلطات التركية الا ان شدة تكتمها حالت دون البطش بها . وكان عدد من أعضائها ضمن القافلة الأولى من الشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا عام ١٩١٥ (١١٣) .

---

(١١٢) دروزة ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ص ٣٢
(١١٣) الشهابي ، مصطفى : القومية العربية ، ص ٧٨

مني المصلحون العثمانيون بفشل ذريع بعد ان انقلب عليهم السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٨ . فعطل الدستور الذي اعلن عام ١٨٧٦ ، وعلق الحياة النيابية لمدة ثلاثين سنة . وحكم الدولة حكماً فردياً مستبداً . وتعرض رجال الاصلاح للقتل والنفي والملاحقة . فترك العديد منهم البلاد الى اوروبا ، ليتسأنفوا من هناك النضال ضد الحكم الفردي المطلق الذي انتهجه عبد الحميد الثاني . وفي المنفى انقسم رجال الأصلاح الى فريقين : احدهما بزعامة الأمير صباح الدين ويدعو الى الاصلاح على قاعدة اللامركزية في الادارة والحكم ، والفريق الثاني بزعامة أحمد رضا ، وينادي بالاصلاح على أساس المركزية في الحكم . وانشأ الفريق الاول «جمعية عدم مركزية» التي أخذت تدعو الى اللامركزية في مختلف الصحف الاوروبية ، وتؤسس الفروع التابعة لها في الولايات العثمانية بصورة سرية . كما انشأ الفريق الثاني «جمعية الاتحاد والترقي» التي دبرت بالتعاون مع جمعية «تركيا الفتاة» المؤلفة من الضباط المتنورين في الجيش العثماني انقلاب عام ١٩٠٨ . ومن الفروع التي تأسست للجمعية الاولى في البلاد العربية فرع دمشق وفرع اللاذقية وفرع بيروت . ومن المثقفين العرب الذين انضموا الى هذه الفروع رفيق العظم ومحمود العلايلي ومحمد رشيد رضا (١١٤) .

ولما كانت مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ملجأ لأحرار العرب الذين تعرّضوا للاضطهاد الحميدي ، فقد لجأ اليها كثير من المفكرين والسياسيين العرب ، هرباً من الملاحقة . وقد أسس هؤلاء عام ١٩١٢ حزباً علنياً في مصر هو «حزب اللامركزية العثماني» برئاسة رفيق العظم ، أحد رجال الحلقة الكبرى للشيخ طاهر الجزائري في دمشق . ومن مؤسسي الحزب محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار

---

(١١٤) دروزة ، محمد عزة . نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص ١٠٢-١٠٣
Khairallah, K.T.: *Le Problème du levant*, p. 41

واسكندر عمون وداود بركات رئيس تحرير الأهرام ، وحقي العظم وسامي الحريديني ومحب الدين الخطيب – الذي كان معتمد جمعية العربية الفتاة في القاهرة والدكتور شبلي شميل . وكان اسكندر عمون نائباً للرئيس وحقي العظم سكرتيراً عاماً . وتأسست للحزب فروع في بلاد الشام والعراق وانضم اليه عدد من النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني . ولم يتوقف الحزب عن العمل الا بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى (١١٥) .

ونصت المادة الثانية من دستور الحزب على أهدافه وهي : « القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات أجناس ولغات وأديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في جميع ولايات الدولة العثمانية » (١١٦) .

جمعية العهد

اذا كانت الجمعية القحطانية اول جمعية سرية عربية ضمت مدنيين وعسكريين ، فقد تشكلت جمعية العهد في ٢٨ تشرين الاول عام ١٩١٣ بصورة سرية على يد الضابط العربي عزيز علي المصري . وضمت من الضباط العرب في الجيش العثماني محمد اسماعيل الطباخ ومصطفى وصفي وسليم الجزائري ونوري السعيد ويحيى كاظم أبو الشرف وعارف الثوام ومحي الدين الجبان وعلي النشاشيبي وياسين الهاشمي وطه الهاشمي وجميل المدفعي وتحسين علي واسماعيل الصفار وعلي رضا وعبد الله الدليمي والدكتور عبد القادر سرى .

ويتلخص برنامج الجمعية فيما يلي :

---

(١١٥) سعيد ، مين : الثورة العربية الكبرى . المجلد الاول ، ص ١٤

(١١٦) ثورة العرب . ص ٥٧-٦٢ (النص الكامل لدستور الحزب)

١ ــ السعي الى الاستقلال الداخلي لبلاد العرب على ان تكون متحدة مع الدولة العثمانية اتحاد هنغاريا مع النمسا .
٢ ــ بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان .
٣ ــ الدفاع عن الآستانة والمحافظة على سلامتها أمام أطماع الدول الأجنبية .
٤ ــ على العرب ان يكونوا القوى الاحتياطية التي تدعم الأتراك في حمايتهم للشرق أمام الغزو الغربي .
٥ ــ انماء الفضائل في نفوس الأعضاء ، وبث الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة ايماناً من الجمعية بأن الامة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالأخلاق الصالحة القومية (١١٧) .

وفي عام ١٩١٤ علمت الحكومة العثمانية بالجمعية فاعتقلت رئيسها عزيز علي المصري ، وحكمت عليه بالإعدام . الا ان تدخل بريطانيا ومساعي الزعماء العرب أدّت الى تخفيض العقوبة الى النفي . ولجأ الاتحاديون بعد ذلك الى بعثرة الضباط العرب ، وسحب قيادة الجند منهم في الولايات العربية . وفي عام ١٩١٦ نفّذ حكم الإعدام باثنين من الضباط المنتمين الى هذه الجمعية هما : سليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ . وانفرط عقد الجمعية بعد انهيار مملكة فيصل في سوريا عام ١٩٢٠ (١١٨) .

جمعية العلم الأخضر

نشأت هذه الجمعية بصورة علنية في الآستانة في أيلول سنة ١٩١٢ لتقوية الروابط بين الطلبة العرب في المدارس العليا العثمانية وبث الروح الوطنية فيهم . ومؤسسو هذه الجمعية هم : الدكتور اسماعيل الصفار والدكتور فائق شاكر والدكتور داود الديواني وعلي رضا الغزالي وعبد

---

(١١٧) سعيد ، امين : الثورة العربية الكبرى ، م ١ ، ص ٤٦
(١١٨) الشهابي ، الامير مصطفى : القومية العربية ، ص ٨٠

الغفور البدري وأحمد عزة الأعظمي وعاصم بسيسو ومسلم العطّار ومصطفى الحسيني وشكري غوش . وأصدرت هذه الجمعية « لسان العرب » . ثم ما لبثت أن أصبحت لسان حال « المنتدى العربي » واتخذت اسمه وعاشت الجمعية حتى الحرب العالمية الاولى (١١٩) .

الجمعية الاصلاحية البيروتية

حينما تولى السلطة حزب « الحرية والائتلاف » العثماني إثر اندلاع ثورة البانيا عام ١٩١٢ رأت الحكومة الجديدة التي كان يرئسها كامل باشا ان تدعو الولايات العثمانية الى جمع مجالسها العمومية لكي تضع لوائح في الاصلاحات الضرورية لها ، ايماناً من الحزب الحاكم بالنظام اللامركزي . وقد دعا والي بيروت آنذاك الوجهاء والمفكرين الى وضع البرنامج لاصلاح الولاية فتألفت « الجمعية العمومية الاصلاحية » في الشهر الأول من عام ١٩١٣ ، وضمت سليم علي سلام وأحمد مختار بيهم وخليل زينه والدكتور أيوب ثابت والشيخ أحمد طباره والبير سرسق وغيرهم . وبلغ عدد أعضائها ٨٦ عضواً . وقدمت الى الوالي برنامجاً وافياً للاصلاح يتلخص فيما يلي (١٢٠) :

١ — الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في دوائر الولاية الحكومية .
٢ — ان يكون رؤساء الدوائر الحكومية في الولاية ملمين باللغة العربية .
٣ — ان يكون بقية موظفي الدوائر الحكومية من أبناء الولاية .
٤ — تأليف مجلس تمثيلي في الولاية له سلطات محلية واسعة منها إقرار ميزانية الولاية .
٥ — ان يقضي أبناء الولاية الخدمة العسكرية فيها أيام السلم .
٦ — تعيين مستشارين أجانب في دوائر الولاية الحكومية من قبل أبناء العاصمة العثمانية .

---

(١١٩) سعيد ، امين : الثورة العربية الكبرى . المجلد الاول ، ص ١١
(١٢٠) ثورة العرب ، ص ٦٢-٦٦ ، النص الكامل للائحة الاصلاحية .

ولم يطل عمر هذه الجمعية الاصلاحية ، اذ حلت اثر الانقلاب العسكري الذي قام به ضباط جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩١٣ . وقامت مظاهرات في بيروت وفي غيرها من المدن العربية احتجاجاً على الحل (١٢١) .

جمعية البصرة الاصلاحية

نشأت هذه الجمعية على غرار جمعية بيروت الاصلاحية وكان يرعاها طالب باشا النقيب نائب البصرة في مجلس المبعوثان ، وأحد زعماء جمعية الحرية والائتلاف وكانت للجمعية جريدة تنطق باسمها وتصدر في بغداد هي جريدة « النهضة » . وكان لطالب النقيب نفوذ كبير في جنوب العراق ولدى الأوساط الرسمية العثمانية . وفي ظل حمايته نشأ « النادي الوطني العلمي » في بغداد سنة ١٩١٣ كفرع لحزب اللامركزية العثماني . وكان يرأسه مزاحم الباجة جي . وكان مزاحم يحرر جريدة « النهضة » السابقة الذكر (١٢٢) .

يلاحظ مما سبق ان تيار القومية العربية الذي ظهرت نواته الاولى في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، قد اتخذ اتجاهات أربعة هي :

١ ـ اتجاه يدعو الى الحكم اللامركزي في الدولة العثمانية بحيث تحصل الولايات العربية على شيء من الاستقلال الذاتي الذي من شأنه ان ينمي الشخصية العربية ، ويحافظ على اللغة العربية ويضمن ادخال الاصلاحات الحديثة في الادارة والتعليم والمواصلات والحياة الاقتصادية والاجتماعية . وقد تبنى هذا الاتجاه حزب اللامركزية العثماني وجمعيتا بيروت والبصرة الاصلاحيتان .

٢ ـ اتجاه ينادي بانشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي وترتبط

---

(١٢١) الشهابي ، مصطفى : القومية العربية ، ص ٨٤

(١٢٢) سعيد ، امين : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الاول ، ص ٢٤-٢٥ .
الشهابي ، مصطفى : القومية العربية ، ص ٨٥

بالمملكة العثمانية ارتباط المجر بالنمسا في الامبراطورية النمساوية ــ المنغارية في تلك الفترة من الزمن ويمثل هذا الاتجاه جمعيتا القحطانية والعهد السريتان .

٣ ــ اتجاه يرفض الخلافة العثمانية ويعتبرها غير شرعية ويدعو الى خلافة عربية قرشية ويمثّل هذا الاتجاه عبد الرحمن الكواكبي ونجيب عازوري .

٤ ــ اتجاه يدعو الى الثورة على الأتراك والانفصال التام عن الدولة العثمانية وانشاء دولة عربية مستقلة في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية ، ويمثّل هذا الاتجاه جمعية العربية الفتاة .

المؤتمر العربي الأول

نشأت فكرة انعقاد مؤتمر عربي تدعى اليه المنظمات العربية العلنية منها والسرية لدى بعض السياسيين والمفكرين والطلبة العرب المقيمين في فرنسا . وقام الشباب المنضمون الى جمعية العربية الفتاة بالاعداد للمؤتمر المذكور . واتصل هؤلاء بشخصيات عربية في باريس مثل شكري غانم وندره المطران . ودعوا الجالية العربية هناك الى اجتماع عام ، وافقت فيه على فكرة المؤتمر . وانتخبت لجنة تحضيرية من ثمانية أشخاص هم شكري غانم وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وندره المطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وجميل مردم وجميل المعلوف (١٢٣) .

وفي ٤ نيسان عام ١٩١٣ ، وجّهت اللجنة التحضيرية الدعوة الى اللجنة العليا لحزب اللامركزية العثماني في مصر . وجاء في رسالة الدعوة: « لقد جمعتم في برنامجكم الأماني التي يرتادها أبناء العرب لسعادتهم وترقيتهم في كل حين ، لذلك أوقفنا أنفسنا لخدمة غايتكم النبيلة ، واعتبرناكم مصدراً لما نتوقع ان نقوم به في هذه الديار ازاء مناظرات

---

(١٢٣) اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر : المؤتمر العربي الأول ، ص ٥ .

الجرائد ، ومنابر الخطباء في الأندية السياسية على الاجتماع والبحث في التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطوارىء ، واصلاح امور بلادنا على أساس اللامركزية . وبعد المناقشات ارتأت ان تعقد مؤتمراً للعرب تظهر فيه للاجانب ان العرب يدرأون عادية الاحتلال من أية دولة كانت ، ويحتفظون بحياتهم الوطنية، وتصارح الدولة العثمانية بوجوب تطبيق الاصلاحات اللامركزيـــة في بلاد العرب » (١٢٤) .

وقد حددت الدعوة أبحاث المؤتمر بما يلي :

١ ـ الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .
٢ ـ حقوق العرب في المملكة العثمانية .
٣ ـ ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .
٤ ـ المهاجرة من سورية واليها .

ولبي حزب اللامركزية الدعوة لحضور المؤتمر وقرر ارسال مندوبين عنه للمشاركة في أعماله . كما لبت الجمعيات والأحزاب الأخرى تلك الدعوة .

وانعقد المؤتمر بين ١٨ و٢٣ حزيران ١٩١٣ في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان بباريس (١٢٥) . واشترك فيه مندوبان عن حزب اللامركزية وستة مندوبين عن الجمعية الاصلاحية العمومية في بيروت ومندوبان عن العراق وثلاثة عن المهاجرين العرب الى الولايات المتحدة الأمريكية ومندوب واحد عن المهاجرين العرب الى المكسيك وثمانية مندوبين عن الجالية العربية في باريس ومندوب واحد عن الجالية العربية في استانبول وهو عبد الكريم الخليل رئيـــس المنتدى الأدبي فيها (١٢٦) .

---

(١٢٤) المصدر السابق ، ص ٦-٨ .
(١٢٥) المؤتمر العربي الأول ، ص ٧-١٠ .
(١٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٤-١٦ .

وقبل انعقاد المؤتمر انتخبت الوفود لجنة ادارية من السادة عبد الحميد الزهراوي رئيساً وشكري غانم نائباً للرئيس وسليم سلام واسكندر عمون والشيخ أحمد طباره وندره المطران وكلاء ، وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وعوني عبد الهادي وجميل مردم كتاباً بالعربية ، وشارل دبّاس كاتباً بالفرنسية (١٢٧) .

وقد أكّد الخطباء في المؤتمر على ضرورة التمسك بوحدة الدولة العثمانية . فقد جاء في خطاب اسكندر عمون : « توهم بعض أنصار النظام المركزي من إخواننا الأتراك ان الغرض من النهضة العربية هو الانفصال عن الدولة . ذلك امر بعيد عن الصحة . فان الأمة العربية لا تريد الا استبدال شكل الحكم الفاسد ـ الذي يكاد يودي بالدولة ـ بالحكم الذي يرجى منه وحده الصلاح والنجاح لنا ولهم ، وهو الحكم على قاعدة اللامركزية . ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا منها هذا » (١٢٨) .

وقال عبد الغني العريسي في هذا الصدد : « لا تتطرق الينا فكرة الانفصال عن هذه السلطة ، ما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة . فارتباطنا بهذه الدولة يتراوح اذن بين ضمان هذه الحقوق : فان كثر كثر وان قل قل » (١٢٩) .

وأوضح الخطباء أيضاً ضرورة التمسك بالاصلاح على قاعدة اللامركزية ، فقد جاء في خطاب اسكندر عمون : « هذا المبدأ يصدق على كل شعب وأمة على ان حاجتنا نحن معشر العثمانيين الى اللامركزية أشد من حاجة كل أمة أخرى اليها . ذلك لأن أمتنا مكونة من عناصر متباينة في اصولها ولغاتها وتاريخها وأخلاقها وحاجاتها وعاداتها ، وكل فريق منها أدرى بحاجاته الخاصة من سواه . فلا يمكن ان تحسن ادارتها يد واحدة ولا يمكن ان ينطبق على حاجاتها

---

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
(١٢٩) المصدر نفسه ص ٤٩ .

قانون واحد » (١٣٠) .

وأكّد عبد الغني العريسي في خطابه بأن للعرب قومية متميزة اذ قال : « الحق في كل تكوين سياسي قائم على نوعين : حق فرد وحق جماعة . والجماعات كثيرة ، وأجلّها مكانة جماعات الشعوب ، فللشعوب حق غير حق الأفراد ... هل للعرب حق جماعة ؟

« ان الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق الا اذا جمعت على رأي علماء الألمان وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأي علماء الطليان وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب الفرنسيين وحدة المطمع السياسي . فان نظرنا الى العرب من هذه الوجوه السياسية علمنا ان العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة عنصر ووحدة تاريخ ووحدة عادات ووحدة مطمح سياسي . فحق للعرب بعد هذا البيان ان يكون لهم على رأي كل علماء السياسة دون استثناء حق جماعة ، حق شعب ، حق أمة . تتساءلون عن ماهية هذا الحق لجماعة الأمة العربية ، فبياناً لهذا الحق أقول : اول حق لجماعة الشعوب حق الجنسية (القومية) فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية ، حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة — رغماً عما كان ينتابنا من حكومة الآستانة من أنواع الادارات كالامتصاص السياسي او التسخير الاستعماري او الذوبان العنصري » (١٣١) .

وظهر اتجاه في المؤتمر الى رفض الرابطة الدينية واستبدالها بالرابطة القومية . ففي أعقاب المؤتمر أجاب عبد الحميد الزهراوي عن سؤال لمراسل جريدة Temps الفرنسية بما يلي :

« ان الرابطة الدينية عجزت دائماً عن ايجاد الوحدة السياسية . وانا لا أرجع الى التاريخ لابرهن على هذا بل حسبي ما لدينا الآن من الشواهد الحاضرة . انظر الى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم تقو رابطتهما

---

(١٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٠

(١٣١) المصدر السابق ، ص ٤٥-٤٣

الدينية على ازالة خلاف بسيط بينهما ، وهو الاختلاف المتعلق بالحدود .
« العاطفة الاسلامية لم تقدر مرة من المرات ان تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لأمير آخر من المتدينين بدينه حتى ولو كان هذا خليفة » (١٣٢) .
وأشاد المؤتمرون بالروابط القومية عند العرب . فقال ندره المطران : « اذا كانت النعرة الجنسية فضيلة في النفس فلست أعرف أمة أشد تأثراً بعواملها من الأمة العربية . لما قدم أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد بجيوش العرب المسلمين الى بلاد الشام وجدوا حارساً على أبوابها من الغسانيين وهم عرب نصارى يتقدمهم ملكهم جبله بن الأيهم . الا ان هؤلاء بدلاً من قتال المسلمين والوقوف في وجوههم عطفوا عليهم عطف الأخ فتركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية اللتين كانتا تقضيان عليهم بموالاة الروم وخطبوا ود وولاء الناطقين بلسانهم من بني أمتهم العرب . فمهدوا لهم السبل وفتحوا الطرق ومكنوهم كل التمكين من فتح البلاد » (١٣٣) .
وبرر عبد الحميد الزهراوي ، رئيس المؤتمر عدم دعوة المصريين الى الاشتراك في المؤتمر . « نحن نحترم اخواننا المصريين ونحترم آراءهم . وبهذه المناسبة أعتذر لانني لم أجد فرصة قبل الآن لتحية الأمة المصرية . والآن نحيي إخواننا المصريين ونُبدي حرمتنا لآرائهم ونعرف ان مصر عربية عثمانية ، ولكن بما ان لها ادارة خاصة لا ينفذ فيها رأي العثمانيين وكذلك للبلاد العثمانية ادارة لا ينفذ فيها رأي المصريين لذلك أرجو ان يكون هذا عذراً لبقاء مناقشة الشؤون العثمانية الداخلية منحصرة فيمن لآرائهم حق التأثير في أحوالهم » (١٣٤) .
وفي الجلسة الرابعة (الختامية) للمؤتمر اتخذت القرارات التالية :
١ ــ ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب

(١٣٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠
(١٣٣) المصدر نفسه ، ص ٥٨
(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

ان تنفذ بوجه السرعة .

٢ – من المهم ان يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .

٣ – يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية ادارة مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .

٤ – كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ باجماع الآراء وهي قائمة على مبدئين أساسيين هما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين أجانب . فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين الطلبين .

٥ – اللغة العربية يجب ان تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ، ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .

٦ – تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في الظروف والأحيان التي تدعو الى الاستثناء الأقصى .

٧ – يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها .

٨ – يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على أساس اللامركزية .

٩ – سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية .

١٠ – وتبليغ هذه القرارات ايضاً للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية . ويشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها . والحق المؤتمر بهذه القرارات المواد الثلاثة التالية :

١ – اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر فالأعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول اي منصب كان في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها .

٢ – ستكون هذه القرارات برناجاً سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن

مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية الا اذا تعهّد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

٣ – يشكر المؤتمر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازراتهم له ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم (١٣٥) .

ولما بلغت أخبار المؤتمر الى الحكومة العثمانية قاومته بمختلف الوسائل والأساليب . فاستدعت بعض صنائعها من العرب مثل طه أفندي المدور صاحب جريدة « الرأي العام » الاتحادية الميول الى استانبول ، وأوعزت اليه بنشر مقالات معادية لاتجاهات المؤتمر . واتصلت بالحكومة الفرنسية لمنع عقد المؤتمر في باريس . وحرّضت الشيخ عبد العزيز جاويش وأنصاره من دعاة الجامعة الاسلامية لاحباط مساعي المطالبين بالاصلاح ، وبذر الشقاق بين المسلمين والمسيحيين من العرب . وكلفت بعض عمـــلاء الحكومة من العرب بارسال برقيات استنكار لمقررات المؤتمر . وشنّت الصحف التركية وعلى رأسها جريدة « طنين » لسان حال جمعية الاتحاد والترقي حملات شديدة على المؤتمر . فقد جاء فيها بمناسبة انعقاد المؤتمر ما يلي :

« ان هؤلاء المؤتمرين باسم العرب النجباء الذين نظموا بروغرامهم وأعدوا معدات الاحتلال وأخذوا يوزعون النشرات السرية ستكون لهم عاقبة اليمة جداً . والذين قاموا يصيحون في وجههم يصح لكل واحد منهم ان يتكلم عن ولاية عربية برمتها » .

وقالت هذه الصحيفة في عددها الصادر في ٦ تموز ١٩١٣ بعنوان « مؤتمر غريب » :

« ان موقّعي بيان المؤتمر دخلوا في الجنسية الفرنسية ولم يبق لهم أقل صلة بالعربية والاسلامية . فمؤتمرهم الذي يعقد في باريس على ما جاء في بيانهم عار من كل أهميّة . واذا كان موقّعوه يسعون حقيقة باسم العرب فلماذا لا يدعون مندوبين من كل البلاد العربية التي ينطق

---

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ١١٣–١٢١ ، ثورة العرب ، ص ٧٢–٧٣

سكانها بالضاد ؟ » (١٣٦) .

وأخيراً رأت الحكومة العثمانية ان توفد سكرتير جمعية الاتحاد والترقي الى باريس للتفاوض مع المؤتمرين على اتفاق بين العرب والأتراك . فشكّل المؤتمر وفداً من ثلاثة أشخاص برئاسة عبد الكريم الخليل ، ليتفاوض مع الحكومة العثمانية في الآستانة في سبيل الوصول الى اتفاق يرضي آمال العرب ويحقق مطالبهم .

وتوصل الوفد العربي مع المبعوث التركي الى الاتفاق التالي الذي وقّع عليه طلعت بك وزير الداخلية في الحكومة العثمانية وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي ومعتمد الشبيبة العربية .

١ ـ يكون التعليم الابتدائي والاعدادي باللغة العربية في جميع البلاد العربية كما يكون التعليم العالي ايضاً بلغة الأكثرية ـ وانما يكون تعليم اللغة العثمانية إجبارياً في المدارس الإعدادية .

٢ ـ يشترط في رؤساء المأمورين بوجه عام ان يكونوا واقفين على اللغة العربية . اما سائر المأمورين فسيعينون من قبل الولاية . الا ان الحكّام ومأموري العدلية الذين يتولون أعمالهم بارادة سنية سيعينون من المركز . واما الولاة فيستثنون من القيد السالف الذكر.

٣ ـ ان العقارات والمؤسسات الوقفية المشروط صرفها الى الجهات الخيرية المحلية ستترك الى مجالس الجماعات المحلية على ان تدار من قبلها وفق شروطها الخاصة .

٤ ـ الأمور « النافعة » ستترك الى الادارة المحلية .

٥ ـ ان الأفراد العسكريين سيؤدون خدماتهم العسكرية في وقت السلم داخل البلاد العربية ، في دوائر مناطق الجيش التي ينتسبون اليها . الا ان الجنود الذين لا بد من ارسالهم في الحالة الحاضرة الى الحجاز والعسير واليمن سيرسلون في جميع الولايات العثمانية ضمن نسبة معينة .

---

(١٣٦) ثورة العرب ، ص ٧٥-٧٦ ، المؤتمر العربي الاول ، ص ٢١٥-٢٢١ .

٦ ـ ان المقررات التي تتخذها مجالس المديريات العامة ضمن صلاحيتها القانونية ستكون نافذة على كل حال .

٧ ـ سيقبل كمبدأ أساسي ان يكون في الوزارة ثلاثة من العرب على الأقل ، كما انه سيكون في الدوائر المركزية عدد مماثل لذلك من العرب بصفة مستشارين او معاونين . وسيعتبر من الأسس المقررة ان يكون في كل من لجان المأمورين وشورى الدولة ومجلس المشيخة الاسلامية ومجالس سائر الدوائر المركزية اثنان او ثلاثة من العرب . كما يكون في كل وزارة أربعة او خمسة موظفين من درجات مختلفة ايضاً من العرب .

٨ ـ سيكون في الحالة الحاضرة خمسة ولاة وعشرة متصرفين من العرب . كما وانه ستزال المغدوريات التي قد تكون لحقت بالموظفين العرب في الدوائر الملكية والعدلية والعلمية الذين لم يرفعوا بالنسبة الى سائر زملائهم . واما فيما بعد فسيكون تعيين الموظفين وترفيعهم وتأديبهم وفق قانون خاص .

٩ ـ سيعين في مجلس الأعيان من العرب بنسبة اثنين عن كل ولايةعربية.

١٠ ـ سيعين في كل ولاية مفتشون متخصصون من الأجانب في الدوائر والمصالح التي تحتاج الى ذلك . وستقرر صلاحيات هؤلاء المفتشين وواجباتهم بنظام خاص يكفل الحصول على الفوائد الانضباطية والاصلاحية المطلوبة والمنتظرة .

١١ ـ سيسد النقص الموجود حالياً في ميزانيات الدوائر التي تركت ادارتها الى الولايات عن طريق اضافة الموارد الكافية لميزانية الولاية ، وسيخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفات الى الادارات المحلية على ان تصرف لأمور المعارف (١٣٧) .

الا ان الاتحاديين لم يتقيدوا بما جاء في هذا الاتفاق . واستمروا في سياسة الاضطهاد والتتريك حتى قيام الحرب العالمية الاولى .

---

(١٣٨) المؤتمر العربي الاول ص ــه ، الحصري ، ساطع: نشوء الفكرة القومية، ص ٢٢١-٢٢٣ .

الفصل الثالث

الاتجاهات الاجتماعية

« ان أولي المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس لا كتائب له في فتوحاته الا المداهاة ، ولا فيالق يسوقها للاستملاك سوى المحاباة ، ولا أسنة يحفظ بها ما تمتد اليه يده الا المراضاة ، يظهر بصورة مختلفة الألوان متقاربة الأشكال ... »

(من افتتاحية العدد الأول من العروة الوثقى)

كانت الدولة العثمانية ، من وجهة النظر الدينية ، دولة اسلامية يحكمها سلطان مسلم ، ويسود فيها الشرع الإسلامي ، ونتيجة لفتوحاتها الواسعة في آسيا واوروبا وافريقيا دخلت في حوزتها شعوب وأمم تدين بأديان ومذاهب مختلفة ، فأصبح سكانها والحالة هذه ، ينقسمون ، حسب رأي الفقهاء المسلمين ، الى فئتين : مسلمين وأهل ذمة . ولما كان المسلمون هم الفئة المسيطرة سياسياً فقد تمتعوا بحقوق المواطنة وواجباتها كاملة . مثل تولي مختلف المناصب السياسية والادارية والقضائية والعسكرية ، وفرض عليهم مقابل ذلك الجهاد او الخدمة العسكرية . أما أهل الذمة فقد منحوا الحق في تطبيق شرائعهم الدينية في أمورهم الخاصة وأحوالهم الشخصية . وفرضت عليهم الجزية كضريبة شخصية يدفعونها سنوياً .

وشمل هذا التقسيم الطائفي المجتمع العربي ، فكان المسلمون يشكلون الغالبية العظمى ، بينما أهل الذمة أقلية صغيرة لا تتجاوز عشر السكان . وانقسم المسلمون الى سنة وشيعة ونصيرية ومتاولة ودروز ، كما انقسم أهل الذمة الى نصارى ويهود وصابئة . وانقسم النصارى بدورهم الى روم ارثوذكس وروم كاثوليك وسريان وأرمن وأقباط ولاتين وانجيليين ، كما انقسم اليهود الى سفارديم واشكنازيم . وترك العثمانيون لهذه الطوائف حرية ممارسة عباداتها وتطبيق شرائعها ، كما أبقوا على زعاماتها الدينية التقليدية .

أما من الناحية الاقتصادية ، فقد انقسم المجتمع العربي الى مزارعين وتجار وحرفيين او صناع . وكان المزارعون غالبية السكان وينقسمون الى اقطاعيين وفلاحين . والاقطاعيون في غالب الأحيان ، من القادة العسكريين او الزعماء المحليين او شيوخ القبائل ، وهم فئة قليلة العدد ، واسعة النفوذ ، تمثل صلة الوصل بين الرعية من الفلاحين والحكام

العثمانيين ، وتتمتع بحق الضرب والجلد والسجن في القرى التابعة لها .
اما الفلاحون فكانوا فئة مستغلة ، يملكهم الاقطاعي فيتصرف بهم كما لو كانوا جزءاً من الأرض الي يعيشون عليها ، ويرهبهم البدوي فينهب ما تقع عليه عينيه ويفرض عليهم الخاوة ، ويفد اليهم جابي الضرائب فلا يبقي لديهم ما يكفي مؤونتهم . وبقي الوضع هكذا طوال العهد العثماني ، فلم يطرأ عليه أي تطوير أو تحسين . وظل الفلاح ، لأجيال عديدة ، يعيش حياة غاية في القساوة يرتدي أسمال بالية ، ويسكن أكواخاً من الطين والقش يشارك فيها مواشيه ، وتلاحقه الأوبئة والمجاعات ، مستسلماً للأقدار ، راضياً بمصيره ، قانعاً بما هو عليه من ذل ومهانة وجور وجهل .

اما طبقة التجار فكانت تقيم في المدن ، وتتمتع بثروة كبيرة نسبياً . ومع انفتاح البلاد العربية على الغرب نمت هذه الطبقة وأصبحت تلعب دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية والثقافية . واليها ينتمي علماء الدين ، ومنها ظهروا ، فنالوا منزلة عالية في الدولة والمجتمع . وكانوا يعتبرون أنفسهم حماة الدين الاسلامي والمدافعين عن الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الاسلامية ، فأنعمت عليهم بالأرزاق والهبات وريع الأوقاف الاسلامية .

وبقيت الصناعة ، طوال العهد العثماني ، كما كانت عليه من تخلّف وجمود . وانحصرت في طوائف (نقابات) حرفية ، يتحكّم بها شيوخ كل طائفة . وزاد الطين بلة ، عندما تدخلت الحكومة في تعيين الشيوخ ، فدخل الحرف عناصر من غير أهلها ، فتقهقرت الصناعة واضمحلت . وكان لنظام الامتيازات الأجنبية Capitulations الذي أدخل الى الدولة العثمانية ، أثره في الحيلولة دون نمو أية حرفة أو صناعة ، وبخاصة بعد أن غزت المنتجات الصناعية الاوروبية البلاد العربية في القرن التاسع عشر ، عصر الثورة الصناعية .

وفي البوادي العربية سيطرت القبائل المتنقلة ، ترعى وتغزو وتفرض الخاوة اينما عجز الفلاح عن حماية نفسه . وانعكست القيم الاجتماعية

في حياة القبيلة على الحياة الاجتماعية في القرى والمدن .

وخلاصة القول ان المجتمع العربي في العهد العثماني كان ينقصه التجانس والتماسك . فما كاد القرن التاسع عشر ينتهي حتى بدأت الاطر الاجتماعية القديمة بالانهيار ، وتراجعت القيم الاجتماعية القبلية لتحل محلها قيم جديدة مستوردة من الغرب. ونشأ صراع شديد بين الراغبين في التفرنج وتقليد الغرب في المسكن والملبس والمأكل والمشرب ومختلف وسائل الترفيه والتسلية ، وبين المحافظين أنصار التقليد القديم الذين بذلوا كل ما في وسعهم لمقاومة تيار التفرنج وصده .

في هذا المجتمع المتخلف ، حيث البون شاسع بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير ، والجهل عام ، والتدين تجارة وزعامة ووساطة ، والتملق والنفاق والجبن سادة العصر ، قامت فئة واعية تنادي بمبادىء وأفكار جديدة من حرية ومساواة وعدالة اجتماعية ، مستنكرة الذل والنفاق والرشوة ، معتمدة في ذلك على كتاب الله وسنة نبيه أحياناً ، وعلى آراء المصلحين والمفكرين الغربيين احياناً أخرى . وعالجت هذه الفئة من المفكرين العرب مختلف المشاكل والأمور الاجتماعية وخرجت باتجاهات عديدة اهمها :

١ ـ البحث في أسباب تخلّف المجتمع العربي

كانت الدعوات والحركات الاصلاحية السلفية التي سبق ذكرها ترى ان سبب تخلّف العرب والمسلمين وضياع مجدهم ، هو ابتعادهم عن نقاوة دينهم وشيوع البدع والضلالات التي دخلت على معتقداتهم . ولذلك جعلت هدفها الأول تنقية الدين الاسلامي من هذه الضلالات والعودة الى منابعه الاولى ، بالاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله . اما الاتجاهات الحديثة في التجديد الاسلامي التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ، والتي قادها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده فقد رأت ان سر تخلّف المسلمين نابع من عزوفهم عن الأخذ بأساليب

الحضارة الغربية ، والجانب المادي منها بشكل خاص . ولذلك دعتهم الى أن ينهلوا من الحضارة الغربية ما يفيد دنياهم ، على ان لا يتعارض مع معتقداتهم وتقاليدهم الاسلامية ، وفي الوقت نفسه اعتماد الاسلام دستوراً لحياتهم . وقد حدّد جمال الدين ومحمد عبده أهداف دعوتهما بما يلي: « بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات ، والاحتراس من غوائل ما هو آت . ويستتبع ذلك البحث في اصول الأسباب ومناشيء العلل التي قصرت بهم الى جانب التفريط ، والبواعث التي دفعت بهم الى بهامة حيرة عميت فيها السبل واشتبهت بها المضارب ... والتنبيه الى ان الظهور بمظهر القوة لدفع الكوارث انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم ... وعلى ان التكافؤ في القوة الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية ... ».(١)

غير ان اقتباس المنجزات العلمية والتقنية عن الغرب لم يعن لدى هؤلاء المجددين تقليد الغرب تقليداً اعمى . يقول الشيخ محمد عبده : « ان رباب الأفكار منا الذين يرومون ان تكون بلادنا ، وهي هي ، كبلاد اوروبا – وهي هي – لا ينجحون في مقاصدهم ، ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح ، ويضرون البلاد بجعل المشروعات منها على غير أساس صحيح ، فلا يمر زمن قريب الا وقد بطل المشروع ، ورجع الأمر الى ما كان » . ورأى ان طريق الخلاص هي في التربية والتعليم . فهو يقول : « ان الذين يرومون الخير الحقيقي لوطنهم يجب ان يوجّهوا اهتمامهم الى اتقان التربية ونشر التعليم ، اذ ان اصلاح نظام التربية والتعليم في البلاد يجعل وجوه الاصلاح الأخرى أكثر يسراً . ولكن الذين يتخيلون ان نقل أفكار الغرب وعاداته الى بلادهم سيصل بها بعد زمن وجيز الى درجة من المدنية تماثل مدنية الغرب ، هؤلاء يخطئون خطأ كبيراً . فهم يبدأون بما هي في الحقيقة نهاية تطور طويل المدى ...

---

(١) العروة الوثقى والثورة التحررية الكبرى ، ص ٧-٨ .

ويظهر لنا تاريخ الدول الاوروبية العظيمة على انها لم تصل الى درجتها الحالية من المدنية الا بعد ان عانت عناء شديداً ، وضحّت تضحيات عظيمة . ومع هذا فلا تزال تلك الدول بعيدة عن الغاية التي ترمي اليها . فان الدول الاوروبية لم تصل ما وصلت اليه الا بعد ان صهرت بوتقة الزمن عقليتها ، وساقتها ضرورات الحياة الى يقظة وعيها ، وأدّى الصراع الحربي والاقتصادي بينها الى تطور الفكر فيها » (٢) .

ويؤكد خطر التقليد الأعمى بقوله :

« اننا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الأعمى ، واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائدة قبل البدايات الواجبة ، ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا ، وأن يكون انتقالنا عنها على وجه تقليدي ايضاً ، فلا يفيد ... » (٣) .

واذا كان المصلحون السلفيون والمجددون المسلمون قد رأوا فيما علق بالدين من ضلالات وبدع من الأسباب الاساسية لتخلّف مجتمعهم وضعفهم السياسي ، فقد كان المفكرون العرب من المسيحيين يرون في التعصب الديني أساس البلاء والتأخر . فهذا سليم البستاني يقول : « منذ أن انقسمنا الى عصب دينية وأخذ كل منا يحاول عضد عصبته وتنكيس غيرها ، قد عمّنا التأخر وخسف ظلام الجهل بدرنا . وقد دخل ذلك التعصب في بعض وربما أكثر مجالسنا وجمعياتنا وشركاتنا ... وهذا هو وباء شديد العدوى يسري من الكبير الى الصغير » .

ويرى البستاني ان الانشقاق الداخلي من أسباب التخلف الاجتماعي « لأننا لا نكف عن رشق أبناء مذهبنا بسهام الحسد والملامة والقذف . على اننا نتكاتف معهم في رشق امة أخرى بها . وذلك لأننا لا نطيق ان نرى أحداً من أبناء ملتنا وغيرها في صدور المجالس ومراتب الحكّام بل أحب الينا ان نخسرها نحن وإياهم من أن نراهم متمتعين بها دوننا .

---

(٢) رضا ، محمد رشيد : تاريخ الاستاذ الامام ج ٢ ، ص ١٢٢-١٢٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣

وهذا هو من أخبث وأعظم أسباب التأخر » (٤) .

اما عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ – ١٩٠٢) فقد تناول انحطاط المجتمع الاسلامي بالتوسع والتفصيل في كتابه « ام القرى » وأرجعه الى الأسباب التالية :

(أ) أسباب دينية هي :

١ – تأثير عقيدة الجبر على أفكار الأمة .
٢ – تأثر فن الجدل في العقائد الدينية .
٣ – الاسترسال في الاختلاف والتفرقة في الدين .
٤ – الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين .
٥ – تشدّد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف .
٦ – ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافية وبدعاً مضرة .
٧ – ادخال العلماء المدلسين كثيراً من الأوهام والخرافات والبدع المضرة .
٨ – ايهام الدجالين والمداجين ان في الدين أموراً سرية وان العلم حجاب .
٩ – الاعتقاد بمنافاة العلوم الحكمية والعقلية للدين .
١٠ – الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج .
١١ – تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً .
١٢ – افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات.
١٣ – التعصب للمذاهب وآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف .
١٤ – العناد على نبذ الحرية الدينية جهلاً بمزيتها .
١٥ – تطرق الشرك الخفي او الصريح الى عقائد العامة .

---

(٤) البستاني ، سليم : « لماذا نحن في تأخر » مقالة في الجنان ، السنة الاولى ج ٦ ، آذار ١٨٧٠ ، ص ١٦٢-١٦٤

١٦ ـ تأثير المزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة .
١٧ ـ تشويش أفكار الأمة بكثرة تخالف الآراء في فروع أحكام الدين .
١٨ ـ تطرق الشرك الصريح او الخفي الى عقائد العامة . وتهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد .

(ب) أسباب سياسية هي :
١ ـ السياسة المطلقة من السيطرة والمسؤولية .
٢ ـ حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجندية فقط .
٣ ـ اعتبار العلم عطية يحسن بها الامراء على الاخصاء .
٤ ـ قلب موضوع أخذ الأموال من الأغنياء وإعطائها للفقراء .
٥ ـ إبعاد الامراء والنبلاء والأحرار وتقريبهم المتملقين الأشرار .
٦ ـ فقدان قوة الرأي العام بالحجر والتفريق .
٧ ـ مراغمة الأمراء للسراة والهداة والتنكيل بهم .
٨ ـ فقدان العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة .
٩ ـ ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين .
١٠ ـ تفرق الأمة الى عصبات وأحزاب سياسية .
١١ ـ حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن .
١٢ ـ حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسات الخرقاء ، وإصرارهم على الاستبداد عناداً واستكباراً ، وانغماسهم في الترف ودواعي الشهوات وبعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال .

(ج) أسباب أخلاقية وتربوية هي :
١ ـ الاستغراق في الجهل والارتياح اليه .
٢ ـ انحلال الرابطة الدينية الاحتسابية .
٣ ـ التباعد في المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة .
٤ ـ فقدان التناصح وترك البغض في الله .
٥ ـ غلبة التخلق بالتملق تزلفاً وصغاراً .

٦ ــ فقدان التربية الدينية والأخلاقية (٥) .
٧ ــ الاخلاد الى الخمول ترويحاً للنفس .
٨ ــ فساد التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد .
٩ ــ استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدنيا والدين .
١٠ ــ فقدان قوة الجمعيات وثمرة دوام قيامها .
١١ ــ ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال .
١٢ ــ اهمال طلب الحقوق العامة جبناً وخوفاً من التخاذل .
١٣ ــ تفضيل الارتزاق من الجندية والخدمة الاميرية على الصنائع .
١٤ ــ فقدان القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكاة .
١٥ ــ معاداة العلوم العالية ارتياحاً للجهالة .

لقد بحث الكواكبي في هذه الأسباب على شكل حوار بين عدد من الشخصيات التي تخيلها ، وتناولها بالتفصيل وبايراد الحجج والبراهين ، فكانت تحليلاً علمياً لواقع المجتمع العربي في نهاية القرن التاسع عشر .

وذهب قاسم أمين الى أبعد من ذلك حينما اعتبر اعجاب العرب الشديد بماضيهم سبباً من أسباب ضعفهم وعجزهم فهو يقول : « هذا هو الداء الذي يلزم ان نبادر الى علاجه . وليس له دواء ، الا ان نربي اولادنا على ان يتعرفوا شؤون المدنية الغربية ، ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها . اذا أتى ذلك الحين ــ ونرجو ان لا يكون ذلك بعيداً ــ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدّن الغربي . وتيقّنا انه من المستحيل ان يتم اصلاح ما في أحوالنا اذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة (٦) .

واستعرض عبد الله النديم مزاعم بعض المفكرين الغربيين في أسباب تخلف العرب والشرقيين عامة ، وأثبت بطلانها ، هي :

١ ــ الادعاء بأن المناخ هو الذي يقضي على الشرقيين ، بالكسل والتقاعد

---

(٥) الكواكبي ، عبد الرحمن : « ام القرى » ، ص ١١٠-١١٣

(٦) امين ، قاسم . المرأة الجديدة ، ص ١٠٠ .

عن الأعمال العمرانية ، كما قضى على الاوروبيين بالعمل وعلو الهمة .

٢ ـ الزعم ان الدين الاسلامي مانع من التقدم . ويدحض النديم هذه الفرية بقوله « ان الشرق ممتلىء بأديان تغاير الدين الاسلامي ، والآخذون بها اضعاف الآخذين بالاسلام ، ومع ذلك فان تقهقرهم في المدنية والقوى العلمية أكثر من المسلمين » .

٣ ـ القول ان « اختلاف الجنس هو المانع » . ويثبت النديم باسهـاب بطلان هذه النظرية العرقية .

٤ ـ الزعم ان « التعلق بالأديان هو السبب في التخلف وان الطريق السليم للتقدم هو ترك الأديان والتخلص منها . يرد النديم على ذلك بقوله : « مع اننا لو فرضنا عدم صحة الأديان وانها وضعت نظامات في أيام الخشونة والجهالة لا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية ، لكان من الواجب احترامها واعتبارها ، فان تأثير وعدها ووعيدها في النفوس لا يبلغه قانون ... » (٧) .

وبعد ان دحض النديم هذه المزاعم عقد مقارنة بين أسباب تقدّم الدول الاوروبية وأسباب تخلّف دول الشرق ، معتبراً إهمال الشرقيين لأسباب وعوامل التقدم في الـدول الاوروبية الأساس في تخلّفهـم الحضاري ويجمل تلك الأسباب بما يأتي :

١ ـ الوحدة القومية الناشئة عن وحدة اللغة ووحدة التراب القومي في دول الغرب . ويرى النديم ان عدم توفر هذه الوحدة القومية في دول الشرق سبب هام من أسباب تخلفها وتدهور حضارتها .

٢ ـ الاعتماد في الادارة والسلطة على أبناء الجنس الواحد . ويذهب النديم الى القول « فدول الشرق أخطأت هذا الطريق ولفقت العمال من الأجناس المحكومة وغيرها ، فانحلت قواها ، وكثر فيهـا

(٧) النديم ، عبد الله ، سلافة النديم ، ج ٢ ، ص ١٠٩–١١٠ ، الاستاذ ، ج ١٥ ، السنة الاولى ، ٢٩-١١-١٨٩٢ ، ص ٣٣٧-٣٥٢

الثورات والتغلبات ، حتى جاءت الدولة العربية ، فوحدت سلطتها في دورها الأول . فنمت مملكتها بكثرة فتوحاتها ، ونفذت قوانينها الشرعية والوضعية في الممالك التي ربطت خيولها باب ملوكها وأمرائها . فلما اتسع نطاق المدنية وجنح الخلفاء والأمراء الى الرفاهية والسكون أسلموا أمور اداراتهم الى الأجناس المحكومة بهم ، فدعاهم حب الاثرة الى نزع ما بيد مواليهم وساداتهم . ورجعت العرب القهقرى ، وكثر المتغلبون وفسد النظام » (٨) .

٣ ـ الوحدة الدينية ، ذلك « ان وحدة الدين اذا انضمت الى وحدتي اللغة والسلطة قامت المملكة على أساس متين » . ويذهب في هذا الاتجاه الى ما ذهب اليه استاذه محمد عبده في اعتبار تخلي المسلمين عن دينهم وعدم التمسك به سبباً من أسباب تخلفهم . فهو يقول : « وأهمل الشرقيون دينهم ، وتأخرت المعارف لديهم ، وعمت الجهالة عوامهم . واقتصر العلماء على التعاليم الدينية فماتت الصنائع . وأصبح الناس يعدون مخترعات اوروبا من وراء العقول ، وحكموا على أنفسهم باستحالة الوصول الى تقدم اوروبا ، لفراغهم من المبادىء العلمية وبعدهم عن المسائل الدولية » (٩) .

٤ ـ التعاون بين الدول الاوروبية ، وفقدانه بين الدول الشرقية مما جعلها فريسة سهلة للدول الطامعة . يقول النديم : « فقد اخطأت ممالك الشرق هذا الطريق الجليل (طريق التعاون الدولي) فاستبدلت الاتفاق بالنفرة وبث العداوة بين أفراد الأمم ، وانتهت العداوة الى مساعدة دولة شرقية لدولة اوروبية على أمة شرقية مثلها » (١٠).

ويتبع هذه العوامل الرئيسية في تخلف الشرقيين وتقدم الاوروبيين بعوامل ستة مساعدة هي :

---

(٨) المصدر نفسه ، ص ١١١-١١٢

(٩) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١١٦

١ ــ حرية الفكر والنشر وتعميم المعرفة . ذلك ان الشرق أخطأ الطريق «فخاف ملوكه من الكتّاب والعقلاء، فضغطوا على أفكارهم حتى أماتوهم في أذهانهم ... »

٢ ــ الثورة الصناعية والسيطرة التجارية التي كانت سبباً من أسباب تفوّق اوروبا . «وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق ، وجمعوا المال لوضعه تحت الأرض خبيئة او لصرفه في الملاذ والشهوات ، وتركوا صنائعهم عرضة للضياع ، واستعملوا مصنوع اوروبا» (١١) .

٣ ــ توفر الحافز للانتاج والإبداع . «وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق فحطوا على المخترعين ، وتركوهم وأعمالهم ، وانكبوا على الأجنبي ومصنوعه ، وأغمض الملوك عنهم عين الرعاية والاعتبار ، ففترت الهمم وقعدت عن السعي خلف النافع من بنات الأفكار» .

٤ ــ اهتمام اوروبا بالعلم والمعرفة بينما «نامت الأمم الشرقية تحت ردم التهاون وعدم التبصر حتى مات العلم وأهله» (١٢) .

٥ ــ المؤسسات الدستورية التي تضمن العدل والتي لم يأخذ بها الشرقيون «بسبب الجهالة التي عمت الامم الشرقية ، فلم يكن عند ملوكهم ثقة بأعيانهم ووجهائهم ، ولا يحبون كثرة العقلاء خوفاً من التغلب الذي يحلم به كل ملك شرقي وهو وهم لا حقيقة له» .

٦ ــ المجالس والجمعيات العلمية والأدبية التي يفتقر اليها الشرق . فقد جعل الشرقيون «مجالسهم قاصرة على الغيبة والنميمة والسعي في أذية فلان ومعاكسة علان ، والتحاسد والتباغض وتقبيح بعضهم بعضاً ، واللهو واللعب ، وانقطعوا عن العالم بالمرّة» (١٣) .

وقد أجمل الأمير شكيب ارسلان أسباب التخلّف الاجتماعي عند العرب والمسلمين في كتابه «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم»

---

(١١) المصدر نفسه ، ص ١١٧
(١٢) المصدر نفسه ، ص ١١٨
(١٣) المصدر نفسه ، ص ١١٩

بما يلي :

أ ــ الجهل والعلم الناقص ، «الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، لأن الجاهل اذا قيض الله له مرشداً عالماً أطاعه، ولم يتفلسف عليه . فأما صاحب العلم الناقص لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري»(١٤).

ب ــ فساد الأخلاق ، أي « فقد الفضائل التي حث عليها القرآن والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الأمة » . «وفساد أخلاق امرائها آخطر من فساد الرعية » . يقول الأمير شكيب : « وظن هؤلاء ــ الا مــن رحم بك ــ ان الأمة خلقت لهم ، وان لهم ان يفعلوا بها ما يشاؤون ، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى اذا حاول محاول ان يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره » .

ج ــ الخوف ، يقول ارسلان : « ومن أعظم عوامل تقهقر المسلمين الجبن والهلع ، بعد ان كانوا أشهر الأمم في الشجاعة واحتقار الموت » (١٥) .

د ــ اليأس والقنوط ، يقول في ذلك :

« فمنهم من وقر في أنفسهم ان الافرنج هم الأعلون على كل حال ، وانه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه ، وأن كل مقاومة عبث ، وان كل مناهضة خرق في الرأي ، ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين أمام الاوروبيين الى ان صار هؤلاء ينصرون بالرعب وصار الأقل منهم يقومون للاكثر من المسلمين » (١٦) .

هـ ــ ضياع الاسلام بين الجامدين والجاحدين . يقول في هذا الصدد : « آفة الاسلام هي الفئة الجامــدة التي لا تريد ان تغير شيئاً ولا ترضى . أما الجاحد فهو الذي يأبى الا ان يفرغ المسلمــين

---

(١٤) ارسلان ، شكيب . لماذا تأخر المسلمون ، ص ٥٨

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٦٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٦٠

وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم ، ويحملهم على انكار ماضيهم ، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيداً فيذوب فيه ويفقد هويته » (١٧) .

وخلاصة القول ان المفكرين العرب في عصر النهضة انقسموا الى فريقين في تحليلهم أسباب تخلف أمتهم . فريق السلفيين الذين أرجعوا هذا التخلف الى ابتعاد المسلمين عن الدين القويم ، وفريق الليبراليين الذين حاولوا الغوص في تراث الماضي وأوضاع الحاضر ، وتحري التطورات السياسية والقيم الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية التي أدّت الى هذا التخلّف ، فخرجوا بتحليل علمي سليم لواقعهم ، ووضعوا أصابعهم على الأمراض الحقيقية التي تنهش مجتمعهم .

٢ ـ الدعوة الى الحرية والمساواة

دعا المفكرون العرب في هذه الفترة الى الحرية بمفهومها الشامل الواسع . فطالبوا بالحريات الفردية مثل حرية التفكير والتعبير والاجتماع ، والحريات السياسية مثل الحياة النيابية ومبدأ الشورى في الحكم . واقتضت الدعوة الى الحرية محاربة الاستبداد بجميع أشكاله وإبراز مساوئه وشروره . وكان أهم مؤلف عربي ظهر في هذه الفترة هو « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » لعبد الرحمن الكواكبي (١٨) ، بيّن فيه طبيعة الاستبداد وقال عنها : « هي صفة للحكومة المطلقة العنان التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين » (١٩) . وأطنب في البحث في مساوىء الاستبداد ، التي يمكن

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٧٧

(١٨) ولد الكواكبي في حلب عام ١٨٤٨ ، ورحل الى مصر بسبب الاضطهاد التركي ، ونشر كتابه « طبائع الاستبداد » هناك عام ١٩٠١

(١٩) الكواكبي ، عبد الرحمن . طبائع الاستبداد ، ص ٧-٨

اجمالها بما يلي :

أ ـ أثر الاستبداد في افساد الدين . يقول الكواكبي : « الاستبداد ريح صرصر فيه اعصار يجعل الانسان كل ساعة في شأن . وهو مفسد للدين في أهم قسمية اي الأخلاق . واما العبادات منه فلا يمسها لانها تلائمه في الأكثر . ولهـذا تبقى الأديان في الأمم المأسورة عبارة عن عبارات مجرّدة صارت عادات ، فلا تفيد في تطهير النفوس التي ألفت ان تتلجأ وتتلوى بين يدي سطوة الاستبداد في زوايا الكذب والرياء والخداع والنفاق . ولهذا لا يستغرب في الاسير الاليف تلك الحال التي يستعملها ايضاً مع ربه ومع أبيه ومع قومه وجنسه وحتى مع نفسه » (٢٠) .

ب ـ أثر الاستبداد في انحطاط التربية ، يقول الكواكبي : « الاستبداد يضطر الناس الى اباحة الكذب والتحيل والخداع والنفاق والتذلل ومراغمة الحس وإماتة النفس ، الى آخره . وينتج من ذلك انه يربي الناس على هذه الخصال . بناء عليه يرى الآباء ان تعبهم في تربية الأبناء التربية الاولى لا بد ان يذهب يوماً عبثاً تحت أرجل تربية الاستبداد كما ذهبت تربية آبائهم لهم سدى » (٢١) .

وقال في أثر الاستبداد في إفساد الأخلاق : « لا تكون الأخلاق أخلاقاً ما لم تكن معوّدة على قانون ، وهذا ما يسمى عند الناس بالناموس . ومن اين لأسير الاستبداد ان يكون صاحب ناموس ، وهو كالحيوان المملوك العنان ، يقاد حيث يراد ، ويعيش كالريش يهب حيث يهب الرياح ، لا نظام ولا ارادة ! وما هي الارادة ؟ هي ام ناموس الأخلاق . هي ما قيل فيها تعظيماً لشأنها لو جازت عبادة غير الله لاختار العقلاء عبادة الارادة . هي تلك الصفة

---

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٩١

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٩٢

التي تفصل الحيوان عن النبات في تعريفه بأنه متحرك بارادة (٢٢). ويقول ايضاً: « اقل ما يؤثر الاستبداد في أخلاق الناس انه يرغم الأخيار منهم على الفة الرياء والنفاق ، ولبئس السيئتان . ويعين الأشرار على إجراء في نفوسهم آمنين حتى من الانتقاد والفضيحة ، لأن أكثر أعمالهم تبقى مستورة يلقي عليها الاستبداد رداء خوف الناس من تبعة الشهادة وعقبى ذكر الفاجر بما فيه » (٢٣) .

وقال في اثر الاستبداد في قتل الميول الطبيعية عند الانسان مثل حبه الوطن والأسرة والأهل: « الاستبداد يتصرف في اكثر الأميال الطبيعية والأخلاق الحسنة، فيضعفها او يفسدها او يمحوها. فيجعل الانسان يكفر بنعم مولاه، لأنه لم يمكنهـــا حق الملك ليحمده عليها حق الحمد. ويجعله حاقداً على قومه لانهم عون الاستبداد عليه ، وفاقد حب وطنه لانه غير آمن على الاستقرار فيه ولو انتقل منه ، وضعيف الحب لعائلته لانه ليس مطمئناً على دوام علاقته معها ، ومختل الثقة في صداقة أحبابه ، لأنه يعلم منهم أنهم مثله لا يملكون التكافؤ، وقد يضطرون لاضرار صديقهم بل وقتله وهم باكون . أسير الاستبداد لا يملك شيئاً ليحرص على حفظه ، لأنه لا يملك مالاً غير معرّض للسلب ولا شرفاً غير معرّض للاهانة ... الاستبداد يسلب الراحة الفكرية ، فيضني الأجسام فوق ضناها بالشقاء ، فتمرض العقول ويختل الشعور على درجات متفاوتة في الناس » (٢٤).

جـ ــ أثر الاستبـــداد في فساد الادارة ، يقـــول الكواكبي :

« الحكومـــة المستبدة تكون طبعاً مستبدة في كـــل فروعها ، من المستبد الأعظم الى الشرطي الى الفرّاش الى كنّاس الشوارع . ولا يكون كل صنف الا من أسفل أهل طبقته أخلاقاً . لأن الأسافل لا يهمهم جلب محبة الناس ، انما غاية مسعاهم اكتساب ثقة المستبد فيهم بانهم على شاكلته وأنصار دولته وشرهون لأكل

---

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٧١-٧٢

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٧٢-٧٣

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦

السقطات في ذبيحة الأمة . وبهذا يأمنهم ويأمنونه ، فيشاركهم ويشاركونه ... ان العقل والتاريخ والعيان ، كل يشهد بأن الوزير الأعظم المستبد هو اللئيم الأعظم في الأمة . ثم من دونه الوزراء يكونون دونه لؤماً ، وهكذا تكون مراتب لؤمهم حسب مراتبهم في التشريفات ... كيف يكون عند الوزير نزعة من الشفقة والرأفة على الأمة ، وهو العالم بأنها تبغضه وتمقته وتتوقع له كل سوء ما لم يتفق معها على المستبد ؟ وما هو بفاعل ذلك أبداً ... » (٢٥) .

د ـ أثر الاستبداد في تحطيم الروابط الاجتماعية . يقول في هذا الخصوص « ومن طبائع الاستبداد ان الأغنياء اعداؤه فكراً وأوتاده عملاً ، فهم وسائط المستبد ، يذلهم فيئنّون ، ويستدرهم فيحنّون ، ولهذا يرسخ الذل في الأمم التي يكثر أغنياؤها ، أما الفقراء فيخافهم المستبد خوف النعجة من الذئاب ... والفقراء كذلك يخافونه خوف دناءة ونذالة ، خوف البغاث من العقاب ، فهم لا يجسرون على الافتكار فضلاً عن الانكار ، كأنهم يتوهمون ان داخل رؤوسهم جواسيس عليهم » (٢٦) .

ويحمل على الاستبداد حملة شعواء اذ يقول : « لو كان الاستبداد رجلاً وأراد ان يحتسب وينتسب لقال : أنا الشر ، وأبي الظلم ، وأمي الاساءة ، وأخي الغدر ، وأختي المسكنة ، وعمي الضر ، وخالي الذل ، وابني الفقر ، وبنتي البطالة ، وعشيرتي الجهالة ، ووطني الخراب »

« الاستبداد يقلب الحقائق في الأذهان حتى انه قد مكّن بعض القياصرة والملوك الأولين من التلاعب بالأديان تأييداً لاستبدادهم . وقد وضع الناس الحكومات لأجل خدمتهم ، والاستبداد قلب الموضوع

---

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٤٦-٤٧

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٦٤

فجعل الرعية خادمة للرعاة . وقبل الناس الاستبداد ما ساقهم اليه من اعتقاد ان طالب الحق فاجر ، وتارك حقه مطيع ، والمشتكي المتظلم مفسد ، والنبيه المدقّق ملحد ، والخامل المسكين هو الصالح الأمين . وقد اتبع الاستبداد في تسميته النصح فضولاً ، والغيرة عداوة ، والشهامة عتواً ، والحمية جنوناً ، والانسانية حماقة ، والرحمة رضا . كما جاوره على اعتبار ان النفاق سياسة والتحيل كياسة والدناءة لطف والنذالة دماثة » (٢٧) .

ووضع الكواكبي أسساً للمجتمع الحر الصالح . فهو المجتمع الذي يعيش فيه المواطن :

١ ـ أمينا على السلامة في جسمه وحياته بحراسة الحكومة التي لا تغفل عن محافظته بكل قوتها في حضره وسفره .

٢ ـ أميناً على الملذات الجسمية والفكرية ، باعتناء الحكومة في الشؤون العامة المتعلقة بالترويضات الجسمية والنظرية والعقلية حتى يخال له ان تسهيل الطرقات والتزيينات البلدية والمنتزهات والمنتديات والمدارس والمجامع وغير ذلك قد وجدت كلها لأجله خاصة .

٣ ـ أميناً على الحرية ،كأنه خلق وحده على سطح هذه الأرض فلا يعارضه معارض فيما يخص شخصه من دين وفكر وعمل .

٤ ـ أميناً على النفوذ كأنه سلطان عزيز فلا ممانع له ولا معاكس في تنفيذ مقاصده النافعة في الأمة التي هو منها .

٥ ـ أميناً على المزية كأنه في أمة يساوي جميع أفرادها منزلة وشرفاً فلا يفضل هو على أحد ولا يفضّل أحد عليه الا بمزية سلطان الفضيلة فقط .

٦ ـ أميناً على العدل كأنه هو القابض على ميزان الحقوق .

٧ ـ أميناً على المال والملك كل ما أحرزه بوجهه المشروع قليلاً كان او كثيراً قد خلقه الله لأجله فلا يخاف عليه ، كما انه تقلع عينه

---

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٥٢

ان نظر الى مال غيره .

٨ ـ أميناً على الشرف بضمان القانون بنصف الأمة ببذل الدم فلا يرى تحقيراً الا لدى وجدانه ، ولا يعرف طمعاً لمرارة الذل والهوان والصغار (٢٨) .

وكان جبرائيل الدلال (٢٩) (١٨٣٦ – ١٨٩٢) من دعاة الحرية المشهورين في هذا القرن . وكانت مقالاته في صحف « الجوائب » و« الجنان » و« الأهرام » و« مرآة الأحوال » ، وقصائده تلهب عواطف الشبيبة والمثقفين في عصره . واشتهر بقصيدته « العرش والهيكل » التي تناولت استبداد الملوك وتسلط رجال الدين ، والتي أودع بسببها السجن وبقي فيه حتى وافاه الأجل . ومن أبيات قصيدته هذه :

وكذا الملوك فليس ينكر ما جرى ... فينا من استبدادها ووثوبها
أو جور من فتح الممالك عنوة ... وبغى على سكانها وغريبها
فبنصره خذل العلوم وأخربت ... تلك البلاد جيوشه بحروبها
ذبح العباد على الوهاد بظلمه ... وسقى المهاد دماءها عن صوبها
فلم الخضوع لذي البغاء ومالها ... عجباً تتيه تباجها وقضيبها
هل انها الا أناس مثلنا ... وبنا ومنا العزم في تغليبها
يا غافلين تنبهوا من رقدة ... طالت لسعد الوحش في تأديبها
هيا انهضوا وبطردها اجتهدوا ... فقد ساد الدمار وعمّ من تخريبها
وليحكم الجمهور من عقلائه ... قوم تراعى خيره كنسيبها
ولتستوكل الحقوق تعادلاً ... فيعود صوت قصيرها كأريبها

---

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١١٧-١١٨

(٢٩) ولد جبرائيل في حلب ، ودرس في مدرسة عين طورا بلبنان ، تعلم اللغات التركية والفرنسية والايطالية الى جانب اللغة العربية ، واتقنها جميعاً . تنقل في اوروبا من فرنسا الى ايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلجيكا . وزار الجزائر وتونس ، واتخذه المصلح التونسي اميناً لسره وتولى بعد ذلك تدريس اللغة العربية في كليه الآداب بجامعة فينا . (الكيالي ، سامي . الادب العربي المعاصر في سوريا ، ص ١٠-٦١ ، الدباغ ، هائشة ، الحركة الفكرية في حلب ص ١٤٨-١٤٠ .)

حتى نرى كل الورى فوق الثرى بالأمن يرعى شاتها مع ذيبها (٣٠)

فهذه صيحة ضد الاستبداد والظلم الذي كان يمارسه السلطان عبد الحميد الثاني ، ودعوة الى الثورة على حكمه ، وإقامة حكم جمهوري يتساوى فيه المواطنون في الحقوق والواجبات ولا يخفى فيها تأثير الأفكار السياسية والاجتماعية الغربية .

٣ ــ الدعوة الى العدالة الاجتماعية .

كان أول من عالج موضوع العدالة الاجتماعية من مفكري هذا القرن ، رفاعة الطهطاوي ، في كتابه « مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية » (١٨٦٩) . اذ تناول نظرية فضل القيمة او (فائض القيمة) التي كانت مدار بحث الاشتراكيين الاوروبيين في عصره ، وقال : « ثم اختلفت : هل منبع الغنى والثروة وأساس الخير والرزق هو الأرض . وانما الشغل مجرد آلة وواسطة لا قيمة له الا بتطبيقه على الفلاحة ؟ او ان الشغل هو أساس الغنى والسعادة ومنبع الأموال المستفادة ، وانه هو الأصل الأول للملة والأمة . يعني ان الناس يكتسبون لمنفعتهم من الأرض او لراحة المعيشة ، فالفضل للعمل ، وانما فضل الأرض فهو ثانوي ... » (٣١) .

« فمسيرة الزارع اي صاحب الزرع واقتداره على البذر والاجرة ثروة له . فهي منبع الايراد بعد الشغل . والشغل وهو العمل منبع الا يراد مثل تحصيل البذر واجرة الحارث . وهذا ينتج ان منبع السعادة الاولى هو العمل والكد ومزاولة الخدمة» . (٣٢)

ثم يطبق نظريته هذه على الفلاح المصري فيقول : « ثم ان المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية المجتني لفوائد

---

(٣٠) الكيالي ، سامي : الادب العربي المعاصر في سوريا ، ص ٧٠-٧١

(٣١) الطهطاوي ، ورفاعه : مناهج الالباب ، ص ٨٤

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٨٧

هذه الاصلاحيات الفلاحية الناتجة في الغالب عن العمـــل واستعمال القوى الآلية والمحتكر لمحصولاتهـــا الايرادية ، انما هو طائفة الملاك . فهم من دون اهـــل الحرفة الزراعية باعظم مزية . فأرباب الاراضي والمزارع هم المغتنمون لنتائجهـــا العمومية والمتحصلون على فوائدها ، حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتهـــا له وقع ، فلا يعطون للاهالي الا بقدر الخدمة والعمـــل وعلى حساب ما تسمح به نفوسهم في مقابلة المشقة . يعني ان الملاك في العادة يتمتعون بالمتحصـــل من العمل . ولا تدفع في نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذي لا يكافيء العمل . فمـــا يصل الى العمـــال في نظير عملهم في المزارع او الى اصحاب الالات في نظير اصطناعهم لهـــا هو شيء قليل بالنسبة للمقدار الجسيم العائد الى الملاك » (٣٣) .

فهو في هذا يرفض اعتبار الملكية او رأس المال القيمة في الانتاج، بل يطالب باعتبار العمل الاساس للقيمة ، وتوزيع انتاج الارض بناء عليه .

ومن دعاة هذا الاتجاه احمد فارس الشدياق (١٨٠٥–١٨٨٧) الذي تأثر بالاشتراكية المسيحية في انكلترا. فهو يقول في كتابه « الساق على الساق » الصادر عام ١٨٥٥ (٣٤): « واذا كان الناس عباد الله في ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحقيرة ، فلم لا يجري العدل بينهم كما يجري بين الاعضاء . فان الانسان اذا اكل شيئاً او لبس شيئاً فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله . ام يزعم المثرون اذا وسعوا على هؤلاء الضناك الصعاليك

---

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٩٣

(٣٤) ولد احمد فارس الشدياق بقرية عشقوت بلبنان من اسرة مارونية عام ١٨٠٥ ، اعتنق الاسلام ، وتنقل في اوروبا ، وعاش مدة طويلة في انكلترا . الف عـــدة كتب منها « الساق على الساق » و « كشف المخبأ عن فنون اوروبا » عام ١٨٥٢ ، و « الجاسوس على القاموس » عام ١٨٦٦ ، واصدر مجلة « الجوائب » في الاستانه عام ١٨٦٢ .

ويفشوا عنهم الكرب الذي يكابدونه من جهد المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحملونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بوراً ، فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعاً ... ام يحسبون ان الله تعالى انما خلق الفقراء لخدمتهم فقط ؟ لعمري ان حاجة الغني الى الفقير اشد من حاجة الفقير الى الغني » (٣٥) .

ويذهب الشدياق الى ان الفوارق الواسعة في الثروة تؤدي الى الحقد الطبقي والانحلال الخلقي ، وان الاستغلال الشديد مناف للدين وقوانين الطبيعة . ويعتقد ان حل مشكلة الفقر منوط بايقاظ ضمائر الاغنياء . وهنا يظهر تأثره بافكار الاشتراكيين المسيحيين في انكلترا .

وعالج عبد الرحمن الكواكبي مشكلة الغنى والفقر في المجتمع ، واقترح لها حلا في الاشتراكية الاسلامية (الاشتراك العمومي المنظم) . وطرح فكرته هذه في كتابه « ام القرى » اذ يقول : « لو عاش المسلمون مسلمين حقيقة لأمنوا الفقر وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنظم التي يتمنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن الافرنجي . وهم لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفينان ونيهلست وسويالست) كلها تطلب التساوي او التقارب في الحقوق والحالة المعيشية . ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلام ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات . ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب الفتور . كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة من « معرفة ميزانية ثروته سنوياً فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله » (٣٦) .

وقال ايضاً بملكية الامة للاراضي الزراعية « يستنبتها ويتمتع بخيراتها العاملون فيها فقط . ووضع قيوداً لحق التملك . وتناول

---

(٣٥) الشدياق ، احمد فارس : الساق على الساق ، ص ٥٩٢

(٣٦) الكواكبي ، عبد الرحمن : ام القرى ، ص ٥٣

التمـــول المشروع في كتابه « طبـــائع الاستبداد » فقـــال : « ثم ان التمول في الحـــاجـــات السالفـــة الذكر محمود بثلاثة شـــروط : الاول ان يكون احـــراز المـــال بوجه مشروع حلال . اي باحرازه من بذل الطبيعة او بالمعاوضة ، او في مقـــابل عمل او في مقـــابـــل ضمان . الشرط الثاني ان لا يكون في التمول تضييق على حاجـــات الغير كاحتكـــار الضروريات او مزاحمة الصناع والعمال والضعفاء او التغلب على المباحـــات مثل امتلاك الاراضي التي جعلهـــا خالقهـــا ممرحاً لكافة مخلوقـــاته . الشرط الثالث وهو ان لا يتجاوز المـــال قدر الحاجة، لان افراط الثروة مهلكة للاخلاق الحميدة في الانسان ، فانه (ليطغى ان رآه استغنى) ».

واوضح مساوىء الرأسمالية وعلاقتهـــا بالاستعمار بقولـــه :

« ان الشرائع السماوية كلهـــا ، وكذلك الحكمة السياسية والاخلاقية والعمرانية حرمت الربا بقصد التساوي والتقارب بين الناس في القوة المالية » . ثم يقول : « ان هذه الثروات يكنزها الافراد تمكن الاستبداد الداخلي فتجعل الناس صنفين : عبيداً واسياداً ، وتقوي الاستبداد الخارجي فتسهـــل التعدي على حرية واستقلال الامم الضعيفة مالاً وعدة . وان تحصيـــل الثروة في عهد الحكومة العادلة عسير جداً ، وقد لا يتأتى الا عن طريق المراباة مـــع الامم المنحطة او التجـــارة الكبيرة التي فيهـــا نوع احتكـــار او الاستعمـــار في البلاد البعيدة المخاطرات » (٣٧) .

واذا كان جمال الدين الافغاني قد هاجـــم الاشتراكيين الاوروبيين في كتابه « الرد على الدهريين » الذي نشره في الهند عام ١٨٨٠ ، فما ذلك الا لانه كـــان في موقف الدفاع عن الدين والايمـــان ، خاصة وقد اقترنت الدعوة الى الاشتراكية عند بعض المفكرين الاوروبيين بالالحاد . ولكنه ما لبث ان غير موقفه هذا في اواخر ايامه عندما

---

(٣٧) الكواكبي ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ، ص ٥٨-٦٠

املى خاطراته على محمد المخزومي ، فوجد في الاشتراكية دعوة صريحة الى العدالة الاجتماعية وتوقع لهـا الانتصار الحتمي . فقـال « وهكذا دعوى الاشتراكية ... وان قل نصراؤهـا اليوم ، فلا بد ان تسود في العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان انه واخاه من طين واحد او نسمة واحدة ، وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسعى للمجموع » (٣٨) .

ويوجه نقداً لاذعاً للاشتراكية الغربيـة باشكالهـا المختلفة ومدارسهـا المتعددة ، فيقول « الاشتراكية الغربية ما احدثهـا واوجدها الا حاسة الانتقـام من جور الحكام والاحكـام ، وعوامـل الحسد في العمـال من ارباب الثراء ، الذين انما اثروا من وراء كدهم وعملهـم ، وادخروا في الخزائن ، واستعملوا ثروتهـم في السفه ، وبذلوهـا في السرف والتبذير والترف على مرأى منتجهـا والفاعل العاقـل في استخراجهـا من بطون الارض ومن ترابهـا .

« افرط الغربيون الاغنيـاء ، بنبذ حقوق العمـال والفقراء وراء ظهورهم فافرط العمـال بمناهضة اهـل الثروة ، وغاصبي حقوق الامة ، بالمناصب ومسببـات الجـاه ، فلا قاعدة دينية يرجـع اليها ، ولا سلطاناً وازعاً يعمل بقهر لصالح المجموع . لذلك اصبح امرهم في الاشتراكية فوضى ، ولسوف ينعكس امرها » .

اما الاشتراكية الحقة التي تصورهـا الافغاني فهي الاشتراكية الاسلامية المستمدة من اصول الدين ومن اخلاق العرب الاولين . يقول في هذا الصدد : « امـا الاشتراكية في الاسلام ، فهي ملتحمة مع الدين الاسلامي ملتصقة في خلق اهله ، منذ كـانوا اهـل بداوة وجاهلية . اول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالاسلام هـم اكابر الخلفـاء من الصحابه ، واعظم المحرضين على العمـل بالاشتراكية

---

(٣٨) عمارة ، محمد : الاعمـال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، ص ٤٢٣

كذلك من اكابر الصحابة ايضــاً » (٣٩) .

وتقوم هذه الاشتراكية الاسلامية على اسس اخلاقية « اذ لا انانية ولا اثرة ، ولا استطالة على الفقر بخيول مطهمة يستأثر بهـــا ، ولا بطعام شهي يلتذ به مع لفيفه، ولا ببنـــاء شاهق يسكن فيه ...» (٤٠).

فالاشتراكية الاسلامية ، في نظر الافغاني هي الاشتراكية المعقولة « وكل اشتراكية تخالف في روحهـــا واساساتهـــا اشتراكية الاسلام ، التي سبق ذكرهـــا ، فلا تكون نتيجتهـــا الا ملحمـــة كبرى ، وسيل الدماء ولا سيل العرم من الابرياء ومن تخريب لبناء لا يشاد عليه شيء ينفع به احد من الخلق . نعم ... يستفيد من يلوك بلسانه كلمـــة الاشتراكية ، ويجعلهـــا احبولة صيد ، والحق ان يتبع » (٤١) .

وتنـــاول الشيخ علي اليوسف في صحيفـــة « المؤيد » المذاهب الاشتراكية في اوروبا وبيّن الفروق بينهـــا ، ناقداً الاسس التي قام عليهـــا كل مذهب ، وذلك باسلوب علمي وروح موضوعية » (٤٢) .

وفي مطلع القرن العشرين حذر نسيب ارسلان من اتساع الهوة بين الفقير والغني بقصيدة بعنوان « زفير الفقير » عـــام ١٩١٢ نقتطف منهـــا ما يلي . —

أفي الحق ان يشقى الفقير بعيشـــه ... وذو المال في شر الغواية يسرف
عليكم بكشف الضر عنهم فانما ... اخو الضر يمسي ضارباً حين يهجف
فلا ترهقوهم بالشقاوة والطوى ... فيبدر منهـــم بادر لا يكفـــف
فان لم ينالوا بالهوادة حقهـــم ... ينالوه يوماً والصوارم ترعـــف
لكم عبرة في الغرب من كل فتنة ... تهز الجبال الراسيات وتخسف (٤٣)

---

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٤١٤
(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٤١٥
(٤١) المصدر نفسه ، ص ٤٢٣
(٤٢) اليوسف ، علي : منتخبات المؤيد ، ص ٢٩٣ - ٣٠٠
(٤٣) المقدسي ، انيس الخوري : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، ص ٢٢٧

٤ ـ تحرير المرأة

ساهمت حملة نابليون على مصر في التعريف بوضع المرأة في اوروبا وفيما وصلت اليه من حرية واستقلال فرديين . يقول المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي ، الذي عاصر الحملة في كتابه « عجائب الاثار » في وصف احداث عام ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م :

« ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن من الحشمة والحياء ، وهو انه لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ، فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الاموال لهن .

« وكان ذلك التداخل اولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في اخفائه . فلما وقعت الفتنة الاخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيس بولاق ، وفتكوا في اهلها ، والبنات صرن مأسورات عندهم ، فزيوهن بزي نسائهم واجبروهن على طريقتهن في كامل الاحوال ، فخلع اكثرهن نقاب الحياء بالكلية ...

« ومنها انه لما اوفى النيل اذرعه ودخل الماء الى الخليج وجرت فيه السفن ، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهن لهم في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة ، وبصحبتهم الآت الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المجاذيف بسخيف موضوعاتهم وكثائف مطبوعاتهم » (٤٤) .

---

(٤٤) الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الاثار ، ج ٣ ، ص ١٦١-١٦١ .

وينسب الجبرتي هذا التبرج والسفور عند النساء المصريات الى الاختلاط بين المصريين والفرنسيين ويتحدث عن ذلك كله بامتعاض شديد .

غير ان الحملة الفرنسية لم تكن السبيل الوحيد الذي تعرف المصريون من خلاله على وضع المرأة الاوروبية ، فقد كان طلبة البعثات الذين اوفدهم محمد علي باشا الى اوروبا والخبراء الاجانب الذين استقدمهم للعمل في مصر ، سبيلا آخر . فهذا رفاعه الطهطاوي الذي اقام في فرنسا بين ١٨٢٦ – ١٨٣١ يعود الى مصر ويؤلف كتاب « تخليص الابريز » يتحدث عن وضع النساء في فرنسا ويمتدح تصرفاتهن بخلاف ما ذهب اليه عبد الرحمن الجبرتي . فهو يقول : « وحيث ان كثيراً ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطاء . وملخص ذلك ايضاً ان وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن او سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة ، والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين . وقد جرب في بلاد فرنسا ان العفة تستولي على قلوب النساء المنسوبات الى الرتبة الوسطى من الناس دون نساء الاعيان والرعاع . فنساء هاتين المرتبتين يقع عندهم الشبه كثيراً ويتهمون في الغالب » (٤٥) .

ولا شك ان افكار الطهطاوي تشكل تطوراً كبيراً بالنسبة لموقف الجبرتي الذي يعبر عن موقف غالبية المجتمع المصري في عصره . وتدل احاديث الطهطاوي عن المرأة الاوروبية على اهتمام الرأي العام المصري بحالة المرأة ووضعها في اوروبا ومدى ما تتمتع به من حرية ، واثر ذلك على اخلاقها وسلوكها .

وقد وصف الطهطاوي في كتابه السالف الذكر وضع النساء في فرنسا ومختلف انواع النشاطات التي تمارسها المرأة من بيع وشراء واعمال

---

(٤٥) الطهطاوي ، رفاعه : تخليص الابريز ، الاعمال الكاملة ، ص ٢٥٨

يدوية وادارية . وتحدث بشيء من الاحترام عن الاختلاط بين الجنسين في فرنسا سواء في العمل او في اماكن اللهو من مراقص ومقاهي . يقول في هذا الصدد: « ان للنساء تآليف عظيمة. ومنهن مترجمات للكتب من لغة الى اخرى، مع حسن العبارات وجودتها. ومنهن من يتمثل بانشائها ومراسلاتهـــا المستغربة . ومن هنا يظهر لك ان قول بعض ارباب الامثال : جمـــال المرء عقله وجمـــال المرأة لسانهـــا ، لا يليق بتلك البلاد » (٤٦) .

ودعا الى تعليم المرأة في مصر . وكـــان عضواً في لجنة تنظيم التعليم التي تشكلت عام ١٨٣٦ ، واقترحت تعليم البنات. وأكد في كتابه « المرشد الامين لتعليم البنات والبنين » الفوائد الجمة التي يجنيهـــا المجتمع من تعليم المرأة فيقول: « ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الازواج، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك، فان هذا مما يزيدهن ادباً وعقلاً، ويجعلهن بالمعارف اهلا، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي ، فيعظمهن في قلوبهم ويعظم مقامهن . . . وليمكن المرأة عند اقتضاء الحـــال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتهـــا وطاقتهـــا . فكل مـــا يطيقه النساء من العمـــل يباشرنه بانفسهن . وهذا من شأنه ان يشغل النساء عن البطالة ، فان فراغ ايديهن عن العمل يشغل السنتهن الاباطيل . . فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربهـــا من الفضيلة » (٤٧) .

ورغم هذه الدعوة الصريحة الى تعليم المرأة ، لم تنشأ اول مدرسة لتعليم البنات في مصر الا عام ١٨٧٣ م.

ويعقد الطهطاوي مقارنة بين الرقص الغربي والرقص الشرقي فيقول : « وقد قلنا ان الرقص عندهم فن من الفنون . . . ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من اللياقة والشلبنة ، لا من الفسق .

---

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .
(٤٧) الطهطاوي ، رفاعه : المرشد الامين للبنات والبنين ، الاعمال الكاملة ، ص ٣٩٣

فلذلك كـــان دائماً خارجـــاً عن قوانين الحيـــاء ، بخلاف الرقص في ارض مصر ، فانه من خصوصيات النساء لانه لتهييج الشهوات . واما في باريس فانه نمط مخصوص لا يشم منه العهر ابداً . وكـــل انسان يغرم بأمرأة يرقص معهـــا . فاذا فرغ الرقص عزمهـــا آخر للرقصة الثانية وهكذا وسواء كـــان يعرفهـــا اولا . وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن . . » (٤٨). فهو اذن يستنكر الرقص الشرقي بينما يرفع الرقص الغربي الى مستوى الرياضة والفن الجميل ويؤكد مرة اخرى احترام المجتمع الاوروبي للمرأة .

وظهر بعد الطهطاوي مفكرون جدد دعوا الى تحرير المرأة العربية من الجهـــل . وكان احمد فارس الشدياق احدهم . فألف كتابـــاً في هذا الموضوع هو « الساق على الساق » الذي صدر عام ١٨٥٥ م . وقال في دعوته الى تعليم المرأة : «فاما تعليم نساء بلادنا القراءة والكتابة فعندي انه محمدة بشرط استعماله على شروطه . وهو مطالعة الكتب التي تهذب الاخلاق وتحسن الاملاء . فان المرأة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكايد واختراع الحيل كما سيأتي ذكر ذلك » (٤٩). وكانت دعوته بمثابة ثورة في مجتمع لا يعترف للمرأة بحق التعليم وغيره من الحقوق الانسانية والمدنية .

وكما فعل الطهطاوي ، من قبل ، تحدث الشدياق في كتابه « كشف المخبأ عن فنون اوروبا » عن وضع المرأة في فرنسا وبريطانيا وقارن بين النساء البريطانيات والنساء الفرنسيات ، وعن موقف الرجـــل من المرأة في اوروبا بشكل عام .

اما عبد الرحمن الكواكبي، داعية الحرية المشهور، فقد تحدث عن المرأة ودورها في التربية والمجتمع ، ودعا الى تحريرها من الجهل فهو يقول في كتابه « ام القرى » : « ان لانحلال اخلاقنا سبباً مهماً آخر ايضاً يتعلق

---

(٤٨) الطهطاوي ، رفاعه : تخليص الابريز ، الاعمال الكاملة ، ص ١٢٢

(٤٩) الشدياق ، احمد فارس : الساق على الساق ، ص ١٢٦

بالنساء فهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا ، حيث كان يوجد في نسائنا كأم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — التي اخذنا عنها نصف علوم نبينا ، وكثيرات الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلاً عن الوف من العاملات والشاعرات اللآتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار حجة دامغة ترغم انف الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعفتهن . . » (٥٠)

واتخذت الدعوة الى تحرير المرأة اتجاهاً يرى ان لا فرق بينها وبين الرجل في التكوين الفسيولوجي والقدرة العقلية . ويعتمد اصحاب هذا الاتجاه على ابحاث البيولوجيا (علم الاحياء) والانثروبولوجيا (علم الانسان) التي احرزت تقدماً ملموساً في القرن التاسع عشر . يقول سليم البستاني في هذا الصدد : « والعقل واحد في الذكور والاناث ولا اهمية لثبوت التفاوت الجنسي في قوته في النسبة العقلية بين الجنسين كما انه لا اهمية لتفاوت القوة العقلية في جنس واحد لان الكليات تعتبر الكل وتصرف النظر عن البعض ... وقد يفوق بعض الاناث بعض الذكور عقلاً وقوة » (٥١) .

وذهب آخرون الى مخالفة هذا الاتجاه واعتبار المرأة دون الرجل عقلا ومقدرة ، ومنهم الدكتور شبلي شميل الذي اعتمد بدوره على ابحاث علمي الحيوان والانسان . فهو يقول : « ذهبت طائفة من اهل النظر الى أن المرأة مساوية للرجل في العقل . وفي اعتقادنا ان المبحث طبيعي محض ، اعني انه من مباحث علم الحيوان المعروف بالزوولوجيا او بالحرى من مباحث علم الانسان الذي هو فرع منه والمعروف بالانثروبولوجيا ، ولا يصح ان ينظر اليه من غير هذا الوجه او يقطع فيه حكم بدونه » .

وبعد ان اتى على آراء علماء الحيوان والانثروبولوجيا في بيان الفروق

---

(٥٠) الكواكبي ، عبد الرحمن ، ام القرى ، ص ١٥٧

(٥١) المقتطف ، م ٧ ، ج ١٢ ، تموز ١٨٨٣ ، ص ٧٠٩—٧١٢ .

الفسيولوجية بين الذكر والانثى من الحيوانات الراقية اجمـــل الاختلافات السيكولـــوجية بين الرجـــل والمرأة . وخلص الى القـــول التالي : « وقد اتفقت جميـــع الشرائـــع على ان تعـــامل المرأة معاملة القاصـــر المحتاج الى وصي . وسببه ما بهـــا من الخفة والطيش . وامـــا زعماء المساواة فيدعون ان هذه الشرائع قد منحت المرأة للرجـــل لان الذين سنوهـــا انما هم الرجـــال . ووصف علماء الاخلاق المرأة بأنهـــا لاهية متقلبة مفرطة اكثر من الرجـــل . . . » (٥٢) .

وتوصل يوسف شلحت ، من اتباع هذا الاتجاه ، الى ان حقوق المرأة تختلف في طبيعتهـــا عن حقوق الرجـــل واستند في ذلك الى ما اسماه ، المبادىء البدهية ، التالية :

أولاً — ان الحقوق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالواجبـــات بحيث لا يوجد حق بدون واجب ، ولا يفرض واجب بدون حق . . . وهذه حقيقة اولية تتوقف عليهـــا ميزانية الهيئة الاجتماعية . وهي اساس الاتفاق القريب الذي نشاهده في العلائق البشرية بين الزوج وزوجته والوالد وولده والحاكم ومحكومه .

ثانياً — لا يسلـــم بحق لاحد الافراد مـــا لم يكن له مقدرة على القيام بالواجبات التي يفرضهـــا عليه ذلك الحق .

ثالثاً — كل غاية تنحوها الطبيعة في مظاهرها والانسان في اعماله تفرض وجود وسائط كافية للوصول الى هذه الغاية .

رابعاً — تقوم الهيئة الاجتماعية بثلاث الفات هي : الالفة الزوجية والالفة والالفة العائلية والالفة المدنية . واساس هذه الالفات الثلاث الالفة الزوجية التي هي بمقام المادة الاولى للهيئة الاجتماعية . ولكل الفة من هذه الالفات غاية مقررة يسعى الافراد اليهـــا بطلب حقوقهم والقيام بواجباتهم .

خامساً — لا تتمكن اية الفة من هذه الالفات الثلاث من البلوغ الى الغاية

---

(٥٢) المقتطف ، م ١١ ، ج ٦ ، آذار ١٨٨٧ ، ص ٣٥٥ — ٣٦٠ .

المقصودة مـــا لم يكن بين الافراد الذين يؤلفونهـــا القائد والمقود والآمر والمأمور والرئيس والمرؤوس . وبهذه الحقيقة يقوم كنه السلطة التي هي الضابط الاول للهيئة الاجتماعية والروح الباثة والمحركة في اعضائهـــا .

فاذا تقدم ذلك اقول اننا اذا اعتبرنا النساء في اية الفة من هذه الالفات الثلاث ان حقوقهن هي غير حقوق الرجال كما ان واجباتهن هي خلاف واجبات الرجـــال» . (٥٣)

ولكن ، سواء قبل مفكرو العرب في القرن التاسع عشر المساواة بين الرجل والمرأة ام لم يقبلوا ، فقد اتفقوا على ضرورة تعليم المرأة وتربيتهـــا تربية علمية صحيحة ، معتبرين جهلهـــا سبباً رئيسياً من اسباب تخلف مجتمعهـــم .

يقول سليم البستاني : « والوطن بأهله والنساء نصفهم . فلا تستقيم اموره ولا تنتظم احواله ولا يبلغ الدرجة القصوى من المدنية ما لم يحصل هذا النصف على الكمال المدني. والتمدن عبارة عن انتظام اعمال العقل والجسم والمنزل ، وانتظامهـــا يتوقف على النســـاء . . . فان النساء اساس البناء التمدني ، ولا يشاد في امة الا على هذا الاساس . . . والشعب الذي يحاول ذكوره التقدم دون النساء كالرجـــل الذي يحاول السفر ماشيا برجل واحدة » . (٥٤)

ورأت السيدة مريم جرجي اليان ان تربية المرأة امر ضروري لتقدم النوع الانساني واوردت الاسباب التالية التي تقتضي تعليمهـــا :

أولا — بما ان المرأة مساوية للرجـــل في النظرة البشرية وهي المخلوقة التي جعلها الله وسيلة لعمران العالم وحفظ اسباب وجوده بلا امتياز بينها وبين الرجل وجب اذاً ان تأخذ حق ما يأخذه الرجل من العلوم وتستنير بما يستنير به من المعارف .

---

(٥٣) المقتطف ، م ٨–ج ١ ، ص ٧

(٥٤) المقتطف ، م ٨ ، ج ١ ، حزيران ١٨٨٣ ، ص ٩

ثانياً – ايضر الناس ان يرى الرجـل امرأته كاملة الصفات رقيقة الجانب عفيفة الاخلاق مروضة بالعلوم ولآداب . . . ؟

ثالثاً – لا ينكر احد ان المرأه هي التي يعهد اليهـا تربية البنين وهي التي يلقى على عاتقهـا ثقل تهذيب الاولاد . فان كانت مزينة بالعلوم نراها تغذي اولادهـا بلبن الارشاد وتنمي فيهـم الآداب . . .

رابعاً – من المعلوم ان ادارة البيت قلّما يعرف بهـا الرجـل فهي مختصة بالنساء من حيث التدبير والترتيب وما يختص بالجسم وترويضة من المآكل والمشارب والغسل والراحة . » (٥٥) .

وقـال اسعد داغر في دعوتـه الى تربية المرأة وتعليمهـا : « وعندي ان المرأة الشرقيـة كاللغة العربية في حاجة شديدة الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كل منهما علينا نحن الرجال . وقبلما نحاول رفع الحجاب عن وجه المرأة الشرقية علينا ان نرفعه عن هذه الحقيقة المهمة ونعترف باننا نحن مقصرون في ترقية فتاة الشرق . ونكف عن لومها وتحقيرها من جهة وعن تملقها ومداهنتها من جهة أخرى . ونصرح لها على رؤوس الاشهاد اننا نفضّل علمها وتهذيبها وأدبهـا وكمالها على زينتها وحلاها ومالها وجمالها » (٥٦) .

وحصر مفكرو القرن التاسع عشر واجبات المرأة بالشؤون المنزلية ، ولم يتجاوزوها الى الحياة العامة . فها هي السيدة مريانا ماريا تحدد واجبات المرأة بما يلي :

١ – واجبات الابنة نحو والديها إكرام الوالدين وطاعتهما .
٢ – واجبات الابنة نحو نفسها الجد والكد في الدرس والتعليم .
٣ – واجبات الزوجة نحو زوجها مشاركته في أفراحه وأتراحه وتدبير منزلها .

(٥٥) المقتطف ، م ٢٧ ، ج ٥ ، مايو ١٩٠٢ ، ص ٤٣٧ .
(٥٦) المقتطف ، م ٢٧ ، ج ٥ ، مايو ١٩٠٢ ، ص ٤٤٧

٤ ـ واجبات المرأة نحو أولادها الشفقة والتربية السليمة لهم .
٥ ـ ترويض عقلها بالعلوم وتذوقها للفنون من أجل امتاع الناس بأحاديثها .
٦ ـ واجبات المرأة نحو بيتها الترتيب والنظافة (٥٧) .

ولم تبرز الدعوة الى مشاركة المرأة للرجل في الأعمال والشؤون العامة الا في مطلع القرن العشرين . وكان رائد هذه الدعوة قاسم أمين (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨) الذي لقّب بحق « بمحرر المرأة » . وكان تلميذاً للشيخ محمد عبده ، آمن بضرورة تحرير الفكر الديني عند المسلمين . وأدرك انحطاط المجتمع الاسلامي ، وبحث في أسباب هذا الانحطاط . فلم يجد في البيئة او في الدين الاسلامي شيئاً من هذه الأسباب . وانما اعتبر اختفاء الفضائل الاجتماعية والقيم الأخلاقية السبب الحقيقي للانحطاط والتدهور . وأرجع ذلك كله الى الجهل بالعلوم ، الجهل الذي يبدأ بالأسرة وبعلاقات الرجل بالمرأة والمرأة بالطفل . وقد ألّف كتابين في هذا الموضوع هما « تحرير المرأة » وصدر عام ١٨٩٩ و« المرأة الجديدة » وصدر عام ١٩٠٠ .

تناول في الكتاب الاول موضوع المساواة بين المرأة والرجل ، وأتى بالأدلة من النصوص الدينية الاسلامية على هذه المساواة . وأرجع أمر اضطهاد المرأة الى الاستبداد السياسي في المجتمعات فقال : « اذا غلب الاستبداد على أمة لم يقف أثره في الأنفس عندما هو في نفس الحاكم الأعلى ولكنه يتصل منه بمن حوله ومنهم الى من دونهم . وينفث روحه في كل قوى بالنسبة لكل ضعيف متى مكنته القوة من التحكم فيه . ويسري ذلك في النفوس رضي الحاكم الأعلى أو لم يرض . وكان من أثر هذه الحكومات الاستبدادية ان الرجل في قوته أخذ يحتقر المرأة في ضعفها . وقد يكون من أسباب ذلك ان اول

---

(٥٧) المقتطف ، م ٨ ، ج ٩ ، يونيو ١٨٨٤ ، ص ٥٤٨ ـ ٥٥٠

أثر يظهر في الأمة المحكومة بالاستبداد هو فساد الأخلاق » (٥٨) .

وقد أورد الحالات التي يظهر فيها الرجل المصري احتقاره للمرأة حتى أصبحت عادات مألوفة ، فقال : « من احتقار الرجل للمرأة ان يملأ بيته بجوار بيض أو سود او بزوجات متعددة .. من احتقار المرأة ان يطلّق الرجل زوجته بلا سبب . ان يقعد الرجل على مائدة الطعام وحده ثم تجتمع النساء من أم وأخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه . من احتقار المرأة ان يعين لها محافظاً على عرضها مثل آغا ، او مقدم او خادم يراقبها ويصحبها اينما تتوجه . من احتقار المرأة ان يسجنها في منزل ويفتخر بأنها لا تخرج منه الا محمولة على النعش الى القبر ، من احتقار المرأة ان يحال بينها وبين الحياة العامة والعمل في أي شيء يتعلق بها . فليس لها رأي في الأعمال ولا فكر في المشارب ولا ذوق في الفنون ولا قدم في المنافع العامة ولا مقام في الاعتقادات الدينية وليس لها فضيلة وطنية ولا شعور ملّي » (٥٩) .

ثم يوجه نقداً لاذعاً للرجال بقوله : « هل صنعنا شيئاً لتحسين حال المرأة ؟ هل قمنا بما فرضه علينا العقل والشرع من تربية نفسها وتهذيب أخلاقها وتثقيف عقلها ؟ أيجوز ان نترك نساءنا في حالة لا تمتاز عن حالة الانعام ؟ أيصح ان يعيش النصف من أمتنا في ظلمات الجهل بعضها فوق بعض لا يعرفن فيها شيئاً مما يمر حولهن كما في الكتاب صم بكم عمي فهم لا يفقهون ؟ اليس بينهن أمهاتنا وبناتنا وأخواتنا وزوجاتنا وهن زينة حياتنا الدنيا والجزء الذي لا يمكن فصله منا ، دمنا من دمهن ولحمنا من لحمهن ؟ » (٦٠).

وتناول موضوع حجاب المرأة . وأكّد انه دخيل على الاسلام . وجاء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبيح سفور المرأة والتخلص

---

(٥٨) امين ، قاسم ، تحرير المرأة ، ص ١٢
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ١٣-١٤
(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٤٧

من الحجـاب . وقـال في هـذا الصدد : « انا نطلب تخفيـف الحجـاب ورده الى أحكـام الشريعة الاسلاميـة ، لا لاننا نميل الى تقليد الأمـم الغربية في جميـع أطوارهـا وعوائدهـا لمجرد التقليد أو التعلق بالجديد لأنه جديد . فاننا نتمسك بعوائدنا الاسلامية ونحترمها ونرى انها مزاج الأمة تتماسك به أعضاؤها » (٦١) .

« المرأة لا تكون خلقاً كاملاً الا اذا أتمت تربيتها الجسمية والعقلية . اما تربيتها الجسمية فلأنها لازمة لها في استكمال صحتها وحفظ جمالها . فيجب أن تربى كما يجب ان يربى الرجال على تمرين الجسم بالحركة والرياضة لأن الجسم الضعيف لا يسكنه الا عقل ضعيف . ولان ما يكثر عروضه للنساء من الاضطرابات العصبية والمخية انما هو ناشىء عن عدم انتظام وظائف أعضاء الجسم » (٦٢) .

وعالج موضوع تعدد الزوجات ، واعتبره نتيجة لانتشار الرق ، وبيّن مساوئه ، فقال : « وبديهي ان في تعدّد الزوجات احتقاراً شديداً للمرأة لانك لا تجد امرأة ترضى ان يشاركهـا في زوجهـا امرأة أخرى. كما انك لا تجد رجلاً يقبل ان يشاركه غيره في محبة امرأته . وهذا النوع من حب الاختصاص طبيعي للمرأة ، كما انه طبيعي للرجـل » (٦٣) .

وحث المرأة على العمل ، مستنداً الى الآيات القرآنية والسنـة النبوية ، وسير الصحابة . والحقيقة انه حاول في كتابه هذا ان يوفق بين ما جاء في الاسلام بشأن المرأة وبين حاجات العصر والتطـور الاجتماعي .

أما في كتابه الثاني « المرأة الجديدة » فقد اعتمد قاسم أمين المنهج العلمي الحديث . فناقش العديد من المعتقدات والمسلمات الشائعة عند المسلمين عن المرأة مثل الزعم بانها مخلوق ناقص العقل والتفكير ضعيف

---

(٦١) المصدر السابق ، ص ٧٠
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٩-١١٠
(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٩

العزيمة والقدرة على مقاومة الشهوات ، فقال : « ان الفسيولوجيا الحديثة أثبتت ان المرأة مساوية للرجل في مواهبه وقدراته » (٦٤). ورجع الى مبادىء علم النفس ليدلل بأن « سجن المرأة في المنزل والتضييق عليها يعرضها الى ضعف الأعصاب » (٦٥) . واعتبر حرية المرأة مصدراً للخير ، بالرغم مما قد يعترض ذلك من متاعب فقال: «عاشت الامة المصرية اجيالاً في الاستعباد السياسي، فكانت النتيجة انحطاطاً عاماً في جميع مظاهر حياتها ، انحطاطاً في العقول وانحطاطاً في الاخلاق وانحطاطاً في الاعمال . وما زالت تهبط من درجة الى اسفل حتى انتهى بها الحال الى ان تكون جسماً ضعيفاً عليلاً ساكناً يعيش عيشة النبات اكثر من عيشة الحيوان . فلما تخلصت من الاستعباد رأت نفسها في اول الامر في حيرة لا تدري معها ماذا تصنع بحريتها الجديدة . وهكذا يكون الحال بالنسبة لحرية النساء . اول جيل تظهر فيه حرية المرأة تكثر الشكوى منها ويظن الناس ان بلاء عظيماً قد حل بهم ، لان المرأة تكون في دور التمرين على الحرية . ومع مرور الزمن تتعود المرأة على استعمال حريتها وتشعر بواجباتها شيئاً فشيئاً ، وترتقي ملكاتها العقلية والادبية . وكلما ظهر عيب في اخلاقها يداوى بالتربية حتى تصير انساناً شاعراً بنفسه » (٦٦) .

والحرية التي ارادها قاسم امين للمرأة هي « استقلال الانسان في فكرة وارادته وعمله » . فهو يقول . —

« ليس مرادنا ان نقول ان المرأة اليوم تباع وتشترى في الاسواق ، ولكن ليس الرقيق هو الانسان الذي يباح الاتجار به فقط ، بل الوجدان السليم يقضي بأن كل من لم يملك قياد فكره وارادته وعمله ملكاً

(٦٤) امين ، قاسم ، المراة الجديدة ، ص ٤٧-٤٨
(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٥٤
(٦٦) المصدر السابق ، ص ٧٠-٧٢

تاماً فهو رقيق » (٦٧) .

ويقول ايضاً: « يجب ان تربي المرأة ان تكون لنفسها اولاً ــ لا ان تكون متاعاً لرجل ربما لا يتفق لها ان تقترن به مدة حياتها. يجب ان تربى المرأة على ان تدخل في المجتمع الانساني ، وهي ذات كاملة لا مادة يشكلها الرجل كيف ما شاء. يجب ان تربى المرأة على ان تجد اسباب سعادتها وشقائها في نفسها لا في غيرها » (٦٨) .

احدثت آراء قاسم امين صدى واسعاً في اوساط مفكري عصره ، فمنهم من رحب بها واثنى عليها ، ومنهم من تصدى لها ورد عليها بعنف . فقد الف عبد المجيد خيري كتاب « الدفع المتين » عام ١٨٩٩ رداً على كتاب « تحرير المرأة » (٦٩) ، والف محمد طلعت حرب كتاب « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » رد فيه على كتاب « المرأة الجديدة » (٧٠) ومنع كتابا قاسم امين من دخول البلاد العثمانية (٧١). وتولت مجلات « الاتحاد العثماني » و « الهداية » و « الحقائق الرد على انصار تحرير المرأة .

وكان جميل صدقي الزهاوي من دعاة تحرير المرأة ، ونبذ الحجاب ، فقد بعث الى جريدة « المؤيد » المصرية مقالة بعنوان « دفاعاً عن المرأة » في ١ــ٧ــ١٩١٠ ، استعرض فيها دور المرأة كأم وحقوقها التي نص عليها الاسلام ، وهاجم تسلط الرجل على المرأة وارجعه الى كون الطلاق بيد الرجل والى ان ما يرثه يعادل مثلي ما ترثه المرأة ، والى حقه في الزواج من اربع نساء ، والى عادة الحجاب . وطالب الزهاوي برفع الحجاب عن المرأة في مقالة ثانية بعنوان « مساوىء

---

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ٣١

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ١٠٧-١٠٨

(٦٩) المقتطف ، م ٢٣ ، ج ١١ ، نوفمبر ١٨٩٩ ، ص ٨٥٥

(٧٠) المقتطف ، م ٢٦ ، اوت ١٩٠١ ، ص ٧٥٥

(٧١) الحقائق م ١ ، ج ٤ ، ٣-١١-١٩١٠ ، ص ١٤١

الحجاب » (٧٢) . ورد محمد سعيد النقشبندي المدرس في مسجد الامام الاعظم في بغداد على مقالتي الزهاوي بكتيب طبعته صحيفة الزهور البغدادية بعنوان « السيف البارق في عنق المارق » في ١٣-١١-١٩١٠ (١١ ذي القعدة ١٣٢٨ هـ) (٧٣) . اما رد الحكومة العثمانية على مقالتي الزهاوي فكان فصله من التدريس في مدرسة الحقوق ببغداد (٧٤) . ولم يعد الى التدريس الا بعد ان تنصل من مسؤولية كتابة المقالتين علناً .

في حمأة هذه المعركة التي امتدت من الرافدين الى النيل اقبلت المثقفات على الكتابة في الصحف والمجلات دفاعاً عن حرية المرأة وحقها في التعليم والعمل . وصدرت اول مجلة نسائية في مصر عام ١٨٩٢ ، وهي مجلة « الفتاة » لصاحبتها هند نسيم نوفل . وكانت قاصرة على المرأة . ولم تفتح صفحاتها الا لاقلام النساء . فقد جاء في افتتاحية العدد الاول « لم تنشأ (المجلة) الا لتكون مرآة تجلو محاسن الحسناء، وتظهر جمال الغيداء . وتزين صفحاتها بما يصل اليها من درر اقلام الفاضلات ونفائس افكار الاديبات في المواضيع العلمية والفصول التاريخية والمناظرات الادبية والشذرات الفكاهية . فان مبدأها الوحيد الدفاع عن الحق المسلوب والاستلفات الى الواجب المطلوب » (٧٥) .

وفي بيروت صدرت مجلة « انيسة الجليس » في مطلع عام ١٨٩٨ لصاحبتها الكسندرا ملتيادي ، فكانت اول مجلة نسائية صدرت في بلاد الشام (٧٦) .

واخذت المجلات النسائية تصدر تباعاً في مصر وبلاد الشام واهمها ما يلي :

- « العائلة » لصاحبتها استير زهيري ، صدرت في القاهرة عام

---

(٧٢) Revue du Monde Musulman, 4e année, Nov. 1910, pp. 468-450

(٧٣) Cf. 5e année, Fev. 1911. p. 365

(٧٤) الحقائق ، دمشق ، م ١ ، ج ٤ ، ٣-١١-١٩١٠ ، ص ١٤٢

(٧٥) المقتطف ، م ١٧ ، ج ٣ ديسمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٠٩-٢١٠

(٧٦) المقتطف ، م ٢٢ ، ج ٤ ، ابريل ١٨٩٨ ، ص ٣٠٥ .

١٨٩٩ (٧٧) .

ـ « المرأة » لصاحبتها انيسة عطاالله ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠١ (٧٨).

ـ « المرأة في الاسلام » لصاحبها ابراهيم رمزي ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠١ (٧٩) .

ـ « شجرة الدر » لصاحبتها سعدية سعد الدين ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠١ . (٨٠)

ـ « فتاة الشرق » لصاحبتها لبيبة هاشم ، وهي مجلة نصف شهرية ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠٦ (٨١) .

ـ « الريحانة » لصاحبتها جميلة حافظ ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠٧ (٨٢) .

ـ « الجنس اللطيف » لصاحبتها ملكه سعد ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠٨ (٨٣) .

ـ « الحسناء » لصاحبها جرجي نقولا باز ، صدرت في القاهرة عام ١٩٠٩ (٨٤) .

ـ « العروس » لصاحبتها ماري عجمي وهي اول مجلة نسائية صدرت في دمشق عام ١٩١١ (٨٥) .

ـ « « العفاف » لصاحبها سليمان احمد مهران السليمي ، صدرت في

---

(٧٧) المقتطف ، م ٢٣ ، ج ٨ ، أوت ١٨٩٩ ، ص ٦٢٣

(٧٨) الضياء ، السنة ٤ ، ج ٣ ، ٥-١٠-١٩٠١ ، ص ٧٩

(٧٩) المقتطف ، م ٢٦ ، ج ٤ ، ابريل ١٩٠١ ، ص ٣٧٢

(٨٠) المقتطف ، م ٢٦ ، ج ٨ ، أوت ١٩٠١ ، ص ٧٥٣

(٨١) المقتطف ، م ٣١ ، ج ١١ ، نوفمبر ١٩٠٦ ، ص ٩٢٦ ، Revue du Monde Musulman, 1ère année, No. 3, p. 439

(٨٢) المقتطف ، م ٣٢ ، ج ٥ ، مايو ٧-١٩ ، ص ٤٢١

(٨٣) المقتطف ، م ٣٣ ، ج ١١ ، نوفمبر ١٩٠٨ ، ص ٩٧٤

(٨٤) المقتطف ، م ٣٧ ، ج ٢ ، يوليو ١٩١٠ ، ص ٧٠١

(٨٥) المقتطف ، ، ج ٢ ، فبراير ١٩١١ ، ص ١٩٠ ، النعمة ، السنة ٢ ، ج ٣ ، دمشق شباط ١٩١١ ، ص ٥٧٣ .

القاهرة عـــام ١٩١١ (٨٦) .
- « فتاة النيل » لصاحبتها السيدة سارة الميهية ، صدرت في القاهرة عام ١٩١٤ .
- « فتاة لبنان » لصاحبتهـــا السيدة سليمة ابي راشد ، صدرت في بيروت عام ١٩١٤ (٨٧) .

اما على مستوى التعليم ، فقد سبقت بلاد الشام مصر في تعليم المرأة . وافتتحت اول مدرسة للبنات ، باشراف عقيلة القس طمسن (Thomson) وعقيلـــة القس ضودج Dodge المرسلين الامريكيين ، في بيروت عام ١٨٢٦ . وكان عدد التلميذات عند افتتاح المدرسة ست بنات . وافتتحت عقيلة القس ضودج اول مدرسة لبنات الطائفة الدرزية في عاليه–لبنان عام ١٨٣٤ .ورغم ذلك لم يزد عدد التلميذات في بـــلاد الشام كلهـــا عن اربعين فتاة عام ١٨٣٦ . ولم يكن بينهن فتاة مسلمة .

وازداد الاقبال على تعليم البنات في بيروت ، فبلغ عددهن ٢٥ بنتاً عام ١٨٤١ ، اي عند خروج جيوش ابراهيم باشا من البلاد . وبعد ذلك بخمسة اعوام بلغ عدد البنات في مدارس الشام ١٤٤ بنتاً .

وكثر انشاء مدارس البنات في بلاد الشام بعد فتنة عـــام ١٨٦٠ واقبلت المسلمات على الدراسة في المعاهد الجديدة ، واشهرها المدرسة الاسلامية العثمانية الوطنية . وتأسست مدرسة البنات العالية ببيروت باشراف الدكتور ده فورست الامريكي عـــام ١٨٦٢ . وانشئت مدرسة للتمريض تابعة للكلية السورية في بيروت عـــام ١٩٠٨ . وقد تخرج منهـــا عام ١٩١١ تسع ممرضات (٨٨) .

اما في مصر فقد انشئت اول مدرسة رسمية لتعليـــم البنـــات

---

(٨٦) المقتطف ، م ٣٨ ، ج ٢ ، فبراير ١٩١١ ، ص ١٩٣

(٨٧) الهلال ، السنة ٢٢ ، ج ٦ ، آذار ١٩١٤ ، ص ٤٨٠

(٨٨) بارودي ، اسكندر : تعليم المرأة عندنا ، الكلية ، السنة الثالثة ، العدد ٨ ، حزيران ١٩١٢ ، ص ٢٣٣–٢٤٠

فيهـــا عام ١٨٧٣ . واقبل المصريون على تعليم بناتهم بعد ذلك ، حتى بلغ مجموع عدد تلميذات المدارس المصرية ٣٠٣٠٦ تلميذة ، عـــام عـــام ١٩٠٧ . ويعادل هذا الرقم ٥ر٠ بالمئة من مجموع سكـــان مصر (١١١٧٥٠٠٠ نسمه) يضاف الى ذلك التلميذات الاجنبيـــات البالـــغ تعدادهن في ذلك العـــام ٨٥٤٥ تلميذه من اليونان والطليان والانكليز والفرنسيين والنمسويين والالمان المقيمين في مصر (٨٩) .

وخلاصة القول ان الدعوة الى تحرير المرأة العربية قد حققت اغراضها. فبعد الحرب العالمية الاولى اخذ الحجاب ينحسر تدريجياً ، واخذت المرأة العربية تشارك الرجـــل في كثير من الاعمال . وزاد الاقبال على تعليم البنات ، وخفّت حدة خصوم هذه الدعوة الذين ظلوا يتباكون على الفضيلة والاخلاق كلما احرزت المرأة مزيداً من الحرية والتقدم .

---

(٨٩) المقتطف ، م ٣٤ ، ج ٤ ، نيسان ١٩٠٩ ، ص ٣٤٠

الفصل الرابع

الاتجاهات العلمية

« أما قصورنا في المعرفة فهو في اقتصارنا على العلوم اللغوية والمعارف الدينية في نقص طرق التحصيل ... فهذه العلوم وحدها لا تغنينا في جيلنا فتيلاً ، ولا نباع بها شروى نقير ، فهذا عصر العلوم الطبيعية والرياضية ، أسس الصناعة والزراعة والتجارة والاكتشافات . فما يمنعنا ، يا أبناء الشرق ، اتخاذ هذه الفنون اليوم من الغربيين ؟ » .
(متري قندلفت : المقتطف ، ج ١١ ، ت٢ ١٨٧٩ ، ص ٣٠٤) .

شهد القرن التاسع عشر تقدماً في العلوم وتوسعاً في المخترعات لم تشهد لهما البشرية مثيلاً في القرون الماضية . فقد تمكن الانسان من اكتشاف قوة البخار واستعمالها ، فسيّر بها القاطرات الحديدية والسفن . واكتشف الكهرباء فتوصل الى اختراع التلغراف والتلفون والنور الكهربائي . واستنبط طرقاً وادوات واجهزة لقياس الحرارة وسرعة النور وتحليل المواد الكيماوية والتصوير الفوتوغرافي وتحليل الطيف الشمسي . واثبت دوران الارض بالتجربة . واكتشف كريات الدم ووظائفها . واستعمل المضادات في العمليات الجراحية . وتقدم العلماء بنظريات عديدة في مختلف الميادين العلمية كان لها صدى واسع في اوساط المثقفين والمفكرين ورجال الدين .

تعرف العرب على هذه المنجزات العلمية من خلال اتصالهم باوروبا ، فوقفوا منها موقف المشدوه ، في بداية الامر ، ثم ما لبثوا ان استوعبوها بعد تأسيس المدارس العصرية في مدنهم على يد محمد علي باشا في مصر اولا ، ثم على ايدي الارساليات التبشيرية المسيحية في آسيا العربية فيما بعد .

وكانت حملة نابليون على مصر بداية اطلاع العرب على منجزات اوروبا العلمية ومخترعاتها الحديثة . فقد اصطحب نابليون عدداً من العلماء في مختلف الميادين والاختصاصات . وأذهلت تجاربهم مؤرخ العصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، الذي وصف العديد منها في كتابه المشهور « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » . ولم يخف دهشته واعجابه بها . قال يصف مختبراً كيماوياً أنشأه الفرنسيون في القاهرة : « ... وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين وصنّاع الدقائق . وسكن الحكيم رويا بيت ذي الفقار كتخدا بجوار ذلك . ووضع آلاته ومساحيقه وأهوانه في ناحية وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان

واستخراج الأملاح ، وقدوراً عظيمة وبرامات ، وجعل له مكاناً أسفل وأعلى ، وبهما رفوف عليهما القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة ، وبهما كذلك عدة من الأطباء والجرايحية » (١).

وأعجب بالتجارب العلمية التي أجراها العلماء الفرنسيون أمامه فقال : « ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان ان بعض المتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة، فصب منها شيئاً في كأس ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى ، فعلا الماء وصعد منه دخان ملوّن حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار حجراً أصفر . فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه .... وأخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القرابانه انزعجنا منه فضحكوا منا ... » (٢) .

وقد أنشأ نابليون « الجمعية العلمية المصرية L'Institut d'Egypte في ٢٢ آب ١٧٩٨ ، فضمت عدداً من العلماء الذين رافقوه . وصدر عن هذه الجمعية كتاب « وصف مصر » وهو عبارة عن عدة مجلدات تضمنت آثار مصر في المعارف والفنون والصنائع والزراعة والهندسة والآداب والتاريخ والسياسة . وتم انجاز هذا المؤلف الضخم عام ١٨٠٩. واشترك في هذه الجمعية من العلماء الفرنسيين : مونج Monge وبرتوليه Berthollet ولابير Lapère وسانت هلير St. Hilaire وجيوفروا Geoffroy وجومار Jeomard (٣) .

وفي أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر صدر كتابان طبيّان يتعلقان بمصر هما : « وصف الرمد في مصر وطرق معالجته » للطبيب سافا ريزي

---

(١) الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٦
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧
(٣) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ٥ (١-٣-١٩٠٠) ، ص ١٩٣
زيدان ، جرجي : تاريخ اداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٨٩

و« اعلان عن الجدري » من تأليـف ديزينت حكيمبا شي ديوان القاهرة (٤) .

المدارس والكليات العلمية في مصر وبلاد الشام

انفتح محمد علي باشا على الحضارة الغربية ، في نطاق سعيه لتحديث مصر وجعلها دولة عصرية ذات جيش نظامي قوي ، وأوفد البعثات العلمية الى العواصم الاوروبية ، واستقدم الأساتذة والخبراء والمدربين ، وأنشأ المدارس والمعاهد المختلفة . فأرسل أول بعثة علمية الى ايطاليا عام ١٨١٣ . ثم اتجهت أنظاره الى فرنسا وبريطانيا . وبلغ مجموع ما أوفده محمد علي من طلبة الى المعاهد الاوروبية بين عامي ١٨١٣ و١٨٤٧ (٣١٩) طالباً (٥) . وكان لهؤلاء دور بارز في حياة مصر العلمية . وأما المدارس والمعاهد فقد أنشأ مدرسة الطب في ابي زعبل عام ١٨٢٧ ، وجعـل انطوان بارتلمـي كلـوت Antoine Barthelemy Clot (كلوت بك) مديراً لها (٦) . وكانت الغاية من انشائها تخريج أطباء للجيش المصري . وقد اختير أول فوج للدراسة فيها من بين طلبـة الأزهر . كان الأساتذة يلقون دروسهم باللغات الأجنبية ، ويقوم المترجمون بنقلها الى الطلبة بالعربية . وقد أرسل من خريجي الفـوج الأول اثنا عشر طالباً لمتابعة دراساتهم العليا في باريس . فلما عادوا عينوا مدرسين فيها . وبلغ عدد طلابها (١٩٠) طالباً عام ١٨٣٧ . وقد نقلت المدرسة والمستشفى الملحق بها الى القصر العيني في القاهرة عام ١٨٣٧ . والحقت بها مدرسة للصيدلة وأخرى للولادة وتخريج القابلات (٧) .

أما أشهر الأطباء في عهد محمد علي باشا فهم :

---

(٤) الهلال ، السنة ٢٢ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩١٣ ، ص ١٠٩
(٥) الرافعي ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية في مصر ، ج ٣ ، ص ٤٥٢
(٦) R.M.M. 7e année, dec. 1913, vol, 25, p. 236.
(٧) الرافعي ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية في مصر ، ج ٣ ، ص ٤٤٤ — ٤٤٥

محمد علي البقلي : أوفد في بعثة علمية الى فرنسا ، ولما عاد عام ١٨٣٨ درّس في مدرسة الطب وألّف عدداً من الكتب الطبية أهمها :

ــ روضة النجاح الكبرى في العمليات الصغرى ، طبع سنة ١٨٤٣ .
ــ غرر النجاح في أعمال الجراح ، في جزأين ، طبع سنة ١٨٤٦ .
ــ غاية الفلاح في أعمال الجراح ، طبع سنة ١٨٦٠ .
ــ نشر الكلام في جراحة الأقسام ، لم يطبع .

وأصدر محمد علي البقلي بالتعاون مع الدكتور ابراهيم الدسوقي مجلة « اليعسوب » سنة ١٨٦٥ ، فكانت اول مجلة عربية طبية تصدر في مصر (٨) .

أحمد حسن الرشيدي : وهو أكثر أطباء مصر تأليفاً وترجمة وتعريباً في عهد محمد علي ، وأهم مؤلفاته :

ــ رسالة في تطعيم الجدري ، ترجمها عن كلوت بك ، وقد نشرت عام ١٨٣٦ .
ــ الدراسة الاولية في الجغرافية الطبيعية ، طبع سنة ١٨٣٨ .
ــ ضياء النيرين في مداواة العينين ، معرّب عن الفرنسية ، وقد طبع سنة ١٨٤٠ .
ــ طالع السعادة والاقبال في علم الولادة وأمراض النساء والأطفال ، طبع سنة ١٨٤٢ .
ــ تطعيم الجدري ، طبع سنة ١٨٤٣ .
ــ بهجة الرؤساء في أمراض النساء ، طبع سنة ١٨٤٥ .
ــ نزهة الاقبال في مداواة الأطفال ، طبع سنة ١٨٤٥ .
ــ الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية ، وهو في مجلدين ، وطبع سنة ١٨٤٧ .
ــ نخبة الأماثل في علاج تشوهات المفاصل .
ــ عدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج ، طبع سنة ١٨٦٧ .

---

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٢٢ .

ابراهيم النبراوي : تعلّم في فرنسا وعاد الى مصر عام ١٨٣٣ وأشهر مؤلفاته هي :
- الأربطة الجراحية ، ترجمه عن الفرنسية ، وطبع عام ١٨٣٨ .
- الفلسفة الطبيعية ، تأليف كلوت بك وقد ترجمه الى العربية .
- اصول الطبيعة والتشريح ، تأليف كلوت بك وقد ترجمه الى العربية .

محمد الشافعي : من طلاب البعثات وأساتذة مدرسة الطب وأهم مؤلفاته :
- أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الأمراض ، طبع سنة ١٨٤٣ .
- الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال ، طبع سنة ١٨٤٤ .
- السراج الوهاج في التشخيص والعلاج ، طبع سنة ١٨٦٤ . وهو في أربعة مجلدات .

محمد الشباسي : استاذ التشريح في مدرسة الطب ألّف كتابين هما : التنقيح الوحيد في التشريح الخاص الجديد ، مترجم عن الفرنسية ، طبع سنة ١٨٤٥ . التنوير في قواعد التحضير ، طبع سنة ١٨٤٧ .

عيسى النحراوي : ألّف « التشريح العام » الذي طبع سنة ١٨٣٥.

حسين غانم الرشيدي : ألّف كتاباً في الصيدلة هو : الدر الثمين في فن الاقرباذين ، طبع عام ١٨٤٨ .

محمد عبد الفتاح : ترجم الى العربية الكتب الطبية التالية :
- نزهة المحافل في معرفة المفاصل ، طبع سنة ١٨٤١ .
- مشكاة اللائذين في علم الأقرباذين ، طبع سنة ١٨٤٤ .

ـ البهجة السنية في أعمار الحيوانات الأهلية ، طبع سنة ١٨٤٤ .
ـ المنحة لطالب قانون الصحة ، طبع سنة ١٨٤٥ .

على هيبة : عرّب كتابين هما :
ـ طالع السعادة في فن الولادة ، وإسعاف المرضى في علم منافع الأعضاء ، طبع سنة ١٨٣٦ (٩) .

وكان محمد علي قد أنشأ مدرسة الهندسة في القلعة (القاهرة) عام ١٨١٦ . فكانت أول مدرسة عالية للهندسة بمصر . وتولى التدريس فيها أساتذة من المصريين والأجانب . ولما كانت هذه المدرسة لا تفي بحاجة البلاد ، فقد انشأ مدرسة المهند سخانة ببولاق عام ١٨٣٤ . ومن أشهر المهندسين المصريين في هذه الفترة علي باشا مبارك ومصطفى بهجت ومحمد البيومي الذي ألّف عدة كتب في الهندسة والرياضيات منها « جر الأثقال » و« الجبر والمقابلة » (وهو مترجم عن الفرنسية طبع سنة ١٨٤٠) و« ثمرة الاكتساب في علم الحساب » ، وهو مترجم ايضاً وقد نشر عام ١٨٦٤ . وكتاب « الهندسة الوصفية » و« جامع الثمرات في حساب المثلثات » مترجم عن الفرنسية طبع سنة ١٨٤٧ .
ومنهم المهندس ابراهيم رمضان الذي ألّف :
ـ القانون الرياضي في تخطيط الأراضي ، طبع سنة ١٨٤٤ .
ـ اللآلىء البهية في الهندسة الوصفية ، مترجم عن الفرنسية ، طبع سنة ١٨٤٥ .
ـ المنحة المدنية في الهندسة الوصفية ، طبع بمطبعة المهند سخانة عام ١٨٥٢ .

والمهندس أحمد فايد مؤلف « الأقوال المرضية في علم بنية الكرة الأرضية » ، مترجم عن الفرنسية ، طبع سنة ١٨٤١ ، و« تحرك السوائل » ، طبع سنة ١٨٤٧ ، و« الدرة السنية في الحسابات الهندسية » ،

---

(٩) المصدر السابق ، ص ٥٢٣-٥٢٧

طبع سنة ١٨٥٢ . والمهندس أحمد دقلة مؤلف كتاب « رضاب الغانيات في حساب المثلثات ، طبع ببولاق سنة ١٨٤٣ (١٠) .

وأنشأ محمد علي مدرسة الزراعة بنروه ثم نقلت الى شبرا سنة ١٨٣٦ . وكان أشهر من ألّف في الزراعة أحمد ندا الذي درس في فرنسا وترجم عن الفرنسية الكتابين التاليين :

– حسن البراعة في علم الزراعة ، وقد نشر عام ١٨٦٦ .
– الحجج البينات في علم الحيوانات ، وقد نشر عام ١٨٦٧ .

وألّف كتابين آخرين هما :

– الآيات البينات في علم النبات ، طبع سنة ١٨٦٦ .
– حسن الصناعة في علم الزراعة ، طبع سنة ١٨٧٤ .

ونشر أحمد ندا عدة مباحث في علم النبات في « مجلة المدارس » (١١) .

وأسس محمد علي مدرسة المعادن في القاهرة عام ١٨٣٤ ومدرسة الفنون والصنائع عام ١٨٣٩ ، ومدرسة الطب البيطري التي انشئت اولاً برشيد ثم نقلت الى ابي زعبل ثم الى شبرا (١٢) .

وانشئت في عهد محمد علي « الجمعية الشرقية » التي سميت فيما بعد بجمعية مصر ، والغاية منها دراسة الفنون الشرقية ولا سيما اللغة والآثار . وقد انحلّت بعد وفاته . وتشكلت جمعية مماثلة هي « المعهد المصري » L'Institut Egyptien بتأثير من بعض العلماء الذين كانوا يقيمون في مصر أمثال كوينغ واوغست ماريت Auguste Mariette ، في ٦–٥–١٨٥٩ في مدينة الاسكندرية . وضمت أعضاء من جنسيات مختلفة . وجعلت الفرنسية لغة المذاكرة فيها . ومن الشخصيات العلمية التي تولت رئاسة الجمعية كوينغ وتيربورن Thurburn

---

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥١٤–٥٢٠
(١١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٧

وماريت ودوشامبير de Chambure وكلوتشي Colucci وجلياردو Gaillardot وماسبيرو Maspero والدكتور شفاينفورت Schweinfurth ويعقوب أرتين . ونقلت الجمعية من الاسكندرية الى القاهرة عام ١٨٨٠ . ومن أهم الأبحاث العلمية التي نشرتها هذه الجمعية هي :

- كتاب في نبات مصر للعالم دوليل de Lille .
- كتاب في حيوانات مصر تأليف العالمين سانت هيلير وسافيي Savigny, St. Hilaire
- جيولوجية مصر لمؤلفه Figaro ،
- جراحة المصريين للجراح المؤلف Larrey ،
- بحث في الطاعون وأمراض العين في مصر تأليف بروان Bruant (١٣).

وتأسست في مصر ، «الجمعية الجغرافية الخديوية» عام ١٨٧٥ من أجل تطوير الأبحاث والدراسات الجغرافية . وكانت الفرنسية لغة الكتابة والمذاكرة في الجمعية . كما تأسست في القاهرة «الجمعية الانكليزية» عام ١٨٩٨ (١٤) .

أما بلاد الشام والعراق وغيرهما من أقطار آسيا العربية التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية ، فقد تخلفت عن مصر في التعرف على المنجزات العلمية الغربية وانشاء المدارس والمعاهد التي تدرّس العلوم العصرية . فالطب في الدولة العثمانية ، لم يخرج على نطاق الطب التجريبي بل اقتصرت الأدوية على الحشائش والمعادن المركبة . واعتقدت جماهير العامة بالتعاويذ والحجب كعلاج فعّال للأمراض وخاصة الأمراض العصابية والنفسية . واعتبرت الكي آخر الدواء عندما لا تجدي الوسائل والأدوية الأخرى .

وبدأ الطب الحديث يدخل الدولة العثمانية ، حينما انشىء «مكتبي

(١٣) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ١١٥-٣-١٩٠٠ (، ص ١٩٣ — ٢٠١
زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٩٠

(١٤) زيدان ، جرجي : تاريخ اداب اللغة العربية ج ٤ ، ص ٩٠

طبي عسكري شاهاني » عام ١٨٢٦ في الآستانة ، في عهد السلطـــان محمود الثاني ، فكان بمثابة اول كلية للطب في الدولة العثمانية وكان معظم الأساتذة من الاوروبيين والفرنسيين منهم بشكل خاص . وظل التعليم في المعهد المذكور باللغة الفرنسية حتى عام ١٨٧٣ ، عندما أمر السلطان عبد العزيز بجعل التعليم في هذا المعهد باللغة التركية . وكانت مدة الدراسة في المعهد ست سنوات . وفي عام ١٨٩٧ بنيت كليـــة جديدة للطب في حيدر باشا . ثم انشئت مدرستـــان للطب على الصعيد المدني أحدهما في الآستانة والثانية في دمشق . وقد انشئت الاولى عام ١٨٧٧ وكانت تضم اربعمائة طالب ، ومعظم أساتذتها من أساتذة المعهد الطبي العسكري .

أما مدرسة الطب في دمشق فقد انشئت عام ١٩٠١ وكانت على مثال مدرسة الطب في الآستانة من حيث تنظيمها والدراسة فيها (١٥) . والحقت بها فيما بعد مدرسة للصيدلة . وبلغ عدد طلبة المدرستين عام ١٩١٤ نحو مئة طالب . وكانت تدرّس باللغة التركية (١٦) .

غير ان المدارس التبشيرية في آسيا العربية سبقت المدارس الرسمية العثمانية . فقد انشئت مدرسة الطب والصيدلة كجزء من الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الامريكية) في بيروت عام ١٨٦٧ . وبدأت التدريس باللغة العربية حتى عام ١٨٨٧ حينما أصبح بعد ذلك باللغة الانكليزية . كانت دراسة الطب فيها لأربع سنوات . وقد بدأت المدرسة بأربعة عشر طالباً ، ولم يتجاوز عدد الطلبة الخمسين حتى عام ١٨٩٩ . ثم زاد تدريجياً حتى بلغ مئة وعشرين طالباً عام ١٩٠٩ . أما عدد خريجي المدرسة بين ١٨٧١ و١٩٠٧ فلم يزد عن ١٥٤ خريجاً من بلاد الشام و٧٥ خريجاً من مصر وثلاثة من العراق و٦٤ خريجاً من بقية ولايات

---

(١٥) Abdul Hakim, Hikmat: *la Medicine en Turquie*, dans R.M.M. 1ère année, No, 9, pp. 38-73

(١٦) الهلال ، السنة ٢٢ ، ج ٩ ، حزيران ١٩١٤ ، ص ٦٧٤

الدولة العثمانية (١٧) .

وانشئت كلية للطب والصيدلة في بيروت عام ١٨٨٣ بمبادرة من الآباء اليسوعيين كجزء من جامعة القديس يوسف . وكانت في بداية الأمر تمنح دبلوماً في الطب بعد دراسة ثلاث سنوات ثم أصبحت سنوات التدريس أربعاً اعتباراً من عام ١٨٨٧ . وأصبحت اللجنة الفاحصة تأتي من فرنسا من أجل امتحان الدكتوراه في الطب منذ عام ١٨٩٥ . وبذلك غدت شهادة الكلية معادلة لشهادة الطب التي تمنحها الجامعات الفرنسية . بدأت الكلية بتسعة طلاب عام ١٨٨٣ ، ونما هذا العدد تدريجياً حتى بلغ ٢٣٧ طالباً عام ١٩٠٥ . اما خريجو الكلية بين عامي ١٨٨٣ و١٩٠٨ فقد بلغ تعدادهم ٢٨٠ خريجاً ، منهم ٢٢٠ خريجاً من سوريا و٩٣ خريجاً من مصر (١٨) .

المؤلفات العلمية العربية

أقبل خريجو المعاهد والجامعات الغربية من العرب على ترجمة العديد من المؤلفات العلمية الغربية الى لغتهم ، والتأليف بها . وأصدروا المجلات التي تعنى بالعلوم بشكل عام والعلوم التطبيقية او التجريبية منها بوجه خاص . ولعل أقدم هذه المجلات وأكثرها أهمية وشهرة هي مجلة « المقتطف » التي أصدرها عام ١٨٧٦ في بيروت السيدين يعقوب صروف ونمر فارس . وقد أفردت أبواباً دائمة للزراعة والصناعة والهندسة والطب والمسائل الرياضية . واهتمت بشكل خاص بالنباتات التي تعيش في البلاد العربية والأمراض التي تعتريها وطرق تحسينها وتكاثرها والأدوية الضرورية لمكافحة الحشرات والأمراض التي تعتري هذه المزروعات . واعتادت المجلة ان تستعرض مختلف الصناعات

---

(١٧) الهلال ، السنة ٢٢ ، ج ٦ ، آذار ١٩١٤ ، ص ٤٤٦

(١٨) المشرق ، السنة ١١ ، عدد ٥ ، ايار ١٩٠٨ ، ص ٣٤١-٣٥٤
R.M.M. 3e année, jan. - fév. 1909, No. 1, pp. 39-52

المتطورة في اوروبا وتلك المنتشرة في البلاد العربية . وبقيت المجلة في بيروت حتى عام ١٨٨٤ اذ نقلت بعد ذلك الى القاهرة وصدر أول عدد هناك في آذار من العام المذكور .

ويلي مجلة المقتطف في الشهرة مجلة « الهلال » التي أصدرها جرجي زيدان في القاهرة عام ١٨٩٢ . وكانت تتولى نقل الكثير من الأخبار والمكتشفات العلمية . واعتادت مجلة المشرق التي كان يصدرها منذ عام ١٨٩٨ الآباء اليسوعيون في بيروت ، ان تنشر ملخصاً للمنجزات العلمية والمخترعات كل عام . وأصدر جورج متى وجورج سمان مجلة « الشمس » بدمشق في تموز ١٩٠٠ (مرتين في الشهر) ، وتعنى بالشؤون العلمية والصناعية والأدبية (١٩) . وفي عام ١٩٠٩ أصدر أحمد عارف الزين مجلة « العرفان » مرتين في الشهر ، في مدينة صيدا بلبنان ، وكثيراً ما احتوت على المقالات والأبحاث العلمية . وامتلأت صفحات « الضياء القاهرية » لصاحبها ابراهيم اليازجي منذ صدورها عام ١٨٩٨ بالمقالات العلمية . وكذلك مجلة « الزهور الشهرية » لصاحبها انطوان الجميل التي بدأت بالصدور عام ١٩١٠ . ومن المجلات العلمية التي صدرت في العراق مجلة « العلم » النجفية لمنشئها محمد علي هبة الله الشهرستاني .

وبلغ عدد المجلات والصحف العلمية التي كانت تصدر في مصر عام ١٩١٠ إحدى وثلاثين صحيفة ومجلة . منها سبع عشرة مجلة علمية صناعية أدبية باللغة العربية وتسع مجلات علمية صناعية أدبية بلغات أجنبية ، وثلاث مجلات طبية باللغة العربية ومجلتين طبيتين أجنبيتين (٢٠).

وسوف نتناول أهم الكتب العلمية المترجمة وتلك التي ألّفها العرب والمجلات الخاصة بكل علم من العلوم التطبيقية على حدة .

---

(١٩) الضياء ، السنة ٢ ، ج ٢٢ ، ١-٨-١٩٠٠

(٢٠) الزهور ، السنة ٢ ،ج ٢ ، ابريل ١٩١١ ، ص ٨١

الطب

اعتنى الأطباء العرب الذين درسوا في المعاهد الأجنبية بترجمة العديد من المؤلفات الطبية الى اللغة العربية ، كما أقدموا على تأليف الجمعيات الطبية مقتفين في ذلك آثار أساتذتهم ومقلدين لما شاهدوه في الدول الغربية التي عاشوا فيها . فقد انشئت اول جمعية طبية في القاهرة عام ١٨٨٧ وعقدت اولى اجتماعاتها في الثاني من نيسان (ابريل) من ذلك العام (٢١) . وبعد ذلك بشهرين انشئت « جمعية الفنون الطبية » في دمشق على أيدي الأطباء العرب والأجانب في المدينة من أجل البحث عن معارف العرب الطبية وما غمض من أدويتهم وأعمالهم الجراحية والاشتراك في الصحف الطبية . وقد انتخب الدكتور تمبل Temple الأميرلاي في الجيش العثماني رئيساً للجمعية والدكتور هورد بسيانو نائباً للرئيس(٢٢).

وشارك الأطباء المصريون في المؤتمرات الطبية الدولية . فقد اشترك وفد مصري في المؤتمر الطبي الدولي الذي عقد في برلين في آب ١٨٩٠ . وكان يرأس الوفد المصري الدكتور حسن باشا محمود (٢٣) . وانعقد اول مؤتمر طبي دولي في مصر في شهر كانون الاول عام ١٩٠٢ . وقد اشترك في هذا المؤتمر (٥٢٠) طبيباً ، منهم ٣٤٠ طبيباً من المقيمين بالقطر المصري بينهم ١٥٢ وطنياً والبقية من الأجانب . وحضرت المؤتمر وفود من فرنسا وايطاليا واسبانيا وبلجيكا وروسيا والولايات المتحدة وايران . وقدمت في المؤتمر (٢٤٠) مقالة وبحثاً معظمها حول أمراض المناطق الحارة (٢٤) .

وفيما يلي قائمة بأهم الكتب الطبية الأجنبية التي نقلت الى اللغة العربية مرتبة حسب تاريخ نشرها :

---

(٢١) المقتطف ، السنة ١٢ ، ج ١٢ ، سبتمبر ١٨٨٨ ، ص ٧٣٦

(٢٢) المقتطف ، السنة ١١ ، ج ١٠ ، يوليو ١٨٨٧ ، ص ٦٣٤

(٢٣) المقتطف ، السنة ١٥ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٨٩٠ ، ص ١٠٧ — ١١٣

(٢٤) المقتطف ، السنة ٢٨ ، ج ١ ، يناير ١٩٠٣
الضياء ، السنة ٥ ، ج ٢٧ ، ١-١-١٩٠٣ ، ص ٢١٥

الكتاب	المؤلف	المترجم	مكان وتاريخ النشر
مبادىء التشريح والهيجين والفسيولوجيا	جورج بوست	الكلية السورية الانجيلية	بيروت ١٨٧١
كتاب التوضيح في اصول التشريح	ى.ورتبات	» » »	بيروت ١٨٧١
المصباح الوضاح في صناعة الجراح	جورج بوست	» » »	بيروت ١٨٧٣
كتاب اصول الفيسولوجيـــا	ى.ورتبات	» » »	بيروت ١٨٧٧
كفاية العوام في حفظ الصحة وتدابير الاسقـــام .	ى.ورتبات	» » »	بيروت ١٨٨١
نائب الطبيب	سنس وخوري	المطبعة الكاثوليكية	بيروت ١٨٨١ — ١٨٨٢
الاقرباذين او المواد الطبية	ج. بوست	الكلية السورية	بيروت ١٨٨٢ (٢٥)
الشفاء الأكيد من الهواء الاصفر	يوحنا فيوفيتش	المطبعة الكاثوليكية	بيروت ١٨٨٣ (٢٦)
مقال في الموت المسبب	جول روفيـــه	» »	بيروت ١٨٨٤

(٢٥) المشرق ، السنة ٢٣ ، عدد ١١ ، ١٩٠٠-٦١ ، الجنان ، ج ١٥ ، ص ٥٣٦

(٢٦) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ٨ ، ص ٨٤٢

الخلاصة الطبية في علل الجهاز التنفسي	دى برون	خير الله صغير	بيروت ١٨٨٨	(٢٧)
مبادىء التشريح والفسيولوجيا والهجين.	كنتر الامريكاني	جورج بوست	بيروت ١٨٨٩	(٢٨)
الحصاة واستخراجها	كاي الامريكاني		بيروت ١٨٨٩	(٢٩)
العلاج بالماء البارد	سباستيان كنيب	يوحنا الحايك	بيروت ١٨٩٨	(٣٠)
حفظ الصحة للمتزوج والعازب	حسين رمزي	محمد توفيق المرعشلي	بيروت ١٩٠٠	(٣١)
تمريض المرضى	اولا ورتبات	؟	بيروت ١٩٠٤	(٣٢)
امراض النساء	بوتسي	احمد عيسى	القاهرة ١٩٠٨	(٣٣)
نصائح للامهات	كافاس	فريد عبد الله	القاهرة ١٩١٠	(٣٤)

---

(٢٧) المقتطف ، السنة ١٢ ، ج ٦ ، ص ٥٨٣
(٢٨) المقتطف ، السنة ١٣ ، ج ١٠ ، ص ٧١٨
(٢٩) المقتطف ، السنة ١٤ ، ج ٢ ، ص١٣٢
(٣٠) المقتطف ، السنة ٢٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٨
(٣١) المقتطف ، السنة ٢٦ ، ج ٦ ، ص ٥٦٠
(٣٢) المقتطف ، السنة ٢٩ ، ج ١١ ، ص ١٠٠٦
(٣٣) المقتطف ، السنة ٣٣ ، ج ١٢ ، ص ١٠٥٩
(٣٤) المقتطف ، م ٣٧ ، ج ٨ ، ص ٨١٣

الكتاب	المؤلف	المترجم	مكان وتاريخ النشر
العلاج بعد العمليات	لوكهارت ممري	محمد عبد الحميد	القاهرة ١٩١٢ (٣٥)
تعليل النوع	رملي دوسن	محمد عبد الحميد	القاهرة ١٩١٢ (٣٦)
التشريح الجراحي	فردريك ترفس وارثر كيث	محمد عبد الحميد	القاهرة ١٩١٣ (٣٧)
الصحة والآداب	بول جود	فريد يوسف برزي	القاهرة ١٩١٤ (٣٨)

اما اهم المؤلفات الطبية التي نشرت بالعربية في هذه الفترة فهي ما يلي مرتبة حسب الترتيب الهجائي لاسماء المؤلفين .

المؤلف	الكتاب	مكان وتاريخ النشر
ابراهيم حسن	الطب السياسي (الشرعي)	القاهرة ١٨٧٦
ابراهيم مصطفى	التذكرة الطبية	القاهرة ١٨٨١ (٣٩)

(٣٥) المقتطف ، م ٤٠ ، ج ١ ، ص ٩٤
(٣٦) المقتطف ، م ٤٠ ، ج ٤ ، ص ٣٩٧
(٣٧) المقتطف ، م ٤٢ ، ج ٢ ، ص ١٩٢
(٣٨) المشرق ، السنة ١٤ ، ، العدد ١٢ ، ص ٩٧٦
(٣٩) R.M.M. 5e année No. 2. pp. 356-359

المؤلف	الكتاب	المكان	السنة	
ابراهيم مطر	الامراض الزهرية	القاهرة	١٨٨٦	(٤٠)
ابراهيم منصور	المطالب الطبية	القاهرة	١٩٠٠	(٤١)
أحمد رشيد عبد الله	التمريض والاسعافات الاولى	القاهرة	١٩١١	(٤٢)
أحمد الرشيدي	امراض الأطفال	القاهرة	١٨٤٥	
	الأمراض الجلدية (جزءان)	القاهرة	١٨٤٥	
	أمراض النساء	القاهرة	١٨٤٤	
	في علمي الأدوية والعلاج	القاهرة	١٨٦٦	(٤٣)
أحمد عيسى	صحة المرأة في أدوار حياتها	القاهرة	١٩٠٤	(٤٤)
اسبير بدون منسي	المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي	القاهرة	١٩٠٠	(٤٥)
اسكندر البارودي	السوار المحلى في تدبير الاعلا	القاهرة	١٨٩٧	(٤٦)

---

(٤٠) المقتطف ، السنة ١٠ ، ج ٦ ، ص ٣٧٤
(٤١) المقتطف ، السنة ٢٤ ، ج ٥ ، ص ٤٨٨
(٤٢) المقتطف ، م ٣٩ ، ج ٣ ، ص ٣٠١
(٤٣) R.M.M. 5e année, No. 2. pp. 356-359
(٤٤) المقتطف ، السنة ٢٩ ، ج ١٢ ، ص ١٠٩٤
(٤٤) المقتطف ، السنة ٢٩ ، ج ١٢ ، ص ١٠٩٤
(٤٥) المقتطف ، السنة ٢٦ ، ج ٦ ، ص ١٩٦٠
(٤٦) المشرق ، السنة ٤ ، العدد ٥ ، ١-٣-١٩٠١

المؤلف	العنوان	المكان	السنة	
	مقالة في الدفتريا	القاهرة	١٨٩٧	
اسكندر الجريديني	كتاب المرآة الجلية لهيئة القلب الداخلية	بيروت مطبعة المعارف	١٨٧٢	(٤٧)
اسماعيل رشدي	الجوهر الثمين لاسعاف المسمومين	القاهرة	١٨٩٧	(٤٨)
أمين كنعان ناصيف	أسرار الجمال والصحة والعافية	القاهرة	١٩١٠	(٤٩)
بشارة زلزل	رسالة في الهواء الاصفر	بيروت	١٩٠١	(٥٠)
جورج عرقتنجي	فوائد في تغذية الاطفال	القاهرة	١٩١٣	(٥١)
حسن الرشيدي	الاقراباذين	القاهرة	١٨٤٨	
حسن عبد الرحمن	علم التشريح	القاهرة	١٨٦٦	
حسن باشا محمود	الفوائد الطبية في الأمراض الجلدية	القاهرة	١٨٧٥	
	كتاب في البواسير ومعالجتها	القاهرة	١٨٧٧	
حسن باشا محمود	رسالة في حمى الدنج	القاهرة	١٨٨١	

---

(٤٧) الضياء ، السنة ٦ـ ، ج ٥ ، ص ١٥١
(٤٨) المقتطف ، السنة ٢١ ، ج ١١ ، ص ٨٦٥
(٤٩) المقتطف ، م ٣٧ ، ج ٦ ، ص ١٢١١
(٥٠) الشرق ، السنة ٤ ، عدد ٧ ، ص ٣٢١
(٥١) المقتطف ، م ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٥٠٩

المؤلف	الكتاب	المكان والسنة	
	تحفة السامع والقاري في داء الطاعون البقري الساري .	القاهرة ١٨٨٣	
	رسالة في الهيضة الكوليرا	القاهرة ١٨٨٤	
	النباتات المصرية واستعمالها طباً .	القاهرة ١٨٨٦	
	رسالة في النزلة الوافدة	القاهرة ١٨٩١	
	الخلاصة الطبية في الامراض الباطنية	القاهرة ١٨٩٢	(٥٢)
خليل حداد	صحة الانسان في وقاية الاسنان	بيروت ١٩٠٧	(٥٣)
خليل سعادة	الوقاية من السل الرئوي	بيروت ١٩٠٦	(٥٤)
داود ابي شعر	تحفة الاخوان في حفظ صحة الابدان .	بيروت ١٩٠١	(٥٥)
داود ابي شعر وامين ابي خاطر	مغني اللبيب عن الطبيب	بيروت ١٨٩٧	(٥٦)
سعيد ابو جمرة	وقاية الشباب من المرض الافرنجي والسيلان	بيروت ١٩١١	(٥٧)

---

(٥٢) الجنان ، ج ١١ ، ١-٦-١٨٧٥ ، ص ٣٦٤
(٥٣) المقتطف ، السنة ٢٣ ، ج ١ ، ص ٨٤
(٥٤) الضياء ، السنة ٦ ، ج ٥ ، ص ١٥١
(٥٥) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ١٩ ، ص ٨٧٨
(٥٦) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ١١ ، ص ٥٢١
(٥٧) الكوثر ، السنة الثانية ، م ٢ ، ج ١ ، ٢-٣-١٩١١ ، ص ٤٣٢

المؤلف	العنوان	مكان وتاريخ النشر
سعيد حمزه	دليل العازب وطبيب المتزوج	القاهرة ١٩٠٢ (٥٨)
سليم غُصن	التمريض المنزلي	القاهرة ١٩١٠ (٥٩)
سليمان الحاج	الوقاية الصحية من الامراض المعدية	صيدا ١٩١٤ (٦٠) (مطبعة الفرحان)
شاكر خوري	صحة العين	القاهرة ١٨٩١ (٦١)
عبد الرحمن اسماعيل	التقويمات الصحية	القاهرة ١٨٩٥ (٦٢)
عبد العزيز نظمي	صحة المولود	القاهرة ١٩٠٦ (٦٣)
علي حلمي	تدبير غذاء الرضع	القاهرة ١٩٠٣ (٦٤)
علي رياض	المادة الطبية (جزءان)	القاهرة ١٨٧٩
عيسى حمدي	فن الولادة	القاهرة ١٨٨٠

---

(٥٨) المقتطف ، السنة ٢٧ ، ج ١ ، ص ١١٢٣
(٥٩) المقتطف ، م ٣٧ ، ج ٦ ، ص ٦٢١١
(٥٩) المقتطف ، م ٣٧ ، ج ٦ ، ص ٦٢١١
(٦٠) العرفان ، م ، ٥ ج ٦ ، ص ٢٣٧
(٦١) المقتطف ، السنة ١٦ ، ج ٤ ، ص ٢٧٨
(٦٢) المقتطف ، السنة ١٩ ، ج ، ص ٧٠٣
(٦٣) المقتطف ، السنة ٣١ ، ج ١٢ ، ص ١٠١١
(٦٤) المقتطف ، السنة ٢٨ ، ج ٧ ، ص ٦١٤

	صحة الحوامل والاطفال	القاهرة ١٨٨١
	امراض الاطفال	القاهرة ١٨٨٢
	الطب الباطني والعلاج	القاهرة ١٨٨٤
	نهاية الاصل والفرع في التسمع والقرع	القاهرة ١٨٨٦
	كتاب المعراج في الطب الباطني والعلاج (٣ مجلدات) .	القاهرة ١٨٨٦
	التشخيص في الامراض الباطنية	القاهرة ١٩٠٦ (٦٥)
فارس صهيون	الشذور الذهبية في المواد الطبية	بعبدا ١٨٩٩ (٦٦)
فيتالس مظلوم	كتاب مظلوم في المادة الطبية والاقرباذين	القاهرة ١٩٠٠ (٦٧)
محمد الدري	بلوغ المرام في جراحة الاقسام	القاهرة ١٨٨٦ (٦٨)
محمد رشدي	التدبير العام في الصحة والمرض	القاهرة ١٩١٢ (٦٩)

---

(٦٥) R.M.M. 5e année, No. 2, pp. 356-359

(٦٦) المقتطف ، السنة ٢٣ ، ج ٣ ، ص ٢٢٥

(٦٦) المقتطف ، السنة ٢٦ ، ج ٦ ، ص ٥٦٠

(٦٦) المقتطف ، السنة ٢٦ ، ج ٦ ، ص ٥٦٠

(٦٨) المقتطف ، السنة ١٢ ، ج ٨ ، ص ٥١٨

(٦٩) المقتطف ، م ٤١ ، ٤١ ، ج ٣ ، ص ٣٠١

المؤلف	العنوان	المكان والتاريخ
محمد الشافعي	الباثولوجي	القاهرة ١٨٤٣
	الحصون الصحية	القاهرة ١٨٨٧
محمد الشباصي	قواعد التحضير	القاهرة ١٨٤٧ (٧٠)
محمد عبد الحميد	الامراض المعدية	القاهرة ١٩١٣
محمد عبد الحميد	الحمل خارج الرحم	القاهرة ؟
	العملية القيصرية	الفاهرة ؟ (٧١)
محمد علي البقلي	العمليات الجراحية الكبرى	القاهرة ١٨٤٣
	في الجراحة (جزءان)	القاهرة ١٨٦٥
محمود صدقي ومحمد امين	التشريح الخاص	القاهرة
محمود صفوت	السياسة الصحية	القاهرة ١٨٨٥ (٧٢)
مصطفى السعادة	كتاب الصحة من السعادة	بيروت ١٩١٠ (٧٣)
ميلاد منصور صغير	المنارة الطبية في المداواة الاهلية	بيروت ١٩٠٢ (٧٤) (مطبعة الارز)

(٧٠) R.M.M. 5[e] année No. 2, pp. 356-9

(٧١) R.M.M. 6[e] année, Vol. 18. p. 232

(٧٢) R.M.M. 5[e] année, No. 2.pp. 356-9

(٧٣) الكوثر ، السنة الثانية ، م ٢ ، ج ١ ، ، ٥-١٠-١٩١٠ ، ص ١٩٢

(٧٤) المشرق ، السنة ٦ ، عدد ١ ، ص ٤٤

نجيب محفوظ	فن الولادة	القاهرة ١٩٠٨ (٧٥)
نقولا البيطار	دليل الانسان لحفظ الاسنان	بيروت ١٩٠١ (٧٦)
هيلانة البارودي	الحقائق الجسمية واللدقائق الصحية	القاهرة ١٨٩٤ (٧٧)
يوحنا ورتبات	كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الاسقام	بيروت ١٨٩٣ (٨٧)
يوسف بشتلي	مرشد الراغبين في اسعاف المصابين	بيروت ١٩٠٦ (٧٩)

أما المجلات الطبية التي صدرت في هذه الفترة فهي التالية .

المجلة	صاحبها	مكان وتاريخ الصدور
الطبيب	نجيب غناجه وجورج يوسف	القاهرة ١٨٧٥ (٨٠)

(٧٥) المقتطف ، السنة ٣٣ ، ج ٨ ، ص ٦٩٨
(٧٦) الضياء ، السنة ٣ ، ج ١٠ ، ص ٣٠٩
(٧٧) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ٥ ، ص ٢٢٨
(٧٨) المقتطف ، السنة ١٧ ، ج ١٠ ، ص ٣٠٩
(٧٩) الضياء ، السنة ٨ ، ج ٨ ، ص ٢٤٤
(٨٠) المقتطف ، السنة ١٩ ، ج ٧ ، ص ٥٣٨

الشفــــــاء	شبــــلي شميــــل	القاهرة ١٨٨٦	(٨١)
مجلة الجمعية الطبية المصرية	الجمعية الطبية المصرية	القاهرة ١٨٩٧	(٨٢)
الرئيـــس	لويس الخــــازن	جونيه ١٩٠٠ لبنـــان	(٨٣)
المجلـــة الصحيـــة	اديب الزيـــات	القاهرة ١٩٠١	(٨٤)
الطب الحديث	عيـــد	؟ ١٩٠٢	(٨٥)
الحكمة	عبد العزيز نظمـــي	القاهرة ١٩٠٤	(٨٦)
ابقـــراط	يســـرى	القاهرة ١٩٠٧	(٨٧)
الطبيـــب العـــامل	ثيوفيـــل دبانـــه	بيروت ١٩١٠	(٨٨)

---

(٨١) المقتطف ، السنة ١٢ ، ج ١٢ ، ص ٧٣٦
(٨١) المقتطف ، السنة ١٢ ، ج ١٢ ، ص ٧٣٦
(٨٢) المقتطف ، السنة ٢٢ ، ج ١٢ ، ص ٩٤٢
(٨٣) المقتطف ، السنة ٢٤ ، ج ٢ ، ص ١٦٠
(٨٤) الضياء ، السنة ٢٣ ، ج ٩ ، ص ٢٨٠
(٨٥) المقتطف ، السنة ٢٧ ، ج ٣ ، ص ٢٩٢
(٨٦) الضياء ٦ ، ج ١٨ ، ص ٥٦٨
(٨٧) R.M.M. Tome 4, 1908, p, 195
(٨٨) النعمة ، السنة ٢ ، الملحق الثامن ، ص ٦٢

الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ النشر
الحكيـــم طبيب العائلـــة	محمد فضـــلي عيـــد	القاهرة ١٩١١ (٨٩) ؟ (٩٠)

العلوم الطبيعية

اهتم العرب بالتطورات التي حصلت في العلوم الطبيعية وترجموا العديد من كتب الفيزياء والنبات والحيوان الى اللغة العربية . كما الفوا العديد من الكتب الدراسية للمدارس والمعاهد العالية . وفيما يلي قائمة بأهم هذه المؤلفات :

الكتـــاب	المؤلف	مكـــان وتاريخ النشر
العروس البديعة في علـــم الطبيعة	اسعد شلودي	بيروت ١٨٧٧ (المطبعة الامريكية)
الدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية	أ . جكســـن	بيروت ١٨٨١ (٩١) (المطبعة الامريكية)

---

(٨٩) المقتطف ، م ٣٨ ، ص ٢٩٦
(٩٠) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ٣ ، ص ١٣٩
(٩١) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ١١ ، ص ٥٠٧

الروضة البديعة في علم الطبيعة	كوزين ديبر تعريب جرجس باز	بيروت ١٨٨١ (٩٢) (المطبعة الكاثوليكية)
الجواهر البديعة في علم الطبيعة	محمد كامل الكفراوي	القاهرة ١٨٨٧
مبادىء الطبيعة	ابراهيم لطفي	القاهرة ١٨٨٧
الظواهر البديعة في علم الطبيعة	محمود فوزي	القاهرة ١٨٩٠
الكائنات	جميل صدقي الزهاوي	؟؟ ١٨٩٦ (٩٣)
الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق ١٩٠١ (٩٤) (مطبعة ولاية سورية)
الجاذبية وتعليلها	جميل صدقي الزهاوي	؟ ١٩١٠ (٩٥)

الكيمياء

الكيمياء الزراعية	ابو السعود	القاهرة ١٨٧٣ (٩٦)

---

(٩٢) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ١٨ ، ص ٨٤٢

(٩٣) R.M.M. 5[e] année, No. 2. pp. 356-9

(٩٤) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ١٩ ، ص ٨٧٨

(٩٥) المقتطف ، م ٣٧ ، ج ٦ ، ص ١٢١٦

(٩٦) R.M.M. 5[e] année, No. 2. pp. 356-9

التحليل الكيمي	د . أ . لويس	بيروت ١٨٧٦	
كيمياء الهواء والماء	د . أ . لويس	بيروت ١٨٧٩	
الكواشف الجلية عن الحقائق الكيماوية	د . أ . لويس	بيروت ١٨٨٢	(٩٧)
الكيمياء العمومية (٤ اجزاء)	ابراهيم لطفي	القاهرة ١٨٨٥	
اصول الكيمياء	د . فاندايك	بيروت ؟	(٩٨)

الاحياء والنبات

علم النبات	احمد ندى	القاهرة ١٨٦٦	
علم الحيوانات	احمد ندى	القاهرة ١٨٦٧	
علم الحيوانات الفقرية	ابراهيم لطفي	القاهرة ١٨٨٥	
الايات البينات في علم النبات	محمود فوزي	القاهرة ١٨٨٨	(٩٩)
علم الحيوان والانسان	د . بشارة زلزل	بيروت ١٩٠٥	(١٠٠)

---

(٩٧) المشرق ، السنة ٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٧

(٩٨) R.M.M. 5e année, No. 2. pp. 356-9

(٩٩) R.M.M. 5e année, No. 2. pp. 358

(١٠٠) المقتطف ، السنة ٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٧

الزراعـــة

اهتم محمد علي باشا بالزراعـــة واقدم على اجراءات عديدة لاصلاح الارض وزيادة الانتاج الزراعي . غير ان اصلاحاته في الميدان الزراعي انتهت بالفشل ، كمـــا انتهت بالفشـــل الاصلاحات في ميدان الصناعة والتجارة بسبب مقاومة الدول الغربية لهـــا وتطبيق نظـــام الامتيازات عـــلى مصر باعتبارهـــا جزءاً من الدول العثمانية ، وعدم توفر الكوادر اللازمة لاستيعـــاب وتنفيذ هذه الاصلاحات الحديثة . وبدأ الاهتمام بالمؤلفات الزراعية الحديثة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وصدرت عدة كتب في هذا الميدان اهمهـــا مـــا يلي :

الكتـــــاب	المؤلـــــف	مكان وتاريخ النشر
نظام الحلقات في سلسلة ذات الفقرات	د . جورج بوست	بيروت ١٨٦٩ (١٠١)
حسن الصنـــاعة في علـــم الزراعة	احمـــد نـــدى	القاهرة ١٨٧٤ (١٠٢)
نبات سورية وفلسطين والقطر المصري	د . جورج بوست	بيروت ١٨٨٤ (١٠٣)

---

(١٠١) المشرق ، السنة ٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٧

(١٠٢) R.M.M. 5e année, No. 2, p. 356

(١٠٣) المشرق ، السنة ٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٧

طب الحيوان	جرجس طنوس عون	بيروت ١٨٨٤ (١٠٤) (المطبعة الامريكية)
الحشرات الضارة بالقطن	عباس الهراوي	القاهرة ١٨٨٨ (١٠٥)
منافع الحيوانات	محمود فوزي	القاهرة ١٨٨٨ (١٠٦)
نباهة الحيوان	س . ط .	القاهرة ١٨٩٠ (١٠٧)
الدلائل الصحية في تفتيش ا للحوم الغذائية	د . محمد صفوت	بيروت ١٨٩٥ (١٠٨)
زراعة التوت وتربية دود الحرير	خطار ثابت	بيروت ١٨٩٧ (١٠٩)
الكنوز الذهبية في الزراعة العلمية	عزمي افندي	بيروت ١٨٩٨ (١١٠)
مرشد الخبير في تربية دود الحرير	د . اسعد سليم	بيروت ١٨٩٩ (١١١)
قصب السكر	احمد جرانة	القاهرة ١٨٩٩ (١١٢)

---

(١٠٤) المشرق ، السنة ٢٣ ، عدد ١١ ، ١-٦-١٩٠٠

(١٠٥) المقتطف ، م ٣٨ ، ج ٤ ، ص ٤٠٠-٤٠١

(١٠٦) R.M.M. 5e année, No. 2, p. 356-9

(١٠٧) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ١١ ، ص ٥٠٧

(١٠٨) المقتطف ، السنة ١٩ ، ج ٤ ، ص ٣٠٠

(١٠٩) المقتطف ، السنة ٢ ، ج ١ ، ص ٥٩

(١١٠) المقتطف ، السنة ٢٢ ، ج ١٢ ، ص ٩٤١

(١١١) المقتطف ، السنة ٢٣ ، ج ٩ ، ص ٧٠٥

(١١٢) المقتطف ، السنة ٢٤ ، ج ٢ ، ص ١٦٠

تربية دودة القـــز	اسبير اشقر	بيروت ١٨٩٩	(١١٣)
منتخبـــات الصناعة في فن الزراعة	بشارة نحـــول	بيروت ١٨٩٩	(١١٤)
الشعـــاع الساطع في حرفة الزارع	القس بولس عازر الحلبي	القاهرة ١٩٠٠	(١١٥)
الطاعـــون البقري	د . محمد صفوت	القاهرة ١٩٠٢	(١١٦)
علم الحيوان والانســـان	د . بشارة زلزل	بيروت ١٩٠٥	(١١٧)
تربيـــــة النحـــــل	د . محمد نجيب شاهين	القاهرة ١٩٠٦	(١١٨)
زراعة القطن ومقاومة آفاتــه	احمـــد الالفـــي	القاهرة ١٩١١	(١١٩)

وفي عام ١٩١١ اصدرت ادارة المصلحة الزراعية بمصر مجلة مصر The Agricultural Journal of Egypt الزراعية باشراف المستر ددجن الموظف في الادارة المذكورة (١٢٠) .

---

(١١٣) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ١١ ، ص ٥٢١
(١١٤) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ٥ ، ص ٢٢٨
(١١٥) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ٧ ، ص ٣٢٢
(١١٦) المقتطف ، السنة ٢٨ ، ج ١١ ، ص ٩٧٢
(١١٧) المقتطف ، السنة ٣٠ ، ج ٣ ، ص ٢٤٦
(١١٨) المقتطف ، السنة ٣١ ، ج ١١ ، ص ٩٢٩
(١١٩) المقتطف ، م ٣٨ ، ج ٤ ، ص ٤٠٠-٤٠١
(١٢٠) المقتطف ، م ٣٩ ، ج ٤ ، ص ٤٠٣

الرياضيات

اقتضى انشاء المدارس والمعاهد العالية على الطراز الغربي ، ترجمة العديد من كتب الرياضيات الحديثة والتأليف بالعربية . وفيما يلي قائمة بالكتب الرياضية مرتبة حسب تاريخ صدورها

الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ النشر
كشف الحجاب في علم الحساب	بطرس البستاني	بيروت ١٨٤٨ (المطبعة الامريكية)
الروضة الزهرية في الاصول الجبرية	فان دايك	بيروت ١٨٥٣ (المطبعة الامريكية)
الاصول الهندسية	فان دايك	بيروت ١٨٥٧ (١٢١) (المطبعة الامريكية)
مرقاة الطلاب في مباديء الحساب	ميخائيل آصاف	بيروت ١٨٧١ (المطبعة الكاثوليكية)

(١٢١) المشرق ، السنة ٢٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٦-٥٠٧

هدية الاحباب في علـــم الحساب	ميخائيـــل آصاف	بيروت ١٨٧٣ (المطبعة الكاثوليكية)
الانساب ومساحة المثلثــــات له	فـــان دايـــك	بيروت ١٨٧٣ (المطبعة الامريكية)
مسائـــل مقتضبة في علـــم الحساب	الاب اوغسطين تردي	بيروت ١٨٧٤ (١٢٢) المطبعة الكاثوليكية)
مدخـــل الطلاب في علـــم الحساب	ظاهر خير الله	بيروت ١٨٨٢ (المطبعة الامريكية)
الروض النرجسي في الحساب الدرسي	فرحـــان اليـــاس	بيروت ١٨٨٥ (المطبعة الامريكية)
رياض الالباب في رياض الحساب	امين الخـــــوري	بيروت ١٨٨٥ (١٢٣) (المطبعة الامريكية)
مدخـــل الطلاب الى فن الحساب	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق ١٨٨٥ (١٢٤) (مطبعة ولاية سورية)

---

(١٢١) المشرق ، السنة ٢٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٦-٥٠٧

(١٢٢) المشرق ، السنة ٣ ، عدد ١٨ ، ص ٨٤٢

(١٢٣) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ٥ ، ص ٢٢٧

العنوان	المؤلف	مكان وسنة الطبع
مطول في الحساب	نعمة شديد يافت	بيروت ١٨٨٦ (١٢٥) (المطبعة الامريكية)
مصباح الكاسب ودليل الحاسب		بيروت ١٨٨٦ (١٢٦) (المطبعة الامريكية)
الايضاح على مقالات اقليدس في الهندسة	جرجس همام	بيروت ١٨٨٨ (المطبعة الامريكية)
كتاب الحساب العقلي	اليزا افرت	بيروت ١٨٩٠ (المطبعة الامريكية)
ترويض الالباب في علم الحساب	سليم صادر	بيروت ١٨٩٣ (١٢٧) (المطبعة الامريكية)
حيلة الطلاب في علم الحساب	الاب اوغسطين تردي	بيروت ١٨٩٥ (المطبعة الكاثوليكية)
مختصر في علم الحساب	الاب اوغسطين تردي	بيروت ١٨٩٥ (١٢٨) (المطبعة الكاثوليكية)

(١٢٤) المقتطف ، م ٤٠ ، ج ١ ، ص ٨٩
(١٢٥) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ٥ ، ص ٢٢٧
(١٢٦) المشرق ، السنة ٢٣ ، العدد ١١ ، ص ٥٠٦ — ٥٠٧
(١٢٧) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ٥ ، ص ٢٢٨

مراقي الحساب		بيروت ١٨٩٨ (المطبعة العثمانية)
مرقى المنارة في الحساب		بيروت ١٨٩٨ (١٢٩) (المطبعة العثمانية)
مرقاة الطلاب في فن الحساب		بيروت ١٩٠٠ (المطبعة الامريكية)
الرسالة البهية في الاعمال المساحية	تأليف ستوارت ترجمة محمد كامل	القاهرة ١٩٠٤
مذكرة الجيب الهندسية	ابراهيم زكي	القاهرة ١٩٠٤ (١٣٠)
دليل المساح وورشة الفلاح	عبد الحميد حسني الشواربي	القاهرة ١٩١١ (١٣١)

(١٢٨) المشرق ، السنة ٢٤ ، عدد ١٨ ، ص ٨٤٢
(١٢٩) المشرق ، السنة ٤ ، عدد ١١ ، ص ٥٢١
(١٣٠) المقتطف ، السنة ٩ ، ج ٤ ، ص ٣٥٩
(١٣١) المقتطف ، م . ٤ ، ج ١ ، ص ٨٩

موقف العرب من التقدم العلمي في الغرب

ادرك العرب ، منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ان من اسباب تفوق اوروبا وقوتهـا اعتمادها على العلوم التطبيقية وتطويرهـا . ولذلك اقبلوا عليهـا اقبالاً شديداً . ودعا رفاعه الطهطاوي وخير الدين التونسي الى ضرورة اقتباس العلوم الغربية لتحقيق النهضة المتوخاة عند المسلمين ، مؤكدين ان ذلك لا يتعارض مع الدين الاسلامي . وذهب المجددون في الاسلام امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضـا الى ان العلم لا يناقض الدين ، والى ضرورة التوفيق بينهما ، ولو ادى ذلك الى التأويل في تفسير القرآن الكريم . واعتقد هؤلاء ان ربط العلم بالدين كفيل بان لا تحمل العلوم الغربية الحديثة معهـا اتجاهات اخلاقية تتعارض والدين الاسلامي .

ورافق هذه الدعوة انشاء العديد من المدارس والمعاهد العلميـة في مصر وبلاد الشام والمغرب العربي تدرس العلوم الحديثة . ونشأ عن ذلك رد فعل مضاد ومن جانب الأزهر والازهريين ، الذين اعتبروا العلوم الشرعية هي الاساس واكتفوا بهـا . وبرز الى الوجود تياران فكريان في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . احدهما يضم المفكرين التقليديين من الازهريين وانصارهم ، والثاني يمثله المفكرون الاصلاحيون الليبراليون . وقد وقف التيار الاول موقف العداء من العلوم الغربية مكتفياً بالعلوم الشرعية الاسلامية . بينما وقف التيار الآخر موقفاً ايجابياً من تلك العلوم واعتبرهـا الاساس لقيام الحضارة المتفوقة ونموهـا ، ورأى ضرورة اقتباسهـا والاخذ عنهـا دون تردد .

وكـان هذا التيار يضم جناحاً معتدلاً يمثله قاسم امين واحمد لطفي السيد وسعد زغلول ورشيد رضا ومحمد فريد وجدي وغيرهـم ، وجناحاً متطرفاً يضم قادة الصحفيين السوريين في مصر امثـال يعقوب صروف وفارس نمر وجرجي زيدان وحركة الفلسفة العلمية بزعامة الدكتور شبلي الشميـل وفرح انطون . واكد الجناح المتطرف في هذا

التيار على اعتبار العلم هو الاساس والتقليل من اهمية الدين . وبرزت الدعوة العلمية العلمانية على يد شبلي شميل (١٨٦٠–١٩١٧) فكان اول من ادخل مذهب دارون في النشوء والارتقاء الى العالم العربي عن طريق الترجمات والمقالات التي كان ينشرها في مجلة « المقتطف ». وكان شميل يرى في العلم اكثر من وسيلة لاكتشاف القوانين التي تسيّر الاشياء ، وانما مفتاحاً لاسرار العالم وطريقة للعبادة . فالعلم في نظره نظام ميتافيريقي بناه هكسلي Huxely وسبنسر Spencer في انكلترا ، وهكل Haeckel وبخنر Buchner في المانيا ولامارك في فرنسا . والعلوم الطبيعية ، في رأيه ، « هي ام العلوم الحقيقية ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية كافة ، وان تقدم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء ، فيصبح نظر الانسان حينئذ في لغاته ، وينتظم قياسه في دليله ، وتقوى فلسفته بارتباطها ، وتعلوا ادابه لانطباقها على العمل ، وتصلح شرائعه لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ، ويتسع عقله لانطلاقه من قيوده المتناقضة بنظام واحد شامل ذى اتساع لا يحد وتصبح احكامه لتربيتها على القياس الصحيح ، ويسرع ارتقاؤه لانطباقه في سيره به على نواميس الكون » (١٣٢). ودعا شميل الى تعميم العلوم عن طريق التعليم ونشره على نطاق واسع . وهاجم المناهج الدراسية في عهده والعقلية الدينية التي ترفدها . ونادى بهدم مدرسة الحقوق المصرية واستبدالها بمدارس علمية للكيمياء والطبيعيات والميكانيك والرياضيات . كما دعا الى تدريس العلوم الطبيعية في المدارس الابتدائية ، وذلك من اجل فهم الواقع الطبيعي الذي يعيش فيه التلاميذ ، والاهتداء بقوانينه لبناء مدنية جديدة بطريقة علمية واقعية (١٣٣) .

وتأثر فرح انطون (١٨٧٤ – ١٩٢٢) بالفكر الفرنسي الملحد الذي كان يقوده ارنست رينان E. Rénan ولوازي Loisy

---

(١٣٢) شميل ، شبلي : فلسفة النشوء والارتقاء ، المقدمة ، ص ٨

(١٣٣) شميل ، شبلي : المجموعة الثانية ، ص ١٨٧–١٨٨ .

ورأى في العلم الاساس في بناء الفرد والمجتمع باعتبار ان الدين بدائي بطبيعته وعاجز عن مسايرة تطور الانسان . فكان ينشر اراءه في مجلته « الجامعة » التي كانت تصدر في القاهرة وسار في هذا التيار العلمي — العلماني ، في بلاد الشام ، احمد فارس الشدياق وناصيف اليازجي وابراهيم اليازجي وبطرس البستاني وسليم البستاني واديب اسحق وفرنسيس مراش .

وكان لمذهب دارون تأثير كبير على مفكري القرن التاسع عشر . واحدث ردود فعل عنيفة لدى المفكرين العرب ، فانقسموا بين مؤيد لهذا المذهب ومعارض له . وقد بدأ المعركة ادون لويس الاستاذ في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الاميركية حالياً في بيروت)، عندما اشاد بمذهب دارون في النشوء والارتقاء في خطبة القاها في حفلة التخرج لطلبة الكلية عام ١٨٨٢ (١٣٤) . فرد عليه جيمس انس الاميركاني ، مدير مدرسة اللاهوت في بيروت ، وجاء بالادلة والشواهد على ان شارلز دارون كافر ملحد لا يؤمن بالمسيح ولا بالآخرة ، وان غاية ابحاثه العلمية « نفي المسيح من كل دائرة الطبيعة والعلم (١٣٥) » . فما كان من ادون لويس الا ان رد على جيمس انس مؤكداً ان دارون « يحسب في اعلى طبقة بين العلماء . ولا ينكر انه عمل اعمالا يعجز غيره عنها ، وذهب مذهباً من اشهر مذاهب اهل هذا العصر من حيث تعليله للحوادث وكشفه للمجهودات . . . » (١٣٦) وايده في هذا الاتجاه يوسف حايك (١٣٧) من الاسكندرية . وكان رزق الله البرباري قد استعرض نظرية دارون في اصل الانواع في عدة مقالات نشرتها

---

(١٣٤) لويس ، ادون . المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٢٣ ، آب ١٨٨٢ ، ص ١٥٨-١٦٦

(١٣٥) انس جيمس . المذاهب المختلفة في كيفية خلق الكون ، المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٤ ، ت ٢ ١٨٨٢ ، ص ٢٣٣-٢٣٦

(١٣٦ لويس ، ادون . المذهب الداروني ، المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٥ ، ك ١ ١٨٨٢ ، ص ٢٨٩

(١٣٧) حائك ، يوسف . المذهب الداروني ، المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٥ ، ك ١ ١٨٨٢. ص ٢٩١-٢٩٢

مجلة « المقتطف » في عام ١٨٧٦ . واخذ على هذه النظرية الزعم بان الخلية الحية الاولى قد ولدت من تلقاء نفسها منذ ملايين السنين ، وهذا انكار للخالق (١٣٨) .

ونشر جيمس انس كتاب « نظام التعليم في علم اللاهوت القويم » عام ١٨٨٣ ، تضمن رداً على نظرية دارون والقائلين بها . وحاول ان يثبت بطلان مذهب النشوء الذاتي بالادلة التالية :

- الادلة التي تثبت وجود الله وخلقه للكائنات .
- الادلة التي تثبت بطلان الفلسفة المادية .
- تعذر التسليم بان المادة الخالية من الحياة قادرة على التحول او الانتقال من حال الى اخرى (١٣٩) .

وأخذ ابراهيم الحوراني على مذهب النشوء والارتقاء ما يلي :-

- التحرك في ذاته تغير واحداث . فكيف تتحرك الجواهر لتؤلف الكائنات ولا تكون هي محدثة ؟
- اذا كانت الجواهر الفرد ذات حياة فلماذا لا تكون المخلوقات المؤلفة منها حية ؟ وهل تأتي الحياة اذن قبل المادة خلافاً لما قال به علماء الفسيولوجيا ؟
- لقد برهن العالم الفرنسي لوى باستور L. Pasteur ان الحي لا يخرج الا من الحي . فكيف نفترض اذن ان الجواهر الاولى لا تنمو بالتولد الذاتي ؟ (١٤٠) .

وتناول المطران جرمانوس معقد ، مطران اللاذقية ، مذهب

(١٣٨) البرباري ، رزق الله : في اصل الانسان ، المقتطف ، السنة الاولى ، ج ١٢ ، ١٨٧٦ ، ص٢٨٠

(١٣٩) أنس ، جيمس : المذاهب المختلفة في كيفية خلق الكون ، المقتطف ، السنة ٨ ، ج ٤ ، يناير ١٨٨٤ ، ص ١٩٩-٢٠٥ .

(١٤٠) الحوراني ، ابراهيم : الحق اليقين في الرد على بطلان دروين ، بيروت ١٨٨٦ والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات نشرها في مجلة « النشرة الاسبوعية » عامي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ .

داروون، وخرج من خلال دراسته له الى ان العلم لا يتعارض مع الدين، واستشهد بقول العالم الانكليزي بيكون « قليل من العلم يبعدني عن الله و كثير منه يقربني اليه » (١٤١) .

امـــا الأب لويس شيخـــو اليسوعي ، رئيس تحرير مجلـــة المشرق الكاثوليكية فكان من دعاة التوفيق بين العلم والدين . فهو يرى ان « كل دين ينافي حقيقة علمية واحدة تناقض تعاليمه الاصلية هو دين فاسد لا يجوز للانسان ان يتبعه ، وكذلك كـــل علم يناقض تعاليم الدين المستقيم هو باطل لا يمكن الاستناد اليه » . ويؤكد بالتالي « ان النصوص الدينية والبراهين العقلية والشواهد التاريخية كلهـــا لسان واحد على ائتلاف الدين والعلم ، وانه لا يمكن ان يوجد بينهما تناقض البتة . . . » (١٤٢) .

يتضح مما سبق ان رجال الدين والمفكرين المسيحيين قد ركزوا في دفاعهم عن الدين المسيحي في مواجهة نظرية داروون والتيار العلماني الذي اخذ مجراه في العالم العربي في الربع الاخير من القرن التاسع عشر على النقاط التالية :

١ ـ حاجة الفرد للدين لانه ينظم حياته الداخلية .

٢ ـ لا تناقض بين الدين والعقل فهما يجيبان عن تساؤلات الانسان عن معنى وجوده واصل العالم الذي يحيا فيه ، والعلاقة بين الايمان والعلم هي علاقة تكامـــل لا علاقة تناقض .

٣ ـ الكتاب المقدس كتاب ديني لا موسوعة علمية . والعلـــم اختبار ومحاولات وليس مذهباً عقائدياً . فالكتاب المقدس لا يشرّع

---

(١٤١) معقد ، جرمانوس . العلم الحقيقي ، المشرق ، السنة ٢ ، العـــدد ١٢ ، ١٥-٦-١٨٩٩ ص ٥٢٩-٥٣٢ .

(١٤٢) شيخو ، الاب لويس . تناقض الدين والعلم ، المشرق ، السنة ٣ ، عدد ٧ ، ١-٤-١٩٠٠ ، ص ٣٠٢-٣٠٩ . الفتاوي الامريكية في المعتقدات الدينية ، المشرق ، السنة ١٢ ، عدد ٦ ، حزيران ١٩٠٩ ، ص ٤٢٥-٤٣٦ .
اوهام العقليين في الوحي الالهي ، المشرق ، السنة ١٧ ، عدد ، ١ ، ك ٢ ١٩١٤ ص ١١٧-١٢٨ .

للعلم ولا العلم يشرع للدين .

٤ — ان المعجزة في العلم شك وريبة ولكنهــا في الدين برهان على كونه ديناً لا علماً ووسيلة لتقريب العنصر الالهي من العنصر الارضي. وهي في نظر المؤمن معرفة من نوع آخر تستند الى الايمان بان الله القدير قادر على اظهار مجده بطرق غير عادية (١٤٣) .

اما ردة فعـــل المفكرين المسلمين ، سواء كانوا من التقليديين او من المجددين ، على نظرية النشوء والارتقاء ، فكانت مشابهة الى حد بعيد لردة فعل المفكرين المسيحيين المتدينين . فقد الف جمـــال الدين الافغاني كتابه المشهور « الرد على الدهريين » باللغة الفارسية ، وقام الامام محمد عبده بنقله الى العربية . ولم تختلف حجج الافغاني في الرد على الدهريين « القائلين بمذهب النشوء والارتقاء» عن حجج رجـــال الدين المسيحيين. فهو يقول : « وعلى زعم دارون هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلاً بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيـــل برغوثاً كذلك .

« فان سئل دارون عن الاشجار القائمة في غابـــات الهند والنباتـــات المتولده فيهـــا من ازمان بعيدة لا يحددهـــا التاريخ الا ظنا واصولهـــا تضرب في بقعة واحدة وفروعهـــا تذهب في هواء واحد وعروقهـــا تسقى بماء واحد ، فمـــا السبب في اختلاف كل منهـــا عن الآخر في بنيته واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره . فاي فاعل خارجي اثر فيهـــا حتى خالف بينهـــا ، مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ اظن لا سبيـــل الى الجواب سوى العجز عنه » (١٤٤) .

وبيّن في رسالته هذه المضار والمخاطر التي تترتب على مذهب الطبيعيين من انصار دارون وسواه على البنيان الاجتماعي والتقدم البشري،

---

(١٣٤) هزيم ، اغناطيوس : شواغل الفكر العربي المسيحي منذ ١٨٦٦ ، الفكر العربي في مئة سنة ، ص ٣٥٥-٣٥٦

(١٤٤) الافغاني ، جمال الدين : الرد على الدهريين ، الاعمال الكاملة ، ص ١٣٥

واثر الدين على الانسان والمجتمع : اثره على الانسان في تنمية الحياء والشرف والامانة والصدق في نفسه ، واثره على المجتمع من حيث سيادة الالفة والنظام والقانون فيه .

والف الشيخ ابي المجد محمد رضا الاصفهاني كتاب « نقد فلسفة دارون » (١٤٥) على منوال كتاب الافغاني الآنف الذكر . وتولت مطبعة ولاية بغداد نشره سنة ١٣٣١هـ-١٩١٤م .

وكما حاول المفكرون المسيحيون من العرب ان يفصلوا بين اهداف الدين واهداف العلم اكد الشيخ مصطفى الغلاييني هذه المحاولة اذ قال : « جاء الدين لحمل الناس على الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتوحيده وتقديسه عما لا يليق بشأنه عز وجل . ومتى اعترف المرء بهذه الحقيقة الراهنة . . . فلا بد ان يتطلع الى وراء هذه الحقيقة من الاعمال التي ترضي الخالق . . .

«فالدين انما جاء لتقرير هذه الحقائق ونشرها بين الناس تشربها النفوس وتعمل بها الاقوام ، ولم يجيء لتقرير الحقائق العلمية وتبيان الاصول الفنية ، لان الدين عام يشمل طبقات الامة ، فهو لا بد ان يكون موضوعه عاماً يسهل تناوله على الجميع . وموضوع العلوم التطبيقية والفكرية وغيرهما ما لا تتناوله الفهوم كلها ولا تحيط به الادراكات اجمعها» (١٤٦) .

وحاول محمد رشيد رضا التوفيق بين اراء دارون وتعاليم الاسلام . ولما استنكر الشيخ عبد القادر القباني مقالة للدكتور شبلي شميل في مجلة الهلال (عدد حزيران ١٩٠٩) التي اكد فيها فكرة النشوء وانكر فكرة الخلق ، حاول رشيد رضا ان يزيل الغموض واللبس الذي وقع

---

(١٤٥) العرفان ، م ٥ ، ج ، ٢٧-٣-١٩١٤ ، ص ١٩٧
المشرق ، السنة ١٧ ، عدد ١٢ ، ك١ ١٩١٤ ، ص٧١٤

(١٤٦) الغلاييني ، مصطفى : الدين والعلم ، النبراس ، م٢ ، ج ٧ ، ٢٣-٧-١٩١٠ ، ٢٤١-٢٤٧

فيه الشيخ القباني ، وبيّن ان الداروينية اذا فهمت فهماً جيداً فهي تتفق تماماً والاسلام، وان مقالة الدكتور شميل تهدف الى التوفيق بين العلم والدين . (١٤٧) .

وهكذا نرى ان المفكرين العرب قد أجمعوا على الترحيب بالعلوم التطبيقية الحديثة ، ولكنهم اختلفوا في مواقفهم من النظريات العلمية التي صاحبتها ، وخاصة تلك التي لها مساس بمعتقداتهم الدينية . فمنهم من آمن بها وتولى الترويج لها والدفاع عنها، ومنهم من رأي فيها كفراً والحاداً فاستنكرها ورفضها رفضاً باتاً ، ومنهم من لم يرتنا قضايين هذه النظريات والدين وحاول التوفيق بينهما .

(١٤٧) Revue du Monde Musulman, 3e année Oct. 1909, No. 10, pp. 336-338

مراجع الكتاب

١ – المراجـــع العربية

أ – المؤلفات والمقـــالات

ابراهيم ، حافظ – ديوان حافظ ابراهيم ، تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، جزءان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٧ .

أبوريه ، محمود – جمال الدين الافغاني ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ .

الأثري ، محمد بهجة – محمود شكري الالوسي وآراؤه اللغوية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٨ .

الاحسائي ، محمد بن عبد الله – تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، القسم الاول ، الطبعة الاولى ، مطابع الرياض ، الرياض ١٩٦٠ .

احمد ، محمد خلف الله – معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابهـــا ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦١ .

أرسلان ، شكيب – السيد رشيد رضا ، اخاء اربعين سنة ، الطبعة الاولى ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ١٩٣٧ .

– لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ . الطبعة الثالثة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٨ هـ .

اسحق ، اديب – منتخبات ، مطبعة الآداب ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ، ب.ت.

الافغاني ، جمال الدين وعبده ، محمد – العروة الوثقى ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٠ .

– الرد على الدهريين ، نقلهـــا من الفارسية الى العربية الشيخ محمد عبده ، مطبعة محمد مطر ، القاهرة ، ب.ت.

– الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، تحقيق وجمع محمد عمارة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٦ .
آل الشيخ ، عبد الرحمن بن حسن – فتح المجيد . شرح كتاب التوحيد ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة انصار السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٦٢ هـ.
الالوسي ، شهاب الدين محمود – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ٣٠ جزءاً ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٤٥ هـ.
– غرائب الاغتراب ونزهة الالباب ، مطبعة الشابندر . بغداد ، ١٣٢٧هـ.
امين ، احمد – زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ .
– محمد عبده ، موسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٠ .
– المهدي والمهدوية ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥١ .
أمين عثمان – رائد الفكر المصري الامام محمد عبده ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .
امين ، قاسم – المرأة الجديدة ، مطبعة الشعب ، القاهرة ١٩١١ .
– تحرير المرأة ، الناشر محمد محمد زكي الدين ، القاهرة ب.ت.
انس ، جيمس – المذاهب المختلفة في كيفية خلق الكون ، مقالة في المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٤ ، ت٢ ١٨٨٢ ، ص ٢٤٤-٢٣٦ .
انطون ، فرح – ابن رشد وفلسفته ، مجلة الجامعة ، الاسكندرية ١٩٠٣ .
– حياته ادبه مقتطفات من آثاره ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥٠ .
– مختارات ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥٠ .
بارودي اسكندر – تعليم المرأة عندنا ، مقالة في مجلة الكلية ، بيروت ، السنة ٣ ، العدد ٨ ، حزيران ١٩١٢ ، ص ٢٣٣–٢٤٠ .
الباني ، محمد سعيد – تنوير بسيرة الشيخ طاهر ، مطبعة الحكومة العربية السورية ، دمشق ١٩٢٠ .

البرباري ، رزق الله — في اصل الانسان ، مقالة في المقتطف ، السنة الاولى ، ج١٢ ، ١٨٧٦ ، ص ٢٨٠ .

برو ، توفيق — القومية العربية في القرن التاسع عشر ، مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٦٥ .

البستاني ، سليم — لماذا نحن في تأخر ، مقالة في مجلة الجنان ، بيروت ، السنة الاولى ، ج ، ٦ ، آذار ١٨٧٠ ، ص ١٦٢—١٦٤

البستاني ، سليمان عبرة وذكرى ، او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، مطبعة الاخبار ، القاهرة ١٩٠٨ .

بشر ، عثمان بن عبد الله بن — عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق ونشر وزارة المعارف السعودية ، الرياض ١٣٨٧ هـ.

البهلوان ، علي — تونس الثائرة ، لجنة تحرير المغرب العربي ، ب.ت.

تقلا، بشارة — مختارات من اقواله في الاهرام ، مطبعة الاهرام ، القاهرة ١٩٠٢ .

التونسي ، خير الدين — اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، مطبعة الدولة ، طبعة اولى ، تونس ١٢٨٤ هـ ر١٨٦٧ م. ميكرو فيلم رقم ١٣٢٥ ، مكتبة الجامعة الاردنية .

تيمية ، تقي الدين احمد — حقيقة مذهب الاتحاديين ، او وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد رشيد رضا ، الطبعة الاولى ، مطبعة المنار ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

ثورة العرب — مقدماتهـا ، اسبابهـا ونتائجهـا ، بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية ، مطبعة المقطم ، القاهرة ١٩١٦ .

جاويش ، عبد العزيز — الاسلام دين الفطرة والحرية ، دار الهلال ، القاهرة ب. ت.

الجبرتي عبد الرحمن — عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وآخرين ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٨ .

الجسر ، حسين — الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية ، بيروت ١٣٠٦ هـ.

الجندي ، انور — الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة . ب.ت.

— الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا — الدار القومية

للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .
ـ اضواء على الادب العربي المعاصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ .

الجوزية ، شمس الدين محمد بن قيم ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ١٣١٧ هـ.

جولد تسهر ، اجنتس ـ مذاهب التفسير الاسلامي ، ترجمة د . عبد الحليم النجار مكتبة الخابجي ، القاهرة ١٩٥٥ .

جيب ، هـ.أ.ر ـ الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، تعريب جماعة من الاساتذة الجامعيين ، منشورات المكتب العربي التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦١ .

حائك ، يوسف ـ المذهب الداروني ، مقالة في مجلة المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٥ ، ك١ ١٨٨٢ ، ص ٢٩١–٢٩٢ .

حسين ، محمد محمد ـ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب القاهرة ١٩٦٢ .

الحصري ، ساطع ـ ما هي القومية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ .
ـ محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .

الحكيم ، يوسف ـ بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤ .

الحوراني ، ابراهيم ـ الحق اليقين في الرد على بطلان داروين ، بيروت ١٨٨٦ .

خوري ، رئيف ـ الفكر العربي الحديث . اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٤٣ .

خوله ، محمد بشير ـ الشيخ محمد عبده ، المصلح الديني في القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير في تاريخ العرب الحديث من الجامعة الاميركية بيروت حزيران ١٩٥٩ .

الدباغ ، عائشة ـ الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧١ .

الدجاني ، احمد صدقي ـ الحركة السنوية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ، الطبعة الاولى ، دار لبنان للطباعة والنشر ،

بيروت ١٩٦٧ .
دروزة ، محمد عزة — حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الاول ، المطبعة العصرية صيدا ١٩٥٠ .
— نشأة الحركة العربية الحديثة ، منشورات المطبعة العصرية ، صيدا ١٩٧١ .
الدسوقي ، عمر — في الادب الحديث ، جزءان ، دار الفكر العربي ، الطبعة السادسة بيروت ١٩٦٦ .
الدهان ، سامي — عبد الرحمن الكواكبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ب.ت.
الدوري ، عبد العزيز — العصر العباسي الأول ، مطبعة التفيض الاهلية ، بغداد ١٩٤٥ .
— الجذور التاريخية للقومية العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠
الرافعي، عبد الرحمن — تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، الجزء الثالث (عصر محمدعلي) ، طبعة اولى ، مطبعة النهضة ، القاهرة ١٩٣٠
— جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦١ .
— مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٠ .
رضا ، محمد رشيد — تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، مطبعة المنار ، القاهرة ١٩٣١ .
— نداء الى الجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف ، الطبعة الثانية ، دار المنار ، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
— الوحي المحمدي ، دين الاخوة الانسانية والسلام ، مطبعة المنار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ.
— المنار والازهر ، مطبعة المنار الطبعة الاولى ، القاهرة ١٢٥٣هـ.
الرفاعي ، شمس الدين — تاريخ الصحافة السورية ، الجزء الاول ، (الصحافة السورية في العهد العثماني ١٨٠٠—١٩١٨) ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ .

زخورا ، الياس — السوريون في مصر ، جزءان في مجلد واحد ، المطبعة العربية ، القاهرة ١٩٢٧ .

زيادة ، نقولا — صفحات مغربية ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٦ .

زيدان ، جرجي — تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، (بناة النهضة العربية) دار الهلال ، القاهرة . ب.ت.

زين ، نور الدين زين — نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٦٨.

ستودارد ، الثروب — حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، اربع مجلدات ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٢ هـ.

سعد الله ، ابو القاسم — الحركة الوطنية الجزائرية ، منشورات دار الادا ب ، بيروت ١٩٦٩

سعيد أمين — تاريخ الدولة السعودية ، المجلد الاول ، دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٤ .

— الثورة العربية الكبرى ، المجلد الاول (النضال بين العرب والترك (مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ب.ت.

— سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شركة التوزيع العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٨٤ هـ.

سلامة ، ب — ثورة بن غذاهم ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٧.

سلوم ، داود — تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩.

شبيكه ، مكي — السودان في قرن ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦١ .

— الخرطوم بين المهدي وغوردون ، جامعة الخرطوم ، الخرطوم . ب . ت

— وادي النيل بين ثورتين المهدية والعرابية ، جامعة الخرطوم، الخرطوم ١٩٦٥ .

الشدياق ، احمد فارس — الساق على الساق فيما هو الفارياق، او ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦ .

شرابي ، هشام — المثقفون العرب والغرب ، دار النهار للنشر ، بيروت

. ١٩٧١

شريف ، محمد بديع — دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، مطابع دار صادر ، بيروت ١٩٦٧ .

شقير ، نعوم — جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ .

شميل ، شبلي — فلسفة النشوء والارتقاء ، الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٩١٠ .
— الحقيقة ، وهي رسالة تتضمن ردوداً لاثبات فرضية دارون ، الجزء الأول من مجموعته .
— المجموعة الجزء الثاني ، مطبعة المعارف القاهرة ١٩٠٨ .

الشهابي ، مصطفى — القومية العربية ، معهد الدراسات العربية العليا ، جامعة الدول العربية ، طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٦١ .

شوقي ، احمد — الشوقيـات ، الجزء الاول ، مطبعة مصر ، القاهرة ب.ت.

الشوكاني ، محمد علي — القول المفيد في ادلة الاجتهاد والتقليد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
— البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، الجزء الثاني مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
— الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد ، ادارة المطبعة المنيرية ، القاهرة ١٣٥١ هـ.
— السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ .

الشيال ، جمال الدين — تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥١ .
— رفاعه الطهطاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٥ .

شيخو ، الاب لويس — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، الجزء الاول ١٩٠٨ والجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٢٦ .
— تناقض الدين والعلم ، مقالة في مجلة المشرق ، بيروت ، السنة ٣ ، عدد ٧ ، ١-٤-١٩٠٠ ، ص ٣٠٢-٣٠٩ .

– الفتاوي الاميركية في المعتقدات الدينية ، مقالة في مجلة المشرق ، بيروت ، السنة ١٢ ، عدد ٦ حزيران ١٩٠٩ ، ص ٤٢٥–٤٣٦ .
– اوهـــام العقليين في الوحي الالهي ، مقالة في مجلة المشرق ، السنة ١٧ ، عدد ١ ،ك٢ ١٩١٤ ، ص ١١٧–١٢٧ .

طرازي ، فيليب دى – تاريخ الصحافة العربية ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٩١٣.

الطناحي ، طاهر – مذكرات الامام محمد عبده ، دار الهلال ، ب.ت.

الطهطاوي ، رفاعه رافع – مناهج الالباب المصرية في مناهج الاداب العصرية ، الطبعة الثانية ، مطبعة شركة الرغائب ، القاهرة ١٩١٢ .
– الاعمال الكاملة ، جزءان تحقيق وجمع محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ .

طوقان ، قدري حافظ – جمـــال الدين الافغاني ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ١٩٤٧ .

عاشور ، الشيخ محمد فاضل – الحركة الادبية والفكرية في تونس ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٦ .

عبد الحميد ، محسن الالوسي مفسراً ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .

عبد الوهاب ، حسن حسني – خلاصة تاريخ تونس ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ١٣٧٣ هـ.

عبده ، ابراهيم – تطور الصحافة المصرية واثرهـــا في النهضتين الفكرية والاجتماعية ، طبعة ثانية ، مكتبة الاداب ، القاهرة ١٩٤٥.

عبده ، الامام محمد – الاعمال الكاملة ، جمع وتحقيق محمد عمارة ، خمسة اجزاء ، طبعة اولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢ .
– رسالة التوحيد ، مصر ١٣٦١ هـ .
– الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، مصر ١٣٦٧ هـ.
– تفسير القرآن الكريم ، مصر ١٣٢٤ – ١٣٤٦هـ.

عثمان ، فتحي – الفكر الاسلامي والتطور ، دار القلم ، القاهرة ، ب.ت.

العدوى ، ابراهيم احمد – يقظة السودان ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ١٩٥٦.
– رشيد رضا الامام المجاهد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، سلسلة الاعلام العرب ، القاهرة ب.ت.

العقاد ، صلاح — دعوة حركات الاصلاح السلفي ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، المجلد السابع ١٩٥٨ .

العتيقي ، نجيب — المستشرقون، الجزء الاول، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤.

عمر ، محمد — حاضر المصريين او سر تأخرهم ، مطبعة المقتطف القاهرة ١٩٠٢ .

عوض ، لويس — المؤثرات الاجنبية في الادب العربي الحديث والفكر السياسي والاجتماعي ، معهد الدراسات العربية العالية ، دار المعرفة ، طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٦٦ .

— تاريخ الفكر المصري الحديث ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٩ .

الغلاييني ، مصطفى — الدين والعلم ، مقالة في مجلة النبراس ، القدس ، م٢ ، ج ٧ ، ٣٣–٧–١٩١٠ ، ص ٢٤١–٢٤٧ .

غنام ، الشيخ حسين — تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الاسد ، مطبعة المدني ، طبعة اولى ، القاهرة ١٩٦١.

غرابية ، عبد الكريم — مقدمة تاريخ العرب الحديث ، الجزء الاول ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ١٩٦٠ .

— سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠–١٨٧٦) ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٢.

فريد ، محمد — تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة التقدم الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩١٢ .

قدري ، احمد — مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، مطابع ابن زيدون ، دمشق ١٩٥٦ .

قلعجي ، قدري — جمـــال الدين الافغاني حكيم الشرق ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٥٦ .

كامل ، مصطفى — الشمس المشرقة ، مطبعة اللواء ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٠٤.

— المسألة الشرقية ، القاهرة ١٨٩٨ .

كرومر ، لورد — بريطانيا في السودان ، تعريب عبد العزيز احمد عرابي ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ .

الكعاك ، عثمان — مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، معهد الدراسات العربية العالية ،

القاهرة ١٩٥٨ .
الكواكبي ، عبد الرحمن ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ ام القرى ، المطبعة المصرية بالازهر ، القاهرة . ١٣٥٠هـ ١٩٣١م.
الكيالي ، سامي ـ الادب العربي المعاصر في سورية (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) طبعة ثانية دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .
اللجنة العليا لحزب اللامركزية العثماني ـ المؤتمر العربي الاول (١٨ـ ٢٣/٣٦/١٩١) مطبعة البوسفور ، القاهرة ١٩١٣ .
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، مجهول المؤلف ، تحقيق الدكتور احمد ابو حاكمة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ .
لويس ، ادون ـ المذهب الداروني ، مقالة في مجلة المقتطف ، السنة ٧ ، ج ٥ ، ك١ ١٨٨٢ ، ص ٢٨٩ .
المخزومي ، محمد ـ خاطرات جمال الدين الافغاني ، المطبعة العلمية ليوسف صادر ، بيروت ١٩٣١ .
المرادي ، محمد خليل ـ سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، ٤ مجلدات ، القاهرة ١٨٧٤ـ١٨٨٣ .
معقد ، جرمانوس ـ العلم الحقيقي ، مقالة في مجلة الشرق ، بيروت السنة ٢ ، العدد ١٢ ، ١٥ـ٦ـ١٨٩٩ ، ص ٥٢٩ ـ ٥٣٢ .
المغربي ، عبد القادر ـ جمال الدين الافغاني ، ذكريات واحاديث، سلسلة اقرأ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ .
المقدسي ، انيس الخوري ـ الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، طبعة ثانية ، الادارة الثقافية ـ جامعة الدول العربية ، بيروت ١٩٦٠.
منتخبات المؤيد (السنة الاولى ١٨٩٠) المجلد الاول ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٣٢٤ هـ.
النبهاني ، محمد خليفة التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، المطبعة المحمومية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٢ هـ.
النديم ، عبد الله ـ سلافة النديم ، الجزء الاول ، المطبعة الجامعة ، القاهرة ١٨٩٧ ، الجزء الثاني مطبعة هندية ، القاهرة ١٩٠١ .
نسيبه ، حازم ـ القومية العربية ، فكرتها نشأتها تطورها ، ترجمة عبد اللطيف شرارة ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتبة

الاهلية ، بيروت ١٩٦٢ .

نوار ، عبد العزيز — مواقف سياسية لابي الثناء محمود الالوسي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٤ ، القاهرة ١٩٦٨ .

— داود باشا والي بغداد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨

النيفر ، الشيخ محمد — عنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم واديب ، جزءان ، الطبعة الاولى ، المطبعة التونسية ، تونس ١٣٥١هـ.

هزيم ، اغناطيوس — شواغل الفكر العربي المسيحي منذ ١٨٦٦ . مقالة في الفكر العربي في مئة سنة ، بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقدة في الجامعة الاميركية ببيروت في تشرين الثاني ١٩٦٦ ، الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٦٧ .

هيكل ، احمد — تطور الادب الحديث في مصر من اوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب العالمية الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .

هيكل ، محمد حسين — تراجم مصرية وعربية ، مطبعة السياسة الاسبوعية ، القاهرة ١٩٢٩ .

ب — المجلات والصحف

الاجيال — مجلة علمية صناعية مصورة تصدر كل يوم سبت لصاحبها سميان اخوان ، القاهرة ١٨٩٧/٧/١٠ — ١٨٩٨/١١/٥ .

البدر — مجلة علمية ادبية شهرية يصدرها مؤسسو الجامعة الزيتونية في تونس ، صدرت عام ١٣٤٠ ، مديرها محمد الحبيب .

البشر — جريدة اسبوعية كاثوليكية دينية البيئة علمية اخبارها (١٨٧٠ — ١٩١٤) بيروت .

البيان — مجلة شهرية صدرت في القاهرة عام ١٨٩٧ ، صاحبها ابراهيم اليازجي والدكتور بشارة زلزل .

البيان — مجلة ادبية تاريخية فلسفية اخلاقية تربوية اجتماعية شهرية ،

انشأهـا عبد الرحمن البرقوقي في القاهرة وصدر العدد الاول منهـا في ٢٤ـ٨ـ١٩١١ .

الجامعة — مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية شهرية ، كانت تصدر في الاسكندرية ثم نقلت الى القاهرة صاحبهـا فرح انطون (١٨٩٩)

الجريدة — جريدة سياسية ، لسان حال حزب الامة المصري ، رئيس التحرير احمد لطفي السيد ، القاهرة ، ١٩٠٩ـ ١٩١٤ (ميكروفيلم) .

الجنان مجلة صاحباهـا بطرس البستاني وسايـم البستاني (١٨٧٠ـ١٨٨٦) صدرت في بيروت

الحقائق — مجلة علمية دينية اخلاقية اجتماعية شهرية ، صاحبهـا عبد القادر الاسكندراني صدرت في دمشق في ٧ آب ١٩١٠ .

الرياض المصرية مجلة علمية ادبية صناعية ، صدرت في القاهرة (١٨٨٨ـ ـ١٨٨٩) مرتين في الشهر ، صاحباهـا عبد الرحمن الحوت ومحمد حسن سلطاني .

الزهور — مجلة ادبية فنية علمية شهرية لصاحبها انطون الجميل ، — صدرت في القاهرة عام ١٩١٠ .

سركيس — مجلة شهرية صدرت في القاهرة عام ١٩٠٥ ، صاحبهـا سليم سركيس .

الصفاء — مجلة علمية شهرية ، صدرت في بيروت ١٨٨٦ـ١٨٨٧ ، صاحبهـا علي ناصر الدين .

الضياء — مجلة علمية ادبية صحية صناعية ، صدرت في القاهرة ١٨٩٨ ، مرتين في الشهر ، صاحبهـا ابراهيم اليازجي .

العرفان — مجلة جامعة كانت تصدر في صيدا بين ١٩٠٩ و ١٩١٤ وصاحبها احمد عارف الزين .

العروس — مجلة نسائية شهرية اصدرتهـا ماري عجمي في دمشق في كانون الاول ١٩١٠ .

العمران — مجلة علمية عمرانية مصورة اسبوعية ، اصدرها عبد المسيح انطاكي في القاهرة عام ١٨٩٧ .

الكلية — مجلة شهرية كانت تصدرها المدرسة الكلية السورية الانجيلية

في بيروت من شباط ١٩١٠ الى ١٩١٤ .

الكوثر — مجلة علمية فنية سياسية شهرية ، صدرت في بيروت في ١٨-٧-١٩٠٩ ، صاحبهـا بشير رمضان .

المشرق — مجلة كاثوليكية تصدر مرتين في الشهر ، كان يديرها اباء كلية القديس يوسف في بيروت ، وصاحب الامتياز الاب لويس شيخو اليسوعي (١٨٩٨-١٩١٤) .

المشير — مجلة شهرية انشئت في بيروت في ١-١١-١٨٩٤ ثم نقلت الى القاهرة عام ١٨٩٥ ، صحبها سليم سركيس .

المقتطف — مجلة علمية شهرية ، صدرت في بيروت بين ١٨٧٦-١٨٨٤ ثم نقلت الى القاهرة وظلت تصدر حتّى عام ١٩٥٢ ، صاحبهـا يعقوب صروف وفارس نمر .

مكارم الاخلاق الاسلامية — مجلة علمية ادبية تهذيبية صدرت في القاهرة في يناير ١٩٠٠ .

المنتقد — مجلة علمية اجتماعية فنية ، صدرت في بيروت ١٩٠٩ صاحبهـا الميرزا محمد الباقر .

المنهل — مجلة ادبية سياسية اجتماعية شهرية صدر العدد الاول منهـا في مطلع رمضان سنة ١٣٣١ هـ. ، ١٩٠٣/٨/٥ في مدينة القدس ، صاحبهـا موسى المغربي .

المؤيد — جريدة يومية كانت تصدر في القاهرة (١٩٠٧-١٩١٤) (ميكروفيلم) صاحبهـا الشيخ علي اليوسف .

النبراس — مجلة شهرية تبحث في الاجتماع والعلم والادب والتاريخ والسياسة ، صدرت في القدس سنة ١٩٠٩ ، وصاحبهـا الشيخ مصطفى الغلاييني .

النعمة — مجلة البطريركية الانطاكية الارثوذكسية ، كانت تصدر شهرياً في دمشق ، اعتباراً من عام ١٩٠٩ .

النفائس العصرية — مجلة ادبية فكاهية تاريخية ، اصدرهـا في القدس خليل بيدس سنة ١٩٠٩ .

الهلال — مجلة نصف شهرية ، اصدرهـا جرجي زيدان في في القاهرة (١٨٩٢-١٩١٤) .

٢ ـ المراجع الأجنبية :

أ ـ المؤلفات والمقـــالات

AHMED, Jamal: The Intellectual Origins of Egyption Nationalism, Oxford University Press, 2nd Edition, London, 1968.

ANTONIUS, George : The Arab Awakening, Khayat, Beirut, 1938.

AZOURY, Nagib: Le Reveil de la Nation Arabe, Librairie Plon, Paris, 1905

BERQUE, Jacques: Egypt, Imperialism and Revolution, translated by Jean Stewart, Faber and Faber, London, 1972.

BROCKELMAN, Karl: History of Islamic Peoples, Routledge and Kegan Paul, London, 1950.

EVANS-PRITCHARD, E.E,: The Sanusi of Cyrenaica, Oxford University Press, Oxford, 1963.

GIBB, H.A.R, : Studies on the Civilization of Islam, Routledge and Kegan Paul, London, 1962.

GIBB, H.A.R. and Bowen, H. : Islamic Society and The West, Vol, I, Part II, Oxford Uni, Press, London, 1969.

HAIM, Sylvia: Arab Nationalism, University of California Press, Berkeley, 1962.

HOLT, P.M: The Mahdist State in The Sudan, Clarendon Press, 2nd Edition, Oxford 1970

HOURANI, Albert: Arabic Thought In The Liberal Age, Oxford University Press, London, 1967.

HUART, Clement: Histoire des Arabes, Tome II, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1913.

INALCIK, Halil : The Ottoman Empire, translated by Norman Itzkowitz and Colin Imber, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973.

JULIEN, Charles André : Histoire de l'Afrique du Nord. Payot, Paris, 1966.

KERR, Malcom: Islamic Reform, University of California Press, Berkeley, 1966.

KHAIRALLAH, K.T.: Le Problème du Levant, Les Régions Arabes Liberées, Editions Ernest Leroux, Paris, 1919.

LAOUST, Henri: Le Hanbalisme sous les Mamlouks Bahrides, extrait de la Revue des Etudes Islamiques, Année 1960, Paris, 1960.

LEWIS, Bernard: The Middle East and The West, Weidenfeld and Nicolson, London, 1964.

MAJZOUB, Mohamed: Le Liban et l'Orient Arabe, Thèse pour le doctorat en droit, La Pensée universitaire, Aix-en-Provence, 1956.
SLATIN, Colonel Sir R. : Fire and Sword in The Sudan, 1879-1895, Edward Arnold, London, 1907.
SMITH, W.C.: Islam In Modern History, Princeton Uni. Press, Princeton, 1957.
THEOBALD, A.B.: The Mahdiya, Longmans, seventh edition, London, 1965.
VUCINICH, W.: The Ottoman Empire, Its Record and Legacy. Van Nostrand, Princeton, N.J., 1965.

ب ـ الصحف والمجلات :

Revue du Monde Musulman, Publié Par la Mission Scientifique du Maroc. 1907- 1921, Paris, Editeur: Ernest Leroux, 1974.

فهرس الاعلام

ب

تتناول هذه الدراسة الموجزة الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية التي تكونت عند العرب نتيجة اتصالهم بالفكر الغربي في الفترة الواقعة بين حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ وقيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

وهذه الاتجاهات الفكرية التي تكونت في عصر النهضة تشكل القاعدة المتينة التي بنيت عليها الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة. فما دعوات الاصلاح الديني والحركات والأحزاب السياسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى سوى استمرار وامتداد لتلك التي نمت وترعرعت في عصر النهضة.

وضع الكتاب الدكتور علي المحافظة رئيس جامعة مؤته الأردنية.